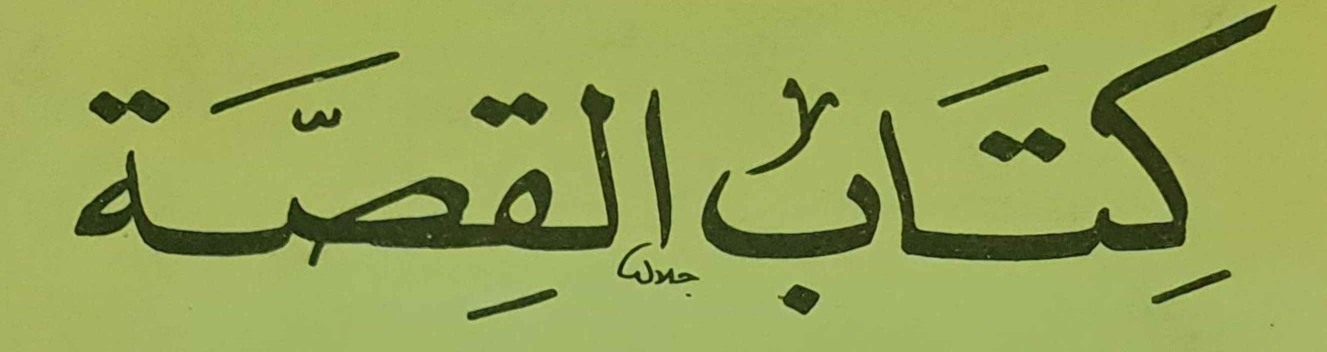


نماذج مختارة من القصص السعودية

باشراف

لجنة القصة بنادي الطائف الأدبي

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

القصـــــــة

كتاب دوري يحوي نماذج من القصة السعودية

اعـــــــداد

محمـــد المنصـــور الشقحـــاء



باشـــــــراف

لجنة القصة بنادي الطائف الأدبي

الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م



مطبوعـــات نادي الطائف الأدبي

الطائـــف ـــ قـــروى

تلفـــون ٢٣٧٧٦

مـــا هـــي القصـــة ؟؟

يعرف المستشرق الاستاذ « جب » القصة فيقول : ـ

« أن الأثر الأدبي لا يسمى قصة الا اذا صور معالم الشخصية والخصائص الخلقية في سلسلة من الظروف الخارجية والحالات النفسية المختلفة .. والا اذا كـان من الطول بحيث يتسع لذلك التصوير في كل الحالات الممكنة ، غير أنه من المستحيل أن تصور معالم الشخصية والخصائص الخلقية وفق حقائق الحياة ما لم توضع وقائع القصة في اطار من الحياة الاجتماعية الواقعية ، ومتى كانت هذه الحياة الاجتماعية كلها أو بعضها خيالية فان وقائع القصة لا تشكل قصة بل قصصا أو صورا خيالية وأوهامـــا » . . .

ويشترط نقاد القصة أن تكون :

١) وحدة فنية متكاملة .
٢) محتوية على عنصر التشويق .
٣) خالية من الكلام الذي يشبه الخطب المنبرية .
٤) محتوية على الرمـــز .
٥) خالية من الغمـــز الصريح .

وهذه المجموعة من القصص القصيرة التي يقدمها نادي الطائف الأدبي لبعض كتاب القصة في بلادنا الحبيبة ، تتفاوت في الصور وتتباين في التعبير ولا ينطبق على جميعها الأسس الفنية للقصة ، ولكنها لا تخرج عن نطاق واحد وسمة واحدة لأنهـا تمثل واقع الحياة ولها صلة كبيرة بمجتمعنا الذي نعيش فيه ويشيع فيها روح بيئتنا وتقاليدنا وعاداتنا . .

ولعل القاريء الكريم يجد في هذه المجموعة صدق الأسلوب وحسن الصياغة وبواعث التشويق والتحليل الواقعي وأن تثير في نفسه الخواطر وتبعث فيها الأفكار ..

وسوف لا تعتم هذه المجموعة ان شاء الله اذا ما تجاوب معنا كتاب القصة في بلادنا ولبوا دعوتنا لهم بتزويد نادينا بقصصهم التي يرون صلاحية نشرها في كتاب آخر نحقق به هدفنا منشودا وغاية مطلوبة والله من وراء القصد .

رئيس نادي الطائف الأدبي

علي حسن العبادي

الزوجـــة الثانيـــة

بقلم : خليل ابراهيم الفزيع

أصيب بالذهول عندما علم بالأمر ، فلم يفكر ابدا بامكانها أن تتقدم عليه .. لقد قالت كلاما كثيرا ولكن القول شيء وتنفيذه شيء آخر .. الكلام مجرد نبرات صوتية لا تحمل اي دلالة عملية ، مهما كان الاصرار عليه ، فهكذا يفهمه ، أما ان تنفيذ كلاما سخينا قالته في صورة غضب فهذا ما يدعو للذهول فعلا ، ان الأمر لا يصدق .. لا يصـــــدق .

لقد خرج منها هذا الصباح وهي في حالة نفسية لا تختلف كثيرا عن حالتها في الأيام الماضية فهي تتذمر دائما وتلح عليه .. ليسمح لها بزيارة أهلها ، ولكنه لا يوافق على ذلك ، فهو أتى بها الى هنا بمحض ارادتها .. صحيح أنه أخفى عليها في البداية أنه له ثلاث بنات وأربعة ابناء ولكن هذا في ظنه كان ضروريا لنيل موافقتها على قبوله زوجا ، أو بالأصح موافقة والدها اذا كانت لم ترضى عن الحضور الى هنا فقد كـــان بامكانها الرفض ، لذلك فهو غير مسئول عما حدث ، كانت سيارة الأجرة تنهب الطريق وهي متجهة الى القرية حيث تقيم أسرته ، ولو كان بامكانه لحمل هذه السيارة تطير ، وكان يجلس بجانبه في المقعد الخلفي من السيارة أصغر أبنائه الذي حضر لأخباره بما حدث ، وكان الوجوم يخيم على السيارة حتى السائق الذي لم يعرف شيئا عـــن الأمر والذي لا يهمه أن يعرف شيئا عن سبب هذا الوجوم وجد نفسه يلجأ مضطرا الى الصمت بعد أن لقى عزوفا عن الكلام من قبل مرافقه وابنه ، وكانت المناظر تتوارى بسرعة واحيانا تختلط وتتشابك افكاره ، وكان حري به الآن أن يكون خالي البال مرتاحا من هموم الدنيا ومتاعبها لو لم يقدم على ما اقدم عليه ليرضى نزوة نفسه الطائشة .. كان ذلك في العام الماضي عندما ذهب للعلاج في بيروت من مرض عينيه ، وكللت العملية بالنجاح ، فراى أن يعطي نفسه بعضا من حقها في الراحة والاستجمام ، فقرر أن يقضي اياما في عاليه وقطن في نزل متواضع توفرت فيه كل اسباب الراحة ، كانت تباشير الصيف قد هلت ، فكان يقضي كل وقته متمددا على مقعد وثير في فناء المنزل ، وأمامه نضد صغير وضعت عليه مجلات كان اغلبها بلغات اجنبية لا يعرفها ومع ذلك فقـــد كان حريصا على تصفحها بتؤدة ليقتل بها الوقت اما في المساء فمع أنه لم يطلق لنفسه العنان ، الا انه لم يكن يأوي الى فراشه الا في ساعة متأخرة في الليل ، وفي احد الأيام الجميلة ، كانت نسمات عليلة تهب لتلطف الجو الذي بدات حرارة الصيف تغيره .. احس برائحة عطر تنفذ الى اعماقه وهو في جلسته المعتادة على مقعده ، ودون أن يتحرك حول نظره اليها ، ولم تكن انطباعته الأولى تختلف عن انطباعه اي رجل ينظر الـــى المراة بعين الشهوة ، ثم رآها تخرج بعد قليل من دخولها المنزل فتبعتهـــا نظراته

كان يتكلم وقد ملأت الحروف كل جزء من فمه حتى خيل لابراهيم أنه سيغص بالكلمات فأجاب بامتعاض :

ــ تشرفنــا

ــ اعمل معروفا . .

كان يظنه سيطلب حسنة .

ــ نعـــــم ؟

ــ أنت تعرف ابنة عمي صباح .

وبدا تفكيره يتجه اتجاها آخر ولكنه حاول تجاهل قصد هذا الشاب وان كـان لم يعرف هذا القصد تماما حتى الآن فقال :

ــ مــن هــي صبــاح ؟

ــ لا تكذب . . الكل يعرف ما بينكما من صداقــة .

وضايقته (لا تكذب) ومع ذلك فضل الصمت .

ــ المهم أن تعرف اننا مخطوبان من مدة .

ــ وما دخلــي ؟

ــ أبوها يريد فسخ الخطوبة . . والكل يتكلم عن زواجك من صباح .

زواجه من صباح . . فكرة جيدة . . ما أغباه . . لماذا لم يفكر في ذلك من قبل ؟ المسألة لا تحتاج الى تفكير . . نعم . . ليتزوج من صباح . . وعائلته وأولاده ؟ كيف سيكون موقفهم عندما يعرفون ذلك ؟ لا يهم ، فليس هو أول من يتزوج أكثر من زوجة واحدة ، صباح زوجته . . يمتلكها . . يسيطر عليها . . شيء رائع . . رائع . . حتى فارق السن لا يهم . . لا شيء . . لا شيء . .

وانتبه على صوت الشاب وهو يقول غاضبا مثل التلميذ الذي يغضب من استاذ ـ وهو يعرف أن هذا الغضب لن يكون في صالحه في النهاية :

ــ اسمع . . اذا تزوجتها ستندم .

ما هذا التهديد القذر ؟ لكن لا بأس من الاصغاء .

ــ ان والدها طماع ، وكل ما يريده هي نقودك ، وقد رتب الأمر مع خال لأيقاعك في الشرك .

هذا كلام نتن ، ورغم نتانته فقد شعر ابراهيم باللذة لسماعه ، فلما رآه ير التوقف عن الكلام سأله كأنما ليعمق جرحه الغائر حتى العظــام :

ــ مــن أخــبرك بهــذا ؟

ــ صباح أخبرتني ، وهي تقابلك على رغبة والدها الذي لا تستطيع عصيان أم ولو طلب منها أكثر من ذلك لما توانت عن الاقدام عليه عن طيب خاطر . . انها طيبة فلا تستغل طيبتهـــا .

ورغم تهديد هذا الشاب ، فقد بدأ في تنفيذ ما لم يفكر فيه من قبل .

ولم يكن امر زواجه يحتاج الى جهد ، فقد تم التمهيد له في الخفاء وتهيأت لـــه الظروف فلم يمض اسبوع على مقابلته لابن عمها حتى تزوجها ، ليحضرها بعد يومين اثنين لا غير من زواجها الى هنا حيث ستعيش تحت سقف واحد مع اسرته .. وبعد أيام من حضورها بدأت تبدي تذمرها وضيقها من هذه الحياة التي لم تكن تظن انهـــا ستعيشها ، وقابل تذمرها وضيقها بحزم رب الأسرة الذي يروق للجميع تمثيل دوره .

وارتفع صوت منبه السيارة وتوقفت لتترك الفرصة لحمير الشارع وهي ترزح تحت وطأة أعباء أحمالها الثقيلة ولكن ابراهيم لم ينقطع حبل افكاره ..

ومنذ بدأت بوادر الحمل تظهر عليها .. وتذمرها وضيقها في زيادة ملحوظة بل انها ذهبت الى حد الشعور بالكراهية نحو كل ما حولها ، فلم يجد بدا من ضربهـــا علها تعود الى رشدها ولكن ذلك لم يزدها الا الاصرار على عنادها ، وكانت زوجته الأولى تتمتع بكل ذلك بل انها لا تتوانى عن اذكاء نار الخلاف بينهما كلما سنحت لها الفرصة وفي احدى نوبات غضبها المتكرر هددت بأنها ستقتل نفسها اذا لم يعدها الـــى أهلها فسخر من هذا التهديد واستخفه ، ولم يتصور انها ستقدم على تنفيذه .. ولكن ها هو ابنه الصغير ينقل اليه النبأ المفجع الذي لم يتصور انه سيسمعه في يوم مـــن الأيام .. انها لا تقتل نفسها فقط بل وتقتل الجنين الذي في بطنها .. وبالتالي تقتله هو ، انها تنتقم لنفسها وانتقامها فظيع ، ماذا تريد منه ؟ لقد تزوجها بموافقة والدها ، ليحقق رغبة مفاجئة في تملكها ، وبعد ذلك انتهى كل شيء ، لم يعد ينظر اليها الا كما ينظر الى قطع الأثاث الاخرى الموجودة في منزله وهذا الموقف في نظره لا غبار عليه .. فكل الرجال هنا ينظرون الى كل النساء هذه النظرة ، فما معنى ان تطلب ما لا يستطيع ان يمنحهـــا ايـــاه ؟ ؟

وبدت مشارف القرية عن بعد .. لم يلبث أن تقلص تحت اصرار السيارة الجنونـ للوصول باقصى سرعة وعندما نزل من السيارة أمام منزله كانت اكثر من يد تمتد اليه وسمع اكثر من صوت يقـــول :

ـ البقيـــة في حياتـــك .

فتمتم بكلام لم يفهم ، كان يريد ان يردد :

ـ حياتك الباقيـــــة .

المحبـــة .. تولـــد مــن جديــد

بقلم : خليل ابراهيم القريع

الأجسام تنز العرق بغزارة والشمس المتربعة في كبد السماء بكبريائها المعهودة.. ترسل شواظا من نار حرارتها المحرقة والفلاحون يقومون بقطف البطيخ وتجميعه في مكان معرش .. جلس قريبا منه صبي انبطح تحت ظل شجرة وهو يعبث بالعشب الذي انسحق بعضه تحت ثقل جسمه ، وكان كوم البطيخ يكبر ويكبر كلما أضيفت لــه مجموعــة جديـــدة . .

كان البطيخ يعد تمهيدا لأخذه الى أسواق المدينة عصرا ، وتتبع الصبي بنظراته حشرة صغيرة تقترب منه ثم لا تلبث أن تغير اتجاهها ، فيفقد الرغبة في مراقبتها وضايقه العرق الذي يلصق ثبابة حتى بأصغر ثنايا جسده ، وبين الفينة والاخرى تهب نسمات مخدرة ، لا تلبث أن تزول وكأنها آسفة على ما بدر منها من كرم ، كانت مهمته أن يقوم بحراسة البطيخ من الحيوانات أو الآدميين ، بينما يعمل الفلاحون على جلبه من مناطق متفرقة في المزرعة الكبيرة ، كان الصبي غارقا في أفكاره التي تتأرجح بين البيت والمزرعة ، فهذه العطلة الصيفية مملة ، تتيح لعمه أن يجبره على الحضور يوميا الى المزرعة بسبب وبدون سبب ، ومع أن بقاءه في البيت لا يقل خواء عن حضوره الـــى المزرعة الا أنه يفضل المنزل لوجود أمه معه وليتمكن أيضا من اللعب مع أقرانه الذين يتاح لهم اللعب حيث لا عم لهم يرغمهم على الحضور الى المزرعة ، ولم يكن عمه يكلفه بأعمال تحتاج الى جهد كبير ، ومع ذلك فان الحضور الى المزرعة يضايقه .

كان لا يزال منطرحا على العشب الأخضر وهو يحاول هرش نملة بأصبعـــه ولكنها تهرب منه في الوقت المناسب ووجد لذة وهو مستمر في محاولة هرسها ، فلما وفق الى ذلك خيمت الكآبة على ذهنه ، وعاد يمسح العرق من وجهه وهو يتمنى أن تعود النملة الى الحياة من جديد ليتركها تعيش في أمان ، وانتبه الى قدمين تقتربان منه ، أوحت له طريقة مشيهما انهما ليس لأحد من الفلاحين فهما تنتعلان حذائين كان ثمنهما غاليا في يوم من الأيام ، ورفع راسه فوجد هذين القدمين تحملان جسما ضامرا بيد يتيمة ، في أعلى هذا الجسم راس لا يوحي كبره بغير المذلة والهوان ، وكانت اليد اليتيمة تحمل قفة فارغة واعتدل الصبي واقفا بعد أن قال وهو لا يشعر بالارتياح لهـذا القـــادم :

— مـــاذا تريـــد ؟

فأجاب بلهجة خالية من كل ما يدل على الاهتمام :

ـــ لا شيء . .

ـــ وما هذه القفة التي تحملها ؟

ـــ هي كما ترى فارغة وابحث عما يملأها . .

وتطلع الى الكوم الكبير من البطيخ ، ولكن الصبي لم ينتبه . . فسأله :

ـــ وبماذا يمكن أن تملأها . .

ـــ بما تيسر . .

ـــ بيد واحدة ؟

وكان الصبي بسؤاله هذا قد ذكره بأشياء لا يود تذكرها ومع ذلك قال :

ـــ نعـــــم . .

ـــ واين يدك الاخـــرى ؟

وبدأ غبش الضحى المرفق يستنزف العذاب من نفسه ، واذا الألم يطفو علـى صفحة وجهه بعد أن كان غائرا من أعماقه ، كان سؤالا بريئا . . فكر . . لا خيار . . قال :

ـــ كانت لي يد أخرى . . ولكنها سحقت ، كنت أعمل في مصنع ، وكانت احدى آلاته ستتحطم تروسها لوقوع قطعة حديد كبيرة بينهما ، وكان لا بد من اخراج هـــذه القطعة الحديدية ومعها يدي التي كانت مطبقة عليها ، وأنت الآلة وزفرت أنفاسهـــا الأخيرة . . وكانت يدي قد طويت داخلها حتى الكتف . . لم أصرخ . . كان الألم قد بلد مشاعري . . واستطاع العمال بعد جهد تخليصي من الآلة ونقلت الى المستشفى . . وعندما اصبحت بيد واحدة . . ومنذ سنوات وانا بلا يد وبلا عمل .

وشعر أنه تكلم كثيرا . . ولم تكن تعابير وجه الصبي تخفي تألمه للحادث ، فقد كان أثناء كلام الرجل يبدو مروعا ، وحاول أن يتكلم ولكن استمرار الرجل في الكلام لم يتح له الفرصة . . فلما سكت لم يقل الصبي غير كلمة :

ـــ مسكين . .

يطلقها مع زفرة جرى حملت في طياتها ابلغ دلائل المشاركة الوجدانية ، واذا به يأنس اليه بعد جفوة ويحدب عليه بعد قلى ولو كان يملك ما يساعده لما تأخر .

كان الحر لا يزال يشتد والعرق يتصبب من الأجسام ومنطقة من الظل صغيرة تشمل الجسمين الاول بمشاركته الوجدانية والثاني بمعاناته القاسية . . قال الصبي :

ـــ أنت فقدت يدك وأنا فقدت ابي . . كلانا فقد شيئا عزيزا عليه . . كان لـــي اب في يوم من الايام . . كان يملك هذه المزرعة الكبيرة . . وعندما توفي لم يعد لـــي اب . . وأمي لم تجد مانعا من أن تتزوج . . ومنذ ذلك الحين وهذا الذي أدعوه عمي قد تولى شئون المزرعة . وبدأ يتصرف فيها كأنها مزرعته .

ـــ هل هويضايقك ؟

ـــ انه لا يستطيع . وان كنت انفذ بعد طلباته فلان امي هي التي تملي تلــك الطلبات .. ما أشد الحر في هذا اليوم .. هل لديك أولاد ؟

ـــ ليس لي أولاد ولا اهل . .

واستغرب الصغير .. كيف يعيش انسان بلا أولاد ولا أهل ، ولكن لم يزده الا تعاطفا مع هذا الرجل ذي الأطمار البالية الرثة ، والذي كانت له في يوم من الايام يد أخرى كما كان له هو اب يعطف عليه ويحبه ولا يدفع به الى المزرعة في مثل هــذا الوقت الشديد الحرارة .. قال الصبي :

ـــ هم يقولون أن هذه مزرعتي وسأتولى شئونها اذا اصبحت قادرا على العمل وبعد ذلك سأعطيك ما تريد .. وانجست في ذهن الرجل فكرة .. فلم يتوان عــن التصريح بهــــا :

ـــ ولماذا لا تعطني الآن ؟

واشار الى كوم البطيخ المتزايد الحجم ، وكان الفلاح في تلك اللحظة يقف قريبا من البطيخ ، فتطلع اليهما لكنه لم يقل شيئا .. كان هو الأخر يحس أن الفقر والحرمان يلفانه في دوامة لا ترحم .

قال الصغير مستفسرا ومؤكدا :

ـــ وكيف أعطيك من اشياء لا أملكها ؟ هذه أعمال ليست طيبة . .

ـــ دعك من هذا .. لن يعلم أحد بالأمر . .

ولكن الفلاح القريب من البطيخ قد ذهب . . وبدأ الفلاحون على بعد لا يسمح لهم برؤية الجسمين القريبين من بعضهما ، والواقفين في ظل شجرة يزحف ويتقلص باستمـــــرار .

قال الصغير :

ـــ لن يعلم أحد بالأمر .. هذا صحيح .. ولكن هذه اعمال ليست طيبة .

ـــ ولماذا ليست طيبة ؟ سمعت احد الأطفال يقول أن المدرسة تعلم العطف على المحتاجـــين . . الا تذهــب الى المدرسة ؟

ـــ هذا صحيح .. وانا اذهب الى المدرسة . . ولكن . .

كانت خطوات تقترب منه اماتت على شفتيه .. كان القادم عمه ، فلما اصبح بقربنا كسا وجهه بابتسامة بددت القلق الذي ظهر على وجه الرجل ذي اليد الواحدة .. ونظرعطف الى الصغير وهو يخاطبه :

اين كرمك يا علي ؟ وكيف لا تعطي هذا المسكين شيئا ؟

وتناول القفة من الرجل ذي اليد الواحدة وملأها بطبيخا ثم وضعها فوق رأسه وهو يحثه على المجيء يوميا لأخذ ما تيسر .

كان واحدا من فلاحينا الطيبين ولكن الصبي قلما يجد فيه تجسيدا للسيطرة ، وذهبت جهوده لجذبه اليه أدراج الرياح .. ولكنه فوجيء بتصرفه هذا وشعر بالامتنان لأن هذا التصرف أسعده كثيرا فهو تمنى أن يقوم به ولم يقدر ، وبينما كان الرجل يبتعد فرحا لما حصل عليه .. كان علي يعانق عمه باحساس جديد قوامه المحبة .

يـــا زمـــان الحـــزن

بقلم : سباعي عثمـان

(قباء) تعلن في هذه اللحظة عن نهاية يوم آخر من رحلة الزمن الرتيبة ... ترى ماذا يحمل الغد في أحشاء هذا الليل الحزين ... ؟ اشياء كثيرة تتلاحق الآن بدون فواصل واضحة ... الماضي ينثر بين يدي صفحات وصفحات ، ثم ها هو الحاضر يتجسد بأحداثه المتناقضة ... هدوء تام يكاد يسود المدينة ... فكرت في الحزن والموت والإلم ... تساءلت عما اذا كان الحزن شيئا انسانيا ايضا ... ارتحت لهـذا المنعطف المريح في تصوراتي ، فقد كنت أبحث عنه منذ وقت طويل ...

في الجانب الآخر من الصورة تراءى لي (بلدوزر) البلدية ينطح مبنى قديما بدأ يترنح ليسقط بعد لحظات ... هنا سيفتح شارع جديد ... الروائين (القديمة) ، وذكريات العذارى ، واشياء أخرى حميمة تنسحق تحت عجلات الآلة العملاقة ، كما لو لم تكن شيئا ... تتلاحق الصور في حلقة مفرغة ... وجوه ... وأعين ، ورطوبة باردة تتصاعد من نوافذ سفلية عتيقة .

(تلق ملامح الحزن القديم) ... لفحني هواء بارد ، وأنا أفتح النوافذ المطلة على الشرفة الشمالية ... درت من الجهة الاخرى وفتحت النوافذ للشمس ... استنشقت الهواء بملء رئتي ... جلست في الشرفة ، وسرحت ... فكرت في الماضي والحاضر ، وما يخبىء الغد من احزان جديدة ... كنت أستبسل لأستذكر بعض دروسي ، فالامتحانات على الابواب ... تساءلت من جديد عن ماذا كان الحزن وما اذا كان الحزن شيئا انسانيا ايضا ... تمر السنون ، ولا تندمل الجراح : (تلك أيـام الحزن القديم ...) !

تطلعت من غلاف الكتاب المدرسي بين يدي : (الهام عبد الصمد مختار) ... حسنا ... هذا هو اسمي الثلاثي ... تبسمت بمرارة وانا اجتر الذكريات ... وقتئذ كنت الوحيدة من بين اخوتي ، التي بلغت سن المدرسة ... سن المدرسة ... كانت امي تمهد لذلك منذ شهور ، وانا أتباهى بين أخوتي ، فبعد سأذهب الى المدرسة ... سأحمل حقيبة ، وكتبا ، واقلاما ، والبس مريولا ، وحذاء جديدا ... ستضفر لي امي شعري على جديلتين تنتهيان بشرائط ، و (بكلات) ملونة : (ايه ... تلك ملامح الحـــزن القديـــم ! !)

مالت الشمس الى الغروب ، وازدادت طراوة الهواء ... اعتدلت في مقعدي ، واغرورقت عيناي بالدموع ... بقيت امسح الفراغ على اسطح الدور من حولي ...

شدتني مأذن الحرم النبوي ، وهي تزهو على البعد في خيلاء ... بقيت لحظة افكر ... عدت أتصفح الكتاب بين يدي من جديد ... فتحته واغلقته ، ثم فتحته واغلقته : (ابـي اسمه عبد المجيد) ... هكذا اسمعه ينادونه منذ صغري ... فمن هو (عبد الصمد) هــــذا اذن ! ؟

في ذلك الوقت كان السؤال يعبر ذهني بصعوبة (بالغة) ... ربما لأن الصورة لم تكن واضحة بعد ، لكن السؤال بقي في نفسي ، كما لو كان شيئا عجزت عن مقاومته.. بدأ يجتاحني احساس من الحزن كلما فكرت في هذا اللغز ... تأرجحت طويلا بيـن الرجلين .. كنت عاجزة عن تحديد الفاصل بين الاثنين ، ونوع انتمائي اليهما ... بيـد انني لم اجد في النهاية بدا من أن اطوي هذه الصفحة من حياتي ، ولو الى حين . !

طويت عبد الصمد ... ليكن تلك ، وليكن هو الذي يحدد هويتي في أوراقي الرسمية .. لا يهم ... كانت هذه ــ في الواقع ــ محاولة لأعيش حاضري بكـل متناقضاته ... أبي هو عبد الصمد ، وهذا هو كل شيء ... انه يصحبني الى المدرسة في الصباح ، ويعيش معي اذا عدت الى البيت آخر النهار (ايه ... يا زمان الحزن ... ماذا فعلت بنا ؟) . .

توارت الشمس ببطء كأنما شدتها حبال مجهولة الى أسفل ... كأنها سقطت في بئر وراء الكون ... أحمر الأفق في جلال : (الله أكبر ... الله اكبر ...) تجاوبت جنبات المدينة في خشوع اللحظة ... بقيت أردد مع المؤذن : (الله اكبر ... الله أكبر ...) ارتحت بشكل مفاجىء ... اختلطت أصوات الطيور العائدة الى أوكارها بهمسات خافتة هنا وهناك ، وأصوات خطى متعبة على الأسفلت ، وأبواب تغلق ، واخرى تفتح ، وسعال حاد بدأ فريدا وسط كل هذا الخليط ... تطلعت الى احزمة الضوء حول مأذن الحرم ، كما لو كانت عقودا من اللؤلؤ تتوهج في الفضاء ... كـان الهدوء يسود كل شيء ... اعتدلت في جلستي ، وتأملت الكتاب بين يدي ... لم اقرأ فيه سطرا واحدا ... اتسعت المتاهة ، وانفتح أمامي أفق عريض من الضياع ... احسست كأني أنشطر بين عبد الصمد وعبد المجيد ... غرقت في حزني أكثر ... لا ادري لماذا أحس بأن صلتي بعبد الصمد اقوى من صلتي بعبد المجيد ... وها هـو يحدد هويتي في الورقة الابتدائية ... أول فرحة في حياتي ... عاد السؤال مـن جديد : من هو عبد الصمد ... واين هو .. ؟ وبدأت استنتج ، ولكن بدون فائدة وكأن شيئا ما ، يضغط على انفاسي بقوة ... لجأت الى أمي ... كنت اريد ان ارتاح ... ارتميت في احضانها ، وبكيت طويلا ... وقتئذ كنت متعبة الدواخل ... ارتاعـت هي ... وضعت يدها على رأسي وجبيني تتحسسني في رعب ... سألتني بالحاح :

ــ ما بك يا حبيبتي ... ؟

لم استطع أن اجيبها بغير الدموع ... احتبس صوتي ... كان في صدري شيء غامض ... يخنق كلماتي ... شيء اخاف أن ... اعرفه ، واخاف ان اجهلــه : (ايه ... يا زمان الحزن ... ماذا فعلت بنا ؟) .

تلاحقت الصور في ذهني بدون فواصل واضحة ... يومها ، ربما كنت في الثانية عشرة ، ليس بالتحديد ، ولكنني كنت واعية ... اذكر ذلك جيدا :

ـ الهام ... الهام ... الهام ... ؟؟

طرقت عيناي فجأة ، وانتبهت ... اقتلعت افكاري بصعوبة شديدة من ماضي الذكريات ... استيقظت من حلم سحيق :

ـ نعم ... انا هنا يا ماما ...

جاءتني أمي الى الشرفة ... وقفت تتطلع الى وجهي لحظات ... قرأت في عينيها تساؤلا حزينـــا :

ـ انت متعبة يا بنيتي ... لا ادري لماذا تحملين كل هذا الهم ؟

طبعت على جبيني قبلة مفعمة بالحنان ... اجتاحني شعور مريح ... عانقتها بحب كبير ، كما لو كانت هي ماضي وحاضري وغدي ... تمنيت أن أذوب فيها تماما ، أو أعود جنينا الى أحشائها ، ثم لا أولد أبدا ... تركتني وعيناها مغرورقتـــان بالدموع ... عادت الى الداخل ، وهي تحاول اخفاء وجهها عني ... تابعتها في حزن مشفق ، وهي تستقبل القبلة لتؤدي صلاة المغرب ...

تصورتها وهي في شرشف الصلاة ـ كما لو كانت ملاكا هبط من السماء ليقف الى جواري . عدت الى أفكاري من جديد ، وكأنما قوة قاهرة تشدني اليها ... مرة أخرى فتحت الكتاب ، وأغلقته ثم فتحته ، وأغلقته بدون أن أقرأ سطرا واحدا ... زفرت زفرة طويلة ... انتزعتني أختي ليلى من ... سرحاتي ... جاءت تركض من الداخل في فوضاها المعهودة لتستوضحني بعض الذي استعصى عليها في واجب الهندســـــة :

ـ سيبيني في حالي ـ يا ليلى ـ الله يخليكي ! ؟

لا أدري ... لماذا كنت اكره مادة الهندسة طوال سني دراستي ولكن لا فائدة مع ليلى ... قفزت الى مقعدي لتطوق عنقي بكلتا يديها وراحت تقبلني :

ـ يخص عليكي ـ يا أبله ـ ترى والله ابكي دحين ... هه . ؟

قضيت معها وقتا أعينها على حل مسألة معقدة ... عادت ليلى بكتبها ، وجلبتها وفوضاها تتقافز في رعونته ونزق ... كم احسد ليلى على حياتها المرحة : (ايه . . . تلك ايام الحزن والدموع . . !) ... فجأة اشتبكا ـ ليلى واخي هشام ـ في الصالة ... صنعها الأحمق كعادته ودارت بينهما معركة ... اسرعت اليهما أمي ، وبدأت تحقق في الموضوع حيث ضاعت بينهما كالعادة ! !

لم اتابع ما حدث بعد ذلك ... احسست بضيق لهذا الفاصل الذي أوقف تفكيري ... ما زال الكتاب بين يدي ، ونسائم الشمال تداعب ستائر النوافذ في رقة ... لهتني حركة المارة على الشارع بعض الوقت ... تأملت غلاف الكتاب من جديد : (الهام

عبدالصمد مختار) تجسد امامي زمان الحزن والدموع ... ابتسمت بمرارة وانا ارثي الحال ... كنت طفلة بائسة حقا ، وتتئذ بكيت على صدر امي طويلا ... يومها الحت هي في السؤال ... اذكر اني توقفت فجأة عن البكاء ... واكتست وجهي مسحة من الجمود والتصميم :

ــ امي ... انا حائرة ... اصدقيني القول أرجوكي ... ؟

فوجئت هي ... ولحظتها فطنت للمأزق الذي وقعت فيه ، ولكنني لم اتح لها اية فرصة لتنسج لي جوابا مناسبا كالعادة ...

قلت لها :

ــ من هو أبي ... واين هو ... ؟

اصفر وجهها برغم انها حاولت ضبط مشاعرها ... قالت في ارتباك :

ــ ما بك يا بنيتي ... هل نسيت ... اليس ابوك هو عبد المجيد ؟

حسنا انها تحاول أن تستخف بعقلي ، ولكن يبدو انها حتى الآن لم تفطن الى السؤال التالي ... قلت لها : وانا أتوقع استسلامها :

ــ فمن هو عبد الصمد اذن ... ؟

ارتبكت وتغير وجهها :

ــ ... هه ... ؟

حاولت أن تبعد عينيها عن عيني اللتين كانتا مركزتين داخل عينها ولأول مرة اكتشف ضعف أمي ، ومدى الجراح التي كانت تعانيها : (ايه ... يا زمان الحزن ... ماذا فعلت بنا ... ؟)

ضحكت أمي ضحكة باهتة ، ربما لتقلل من أهمية الموضوع ... قالت في صوت حزين :

لا تشغلي ذهنك بهذا الموضوع ... ماذا يهم سواء كان ابوك هو عبد المجيد أو عبد الصمد ... ؟

تطلعت اليها في عجب ... هل من الممكن أن تتصور أنني من السذاجة بحيث لا ادرك اهمية هذا الحدث في حياتي ... تابعت هي في عطف :

ــ هيا قومي واغسلي وجهك ...

هكذا ببساطة ... ومع ذلك لم يعد خافيا على مدى الضيق الذي بدات اسببه لها ... ذلك يحزنني كثيرا ، سألت نفسي هل اصبحت انسانة لا تطاق بسبب ثرثرتي الملحة في هذا الموضوع ... بدات ارتاب واشك في كل نظرة من عيني أمي ... قبلتني هي بألم كان واضحا على وجهها برغم اصطناعها جوا من المرح ... بيد انها لم تستطع انتزاعي من افكاري .. التي اصبحت أقوى مني فقد كنت في سن لم تعد تقبل مثل هذه الحلول ... التائهة ... كان الحزن يقتلني ، واتألم بقدر هائل ، وكنت الاحظ امي وهي تعاني اضعاف هذا الألم ، وكنت انا في لحظات تعقلي النادرة اتحفظ في الحديث

معها حتى لا اثير احزانها برغم انني كنت مشوقة لمعرفة ما وراءها ولكنني في نفس الوقت كنت اخاف ان اعرف ، واخاف ان اسأل ... عذبتني الحيرة ، وعذبني جهلي بأمور كثيرة هي من صميم خصوصياتي ... كان مشوارنا طويلا وشاقا ، بيد أن أبي عبد المجيد كان يظللني بوارف عطفه ... كان المحطة التي استريح عندها ، فينام السؤال ، وبهذا الفضول في نفسي ، ولكنه هدوء وكذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة ... بعد ذلك حدثت اشياء صغيرة ومواقف ... ربما كانت بلا قيمة ، ولكنها حركت الجراح النائمة في النفس ... الصغيرات يسألني ... بعضهن في .. عفوية بريئة وبعضهن في خبث لا تخلو منه غمزات نوع ذكي من الاطفال :

ــ ألم يعد ابوك يا الهام ... لقد قلت انه مسافر ... ؟

وهذه نفعة قديمة لأمي في بعض فترات طفولتي :
ــ يا حسرة عليها ... حتى أبوها مسافر من يوم ما اتولدت .. !

هذه (لمياء) طفلة ماكرة ... وترد زميلتها (ندا) ، أذكى طفلة في سنتنا :

ــ والا يختي ... يمكن من قبل أن .. ما تتولد ! ؟

وتتضاحكان في استفزاز ... وأبكي أنا ، وأغرق في حزني ... كنت أتهرب منهما وأتألم ...

تطورت اسئلة الصغيرات ، فقد كبرن ... وكبرت ... وتفنن في الغمز واللمز ، وأنا أضيق ، وأضيق حتى لأكاد أتوارى داخل نفسي ، ... فأجدها أعجز من احتوائي ... تطور تفكيري ، واصبحت اكثر قدرة على الاستنتاج ، وكانت حيرتي بدأت تتركز حول عبد المجيد ، فاذا هو ليس أبي وانما هو جدي لأمي ، ولم يكن من الصعب أن أدرك هذه الحقيقة بل صرت أناديه (جدي) ولم يكن خافيا على مدى ما أحدثه هذا التحول من ضيق لدى أمي وجدي ، لكنهما لم يحاولا اعتراضي مخافة أن يثير هذا الاعتراض اثبات بديل مقنع لما توصلت اليه أنا وحدي ... !

اذن عبد المجيد هو جدي ، وفي المدرسة تؤكد أوراقي الرسمية أن أبي هو عبد الصمد ... ولكن اين هو عبد الصمد ... ؟ لا أحد في هذا البيت يريد أن يقول لي ... هل اركض في الشوارع ، واصرخ .. بأعلى صوتي : يا بابا .. عبد الصمد ... أيــن انـــت ؟

وقتئذ احسست بالفعل انني بحاجة الى ان اصرخ بأعلى صوتي ... أمي لا تجرؤ على مكاشفتي بالحقيقة التي اخافها ، واود ان اعرفها ولا اريد ان احرك في صدرها تلك الخنجر المجهول ليدمي جراحها النائمة ، وجدي ، يتذاكى على طفولتي بحنانه الذي ينسيني كل شيء ، وانا بطول حيرتي وعذابي : (ايه ... يا زمان الحزن والدموع ...) فكرت كثيرا ... ولم يكن أمامي ملجأ سوى جدي ...

سأقتحم خلوته الليلة ... سألح ، والح ... حتى يقول لي كل شيء !!!

وكأنه يتوقع شيئا كهذا ... لاحظت على الفور ـ وانا انتصب امامه ـ انه قرا افكاري طأطأ راسي ، وارتبكت أمام وقاره ... كانت عيناه تبتسمان في حزن وتقولا كل شيء ... كانت فيهما حكاية طويلة ... ضمني اليه بقوة ... كانت عيناه مليئتان بالدموع ... بكيت انا الاخرى في صمت ... قال لي والعبرة تخنقه :

ـ اعلم يا بنيتي ما تعانينه ... ولكن لا تهتمي !

وكأنما قد تفاهمنا من خلال مشاعرنا في صمت ... قلت له :

ـ ولكن أين هو ... ؟

تطلع في الفراغ طويلا وقال في برود :

ـ انه يعيش بيننا !!

احسست كأن فراغا هائلا انفتح في ذهني ، وكأنني على وشك السقوط فيه ... تابع جدي في نفس بروده :

ـ وربما تكونين قد صادفته وأنت في طريقك الى المدرسة ، أو ربما وأنت عائدة الـى البيـت .

ـ (أبي ... أنا صادفته ... في طريقي الى المدرسة ... هه هههه ... هل من الممكن أن ... ههه ؟) .

سقطت في الفراغ الذي طواني بدون رحمة ... تمنيت أن أصل حالا الى قراره لأستريح ... سرحت بعيدا ... الى الشارع ... رحت أجري هنا وهناك أتصفح عشرات الوجوه ... ترى يكون عبد الصمد هذا البقال أم هذا الكهل ... الطويل أم ذاك الشيخ ... الشيخ ... أم هذا الأسمر الوديع ... لا ... ربما هذا الذي يبدو رقيقا وقورا ... وعشرات الألوان والسحنات كلهم صادفتهم ... لكن يا الهي كيف يمكنني أن أركز ... هل أركض في الشارع ... واصرخ بأعلى صوتي يا بابا ... يا بابا ... يا عبد الصمد ... قطعا سيلتفت أحدهم وسيكون هو عبد الصمد (أبي) بـدون شك .

ايه لقد اضعت وقتا طويلا من عمري ... !)
انتشلني جدي من سرحاني ! وهو يتابع :

ـ ولكنه لا يريدكم ... فلماذا تسألين عنه بكل هذا الألم . ؟

واذا كانت مسيرة الكون يمكن ان تتوقف ، او كانت السماء يمكن أن تكون أرضا والارض سماءا ، فان الذي يحدث الآن لا بد أن يكون ضربا من الأحـلام . !

ـ (أبي لا يريدنا ... لماذا ! ؟)

خيل الي ان كل شيء يتبطأ الآن في هذا الكون ، ويرتخي ، وأمل احتضنته سنين طويلة يترنح في هذه اللحظة في سبيل مؤكد ... انهيار مؤكد ... بقيت لحظات جامدة احدق في الفراغ :

(ابي بيننا ... ربما اكون قد صادفته ... يتركنا لماذا ؟) ... لا أكاد أفهم .. ؟ لا اكاد افهم ... لقد كنت أرسم له صورا رائعة ... تصورته فارسا على صهوة جواد ابيض سيعود منتصرا ذات يوم ... وأحيانا ضابطا تتلالا على كتفيه نجوم لامعه ... وعلى صدره نياشين ملونة ... تصورته مقاتلا ، وطيارا ، وأستاذ مدرسة ، وصورا أخرى عديدة جمعت فيها كل بطولات العالم ... بيد اني أستفيق الآن من أحلامي لأجد الكون لا يزال يسير ، ولا تزال السماء هي السماء ، والارض هي الارض ... لم يحدث اي شيء برغم كل شيء ... !!

فجأة سقط الفارس من على صهوة جواده ، وعاد الضابط مهزوما بلا نجوم ، ولا نياشين ... لقد سقطت كل مدائنه ... عاد وفي عينيه الخيبة واليأس ... !

سألت جدي ، وقد فتر في نفسي ذلك الفضول :

ــ ولكن لماذا تركنا ... ؟

أطرق برأسه بعد الوقت ، وكأنه يسترجع ذكرى حزينة :

ــ تلك نزوة من نزواته ... !

ترنح الأمل الوداع في صدري ، وهو دفعة واحدة ... قلت لجدي :

ــ ألم تكلمه من أجلنا ... ؟

ــ بلى ... ولكنه لم يسمع ... كأن قلبه قد تحجر ...

ــ ألم يقل لماذا تركنا ... ؟

ــ انه يعيش حياة طائشة يا بنيتي ... وهذا كل شيء ... !

بكيت طويلا ... احتضني جدي في محاولة للتخفيف عني ... نهضت فجأة وقد خطر لي خاطر :

ــ هل تسمح لي بمقابلته ... ؟

فوجيء جدي بهذا الطلب الجريء ... كنت أريد أن أواجهه ... ان أكلمه باسم هذا الدم الذي ينبض في عروقي ... بكل خفق البنوة الذي يشدني الى ابوته ... تعجب جدي ، وهو يرى هذا التصميم في عيني .. قال في هدوء :

ــ لا يا بنيتي ... لا يا بنيتي ... أخشى عليك من صدمة جديدة ... صدمة جديدة ... !

قلت له وأنا اواجه هذا التحدي :

ــ لا يهم ... !

قال في تحدي هادىء .

ــ واذا صدك عن وجهه ... ؟

توقفت قليلا اتأمل عبارته ... (يا الهي ... هل بلغت به الحال الى هــذه الدرجــة ... ؟) .

ــ أنت لا تعرفينه كما اعرفه ... أنه يغرق في طيشه ، ولا يرى ما حوله الا دائرة نفسه ، وسيظل يلهث وراء رغباته الشرهة حتى يموت . !

كان جدي يتكلم ، وانا أعيش في خدر بارد ... تبلد احساسي وجمد في نفسي كل شيء ... تابع جدي :

ـ هه ... الا تزالين مصرة على لقائه ... ؟

شعرت بمرارة قاتلة ... قلت في برود :

ـ لا ... ؟

كانت دموعي قد جفت ، واجتاحتني رغبة شديدة في أن أنساه تماما .. تهالكت في مكاني محطمة الدواخل ... صداع حاد بدأ يشطر راسي شطرين ... شعرت بأن راسي قد اصبح اكبر من حجمه الطبيعي ...

(قباء) تعلن في هذه اللحظة عن نهاية يوم آخر من رحلة الزمن الرتيبة ... أشياء كثيرة تتلاحق الآن بدون فواصل واضحة ... الماضي ينثر يدي صفحات وصفحات ، ثم ها هو الحاضر يتجسد باحداثه المتناقضة ... فكرت في الحزن والموت وأبي الذي تركنا بدون أن يقول كلمة واحدة ...

(بلدوزر) البلدية ينطح مبنى قديما يترنح الآن ويسقط دفعة واحدة ... هنـــا سيفتح شارع جديد ... بدأ الهواء يزداد برودة ، .. تطلعت الى الكتاب بين يدي ... فتحته واغلقته ،ثم فتحته واغلقته ، وانا أتثاءب ... لم اقرأ فيه سطرا واحدا : (ايه... يا زمان الحزن ... ماذا فعلت بنا ... ؟) ... شدتني منائر الحرم ، وهي تتشامخ على البد في خيلاء ... ارتحت كثيرا وانا أترك الشرفة عائدة الى غرفتي ... تساءلت في نفسي :

ترى ماذا يحمل الغد من احزان جديدة في احشاء هذا الليل الحزين ... ؟ !

ثـــلاث حـــالات

بقلم : فهد الخليوي

« الحالـــة الأولـــى »

الجوع والفراغ وبحر ـ جدة ـ الكئيب .. حوار جنائزي يدور عبر اشلاء القلب .. الرائحة الكريهة تنبعث من وحل البحر وتصعد الى الأنوف كالمرارة .. والرجال يتفرقون ثم يحتشدون كالقمل في الساحات الأسفلتية الرطبة .

ـ جدة مدينة مغتربة لا تكف عن الدمع مطلقا !! رن جرس الهاتف وكانت ـ ليلى ـ يبدو أن زوجها يمارس مجونه « العدمي » خارج البيت كان صوتها رخيما مكيجته ببعض الدلع الأنثوي ، وربما انها استعانت نكي يصبح صوتها رخيما بذكرى طفولتها الأنوثية عندما كان صوتها « كمنجة » كما يصفه .. زوجها أنذاك أثناء تعارفهما .. شعرت وليلى تحدثني بغثيان ثقيل الا أنني أردت أمام مسمعها أن أحقق حلمي وهو أن أعلن لأية امرأة أمام مسمعها انني أكره النساء .

ـ ليلى أنني أكره النساء ..

ضحكت باستهزاء :

ـ دجال والله دجال يا ابن .. !! الجوع والفراغ في بحر جدة الكئيب . .
سحر ايحائي يبث في الدماء قدسية الانتحار :
ـ دجال والله دجال يا ابن .. !!

تحول صوتها الى معزوفة غجرية الصدى دارت رقصا في شرايين رأسي ثم ما لبثت أن تخللت بكافة جسدي :

قالـــت :
لا تقرا كثيرا ستصاب بلوثة عقلية !!

احسست أنها تفترض اشياء خيالية .. فالقراءة بالنسبة لي لا تعني الخلاص الحقيقي للمرء .. حتى الكتابة لا تؤدي الى تصحيح الأشياء بل هي غالبا افراز ذاتي مكبوت يطفح على الورق . .
قلت بلذة متناهية :
ـ النساء لا يخدمن أهداف النساء العليا !!

عقبت باستغراب :
ـ أنت معقد مريض !!

طفت على لساني وقاحة شرسة على اثرها بكت ليلى ..

« الحالـــة الثانيـــة »

من جواري مرت فارة شهباء يبدو عليها اثر الحمل .. انتفضت أوصالـي وبصقت .. وكان الشارع شاحبا والناس تغور في ملامحهم بلادة الخشية وتطمس تجاعيدهم البشرية ..

حدقت بعيدا وصار الشارع في مرمى بصري .. بطن تتصارع داخله كائنات بشرية مطمورة تصر على البقاء ، الأسوأ .

.. عبرت الفارة من الشارع واتجهت الى أحد مراحيض البيوت واختفت .

« الحالـــة الثالثـــة »

« مقطع من حلـــم »

يمتد الظل تحت الجبل كخط متعرج ويأتي حشد من الملأ جاؤا من الصحراء عطاش يثرثرون حزنا ويأسا ، ويهتز الظل بهم وبالجبل .. ثم تنطمر خطاهم تحت غزارة الرمل .. يظهر رجل أعزل وينادي جموعا من الجياع .. وتشنق — قهقهة — سيد الجبل أمام الحشد البشري ..

وتنشر دماء متخثرة تجمد داخل الأدغال وتتحول الى قطع صلبة ترتمى عبر البعيد .. وتشكل مغارة موحشة .. يظهر الرجل مرة ثانية ويبتسم للحشد الهائل والدهشة ترسو على شفتيه .

عـــن قريـــة هجرتهـــا شاحنـــات القمـــح

بقلم : فهد الخليوى

ـــ آه يا مضاوي ، قلتها عشر مرات في لحظة واحدة وتلونت « الآهة » الوانا تزحية على جبينك المنقط بحبيبات الشباب .

الشباب تعويذة من تعاويذنا الخانقة تجيء في حطام الثواني كرعشة برد هرمه ، وتسقط في حناجرنا مثل وشوشات حزينة وانتظارات مروعة . لا شيء يمنحني قداسة وجودي عدا جسدك الأعمى ، أحدق بالجبال السود التي فطرها « الجذام » وأصرخ :

ـــ من نشل جسدك الشهوي ؟

أنا وأنت والشاعر الذي أحرق قصيدته داخل صدره مطالبون بالانقضاض على أســـــراب « البق » .

لقد تعفنت يا مضاوي طينة الارض وتبلدت حاسة الشم في أنوفنا . بأنياب الوحش .

عندما تقدم سيد المدينة فانه قرر حرمان هذه القرية من مرور الخط البري المعبد عـــلى سوقهـــــا .

وانهى الخطيب البيان ، واختصر شتائمه على « اليهود » وتمرغ كالنملة تحت قدمي سيد المدينــــــة .

« باسم رجال ونساء وأطفال القرية المؤمنين بالله والرسول ، نتوسل اليكم توسل العبد لسيده بالعدول عن هذا القرار » . ثم قدموا اليه كتابة سحرية نقشت فوق جسدك النابض ، وخرموا قدمك الرشيق بالخماخم الذهبية والحجول الفضية ووضعوك « تمثالا » أفريقيا وسط المائدة المستديرة بصحون اللوز الحجازي والبلح النجدي .

وكانت المائدة قنية ضيقة فجرتها خمرة نهديك ، وعندما التهم كل ما حوتـــه موائدهم ، فقأ عينيك وملأ هيكلهما العظمي ببول حيواني متعفن ثم ذهب من القريه ومنع اطفالها من تقديم هديتهم لسيد المدينة ، وتجمعوا حولك يا مضاوي يجهشون بالبكاء وبكذبة سوداء تذفت تحفتهم المنحوتة من عظام الثعابين الميتة في متاهات المجهول .

منذ ذلك اليوم وأرحام النساء مصابة بالاجهاد الموبوء ، يتجمعن كالطوابير خلف غرف المستشفيات العامة ومن أحداقهن تعوي شراسة المخاض وقرب الولادة العسيرة .

ـــ آه ـــ يا مضاوي يا جسدا وديعا خرموه بالخماخم الذهبية والحجول الفضية .

لهذا انت قريانا يتسابق على تقديمه للحيوان القادم كل تجار الذهب والقمح ، لقد باعوا ضفائر شعرك الشمسي بالمزاد ومن احدى الأمسيات الرطبة الكريهة بصموا في محاربهم الملوثة صكوك البيع .

والخط البري المعبد لظروف (طارئة) اتجه نحو جهة لا تعرفها الجهات الاربع ! جهة لا تهب منها ريح ولا تبزغ فيها شمس . وقريتنا هجرتها شاحنات القمح وخدرت نشوة فجرها دعارة النفوس السرية المقنعة .

وحمحمت بطون التجار والمتاجرين المنتفخة بانتظار الحيوان القادم . وانت جسد مفقود العينين بالت في خلاياه الأنوثة شهوة الغربان المهاجرة وكبرت في رحمه لعنة الجنين وحقد أطفال الشمس القادمين .

٢ ــ اللقاء الاول

مشطوا ضفائرك الريفية بورق « السدر » وخضبوا كفيك « بالحناء » وتم زفافك الوحشي في أمسية ظلماء من أماسي الصقيع ، علموك كيف تستخرجين من حليب نهديك الفائرين لبنا مسحورا يقلب جماجم الرجال ، وكنت عروسا تزف ملايين الزفاف على مدار فصول العــام .

أحبك كما تنص « سننهم » مزيفو الذهب وجامعو العملات الملغية وقراصنة الزمن المنهار ، وشفتاك يا مضاوي خمرة ترتجف تنهش ذل الأسياد واللقطاء ، وحملت الرياح تراحيم صوتك التراثي نغما بدويا يتمزق عبر أزقة المدن المنتحرة .. وصوب اليمين عرج الخط البري المعبد قاذفا بقريتك اليتيمة جوف متاهة الجهات .

جسدك جزيرة من الحقد الغائر في أحداق الأطفال وخطيئة سوداء في أوقــاد الارض المسروقة ــ آه ــ يا مضاوي يا نسل الظباء يا طفولة نحتت هياكل الحكماء ووضعت في شارتها التي لا لون لها بعد ، علامة ازلية لموعد العاشق الجديد الذي هاجر ولم يعد حتى الآن .

وظلت الرياح تحمل ترانيم صوتك التراثي وعاشقك الذي مزق رحم أمه السميك يعزف عبر « ربابته » ذات الوتر الوحيد بداية « السيمفونية » والسماء من حوله تمطر هالات من حزم الظــلام .

٣ ــ اللقاء الثاني والاخــير

عشاقك يا مضاوي يكتبون لك رسالة مطولة عن قسوة عصورهم الجنينية ، يكتبون لك من ملاجيء العهد بعيون ثعبانية تغتال كل من له علاقة من المتاجرة بأعضاء جسدك المقدس ويملكون في صدورهم كالحقد خطى الحيوان الذي عرج بالخط البري المعبد عن قريتك وعن شاحنات القمح وهجراتها لسوقها ذي المنافذ المنسقة .. يكتبون

لك عن قسوة عصورهم التي تشب في دمائهم كالخمرة العتيقة ، وعن لقائهم الحاقد لعصـــور الانحطــاط .

وانت جسد مغمى عليه في قارعة الطريق مفقوءة العينين ، ترسم جماله البدوي ذرات الرمل وخمرة الطين .

كـــان مـــا كـــان

في احلك العصور سوادا يا مضاوي « رواية » رديئة بفعل رداءة السنة الرواة « فكرة » عنيفة شوهت دنياها حراس المواخير .

عندما تحول جسدك الى حقنة سم ثعباني صلبوا عشاقك فوق مشاجبهم النخرة وحملتك مساحة المسافات البعيدة نحو تكتلات الضوء ومكان الشموس .. الخريفية وتجسدت اطيافك في ادغال المنافي الشاسعة تزيدك الأزمنة القادمة دفئا وبكارة .



خضـــــــراء

بقلم : محمد علي علوان

احببت كثيرا .. تعذبت .. فالحب نوع من اللذات المؤلمة .. ليال كثيرة في الشتاء القارس احاول ان انظم قصيدة .. وفي ليالي الصيف كانت تواتيني الجراة لكي اخرج ومعي ذلك (المشعاب) كأنه سيف عنترة وعبلتي السمراء تغط في نوم عميق نعم .. كان حبها فريدا رائعا يجعلني احس بالصفاء في الوجوه من حولي .. اشعـــر أن العافية تدب في كل شعيرة من جسمي حينما تبتسم .. وتسود الدنيا في عيني .. عندما تمر دون القاء التحية .. تعبت وانا أحاول اللقاء بها لكن دون جدوى .. استعملت كل الطرق .. اخترعت حيلا لا تخطر على بال .

خضراء .. خضراء .. ليست شجرة ولكنها حبيبتي .. هكذا كانوا يسمونها .. وكنت احس بنشوة غريبة .. فها قد أصبحت بطريق غير مباشر مثل شعراء القرية الذين لا يحلو لهم سوى التغني بالأخضر .. ولا أدري اهو ارتباط بهذه الجبـــال الخضراء .. الرائعة التي لا تمنحهم سوى متعة النظر واشعال النار .. واتخاذ الســـــواك . .

خضراء لا بد أن أقابلها .. وافعل كما يفعل الآخرون .. ليلة من ليالي رمضان والسوق الكبير يمتليء بنا .. نلعب .. نصرخ .. نضايق أهل المتاجر .. حتى يحين مدفع السحور .. الظلام يحتضن كل شيء الا تلك الأضواء القادمة من المتاجر .

حلقة كبيرة اجتمع فيها شباب ضخام الأجساد يرتكزون على تلك المشاعيب ننظر اليها بهيبة .. فكأنها سيوف ذي يزن .. وابي زيد الهلالي .. وخليفة الزناتي كنا نطرد في كل كرمه .. لأننا صغار .. الفضول يستبد بنا وهم يدبرون أمرا .

ظافر .. أحدهم كان صاحبي تركتهم وانا أعرف أن الاخبار سوف تصلني وأسرار هذا الاجتماع سأطلع عليها بالكامل .

عرفت فيما بعد .. انهم حصلوا على كتاب سحر .. جاء به احدهم من مكـــان بعيد .. وهم سوف يحاولون ان يفيدوا منه .. صرخت في وجه صديقي .. كتـــاب تافه .. ثم اردفت والرغبة في المعرفة تاكل حلقي ولكن ماذا يمكن ان يقرا فيه . هل هناك ابطال غير عنترة .. وسيف بن ذي يزن .. التفت الي وكانه يخفي سرا ثم جذبني من اذني بقوة آلمتني وهمس بعد ان التفت يمنة ويسرة .. تستطيع بواسطته أن تحضر الجن ... وتطلب ما تشاء .. اي شيء يخطر على بالك .

— اي شيء ؟ . وضحكت ضحكا صادقا صافيا وقلت له :

ـ اتدري ماذا اطلب ؟

هز راسه مبتسما .. قبل ان اتفوه بشيء .. عرفت ايها الذئب الأغبر تود مقابلة خضراء . واشرقت عيناي .. فهذه نعمة لم اكن انتظرها .. سألته ولكن قل لـي مع من الكتاب ؟ وقال لي اسم صاحبه .. امتعضت فهو شرس لا يعيش الا علـى اذية الناس وسرقة بساتينهم .. سجن اكثر من مرة .. يتيم .. استولى زوج امـه على كل نقوده .. خلق منه وحشا ينتقم لذاته المهزومة .

اليوم التالي .. ولأول مرة .. أحس بطول النهار .. ومكثت ارتقب المؤذن لكي يصعد الى أعلى المئذنة البيضاء .. يقف طويلا .. ثم يخرج العلم الاحمر يلوح به ..

وهناك في الجبل المقابل تندلع النار .. ويضرب مدفع الافطار .. ابتلعت حبة من تمر .. فنجانا من القهوة .. صلاة المغرب .. وصلاة العشاء .. تسللت من صفوف المصليـــــن .

ـ ظافر ماذا حدث ؟

أخذني بيدي وتحت زاوية بيت قديم .. همس أذكر الله .
أخذ الخوف يدب في اوصالي . ـ وافقوا .
بصوت مبحوح : مفاهم ؟
ـ الذين لا يذكرون .
ازدادت دقات قلبي .. خرجت .. الى الضوء .. جرى مسرعا ورائي ..
ـ ماذا بك ؟ خضراء الذي يسعى اليها جميع الشبان .. الا تريدها ؟
تجلس معها .. تحدثها .. بل تقبلها ..
صور حلوه .. أحلام لذيذة بلا وعي قلت له : ماذا تريدني أن أعمل ؟
ـ كفك وعشرين ريالا .

فغرت فمي وانا اصيح : عشرون ريالا !! هل اصابك مس ؟ لا بد أن تأثيرهم قد وصل الى عقلك .

والدي (رجل العسه) الذي اصيب بالروماتيزم .. انحنى ظهره .. تقلبت يداه .. من تحسس الأقفال الباردة في كل ليلة .. يستلم مائة وعشرين ريالا .. هذا في الشهر وراءه ثمانية بطون .. اتعرف ذلك ؟

فـــي امــــان المولـــــى .

قفاه العريض .. يمحو كل امل في مقابلتها .. صراع بين الرغبة والواقع .. عاد فجاة .. وفرحت لعودته .. هل لقيت حلا ؟

وجهه مليء بالسخرية مني . اتعرف ماذا قال لي صاحب الكتاب ؟

انه حاول اختيار جني فقير مثلك .. اما البقية فهم يطلبون الذهب .. بـــل ويطلبون المشاركة في المزارع والبيوت .

عشرون ريالا .. وبرها من هنا او هناك . الم تقل بانك قد وفرت ست ريالات لتشتري بها كتاب .. نزد عليها اربعة وسوف اقوم بالوساطة بينك وبينه وعسى ان يرضـــى .

لا أدري لماذا اتتني روح الهزء فقلت : حتى الجن يقبلون الوساطة حسبت انها وقف علينا بني البشر . ــ هيا ودعنا من الفلسفة .. فلسفة الكتب التي تقراها .

عدت مهموما .. رايت الكتب التي اشتريتها واخذت منها كتابين كانني بذلـك أخون عهدا قطعته على نفسي .. بأن اكون مكتبة كبيرة اعرف بها الدنيا بين هذه الجبال التي لا أرى منها سوى زرقة السماء .. وسيارة البريد الوحيدة التي تصلنا بالعالم تحمل الأشواق والأخبار والمسافرين .

في اليوم التالي : بعت الكتابين .. بستة ريالات .

ــ خذ . هذه أحد عشر ريالا . عشرة لصاحبك ثمنا للوصفة وريالا ثمن اتعابك .

ضحك : ابشر بكل خير .. الليلة بعد صلاة العشاء .

الليالي حالكة الظلام .. المتاجر تتفنن في جلب الزبائن (الأتاريك) أضواء مشنوقة هنــا وهنـــاك .

ــ هذه الورقة .. تضعها تحت عتبة الباب .. بين المغرب والعشاء وهذه تصفها في كوب ماء ثم تشربها .

لا تحال أن تتردد .. أغتنم الفرصة فهي فرصة العمر .. فرصة العمر ..

كان يحدثني بهذه العبارات . وعيناه تلمعان في الظلام .. ثم كل شيء .. تمنطقت بحزام .. وأخذت المشعاب .. تلثمت بالغترة الحمراء . لبست الثوب الأسود حتى لا أعرف .. أطرافي تبرد .. الرعدة تنتابني .. الاصرار يجذبني في غير وعي الى دارها الوقت متأخر بعض الشيء .. أمها العجوز .. لا بد أن تكون قد نامت .. لا خطر اذن هي التي ستفتح الباب .. دائما .. دائما هكذا .. قالت لي أختي وهي تعطيهم اللبن في كل ليله ..

رائحة الغنم .. تهب من داخل البيت .. الليل يغرق في الصمت .. أكداس من ظلام تنتشر في كل زاوية .. الباب الكبير .. من خشب العرعر .. طرقت الباب .. انتظرت .. لا وقت للكلام .. ولا وقت للرؤية .. الخوف والظلام ..

الباب يفتح .. لم اكن المح شيئا .. رائحتها تصل الى حلقي .. امسكت بها .. قبلتها .. احسست بأن فمي يغوص ولا شيء يصده ..

ما هذا .. صحوت على لطمة قوية فوق وجهي والباب يغلق .. واللعنات تنصب .. وانا اضع طرف ثوبي في فمي والوذ بالفرار ..

وصلت السوق .. والرعب يملؤني .. لقد نسيت شيئا واحدا .. أن هــذه ليلة الحناء .. بمناسبة العيد .. وعرفت ان التي قبلتها لم تكن خضراء .. ولكنها .. .. ام خضراء ...

(الأحصنــة لا تربــح أبــدا)

بلقم : محمد علي علوان

(قريتي تسكن في القفر وحيدة) . . . ضحك جذلا . . امتطى تفكيره عائدا فاذا بالمواجهة الحقيقية للاشياء تسل منه الرغبة في اكمال القصيدة . . وحين اصبحت القصيدة كاملة في فمه ادرك ان الكلمات تغرق في لعاب مر . . ابتلع ريقه ونظر الــى صديقه . . يمتص في شبق طفولي . . رغبة قديمة متكونة في الداخل . . مرحلة من المراحل النفسية لم يتجاوزها ، وتبريره لذلك دائما أن الحدود لا تتغير . . وكانت مجموعة من الرفاق تقول بأنها يجب الا تتغير باعتبارها مناطق دفء وسخونة . . أمــا أنا فأرى أنها مناطق المرض . . وحزن الانتظار . .

الصديق لا زال يمتص سيجارته . . ويلاحق سحابات الدخان المنبثقة من فمه المزموم وقال بعد كل ذلك :

ــ ثم مـــــاذا ؟

مددت ساقي . . أصبح باطن قدمي في مواجهته :

ــ هل أرهقك العيش . . الحب . . التخاذل اليومي . . ان الامتلاء لا بد له في النهاية من تسرب . . اما أنا فلا بد ان جرحي سيكون كبيرا . . أو غائرا . . سأنزف الى القطرة الأخيرة فأنا اكره ان أموت ببطء . . أما الحياة او الموت . . ولا وسط .

ــ ارايت وسطها . . كان نحيلا . . دائرة صغيرة من مواسم لذة تفوح وتتفتح . . سقطت كل العيون عليها . . صدمتوادركت أن المسافة بين العين والقدم ما هي الا بعد وهمي . . لذا فلا بد من المساواة . .

ــ غريب أن يصدر منك مثل هذا الحديث وأن تصل الى هذه النتيجة ذات الرائحة الجديدة والمساواة ؟ انا وانت نسكن فوق مساحة واحدة . . أعرفك جيدا وتعرفني نادرا . . أولا لانك غني جدا . . ثانيا لأن هذه الحقيقة قد نزعت منك كل شيء سوى القدرة على الشراء .

سوف تتشدق وتقول : ها أنا امارس المساواة بشكل عملي وحين ينبح الكلب ــ لا اظن انه ــ يعف قبح صوته فالمقاييس تتساقط على اعتبار أنا وانت لكنها تلتئم حين يكون منطلقها . . نحن . .

ــ ادفن هذا الموضوع . . واخبرني عن وظيفتك الجديدة . . ها أنت واحد مـــن الاحصنة المراهن عليها في الحلبة . . والمراهنة عليك بدات منذ زمن طويل ، وانت لا تعلم . . اعتدل في جلسته :

صدر قرار فصلي بعد ثلاثة ايام من تاريخ التعيين ..

ــ كيـــف ؟

ــ المشرف في ادارتي قال لي : انت رجل عبقري وعرفت أنه منافق كبير .. وهو نفاق تعلمه بشكل تنازلي وحين استدرت للخروج رغبت في كشفه سريعا ... فاستدرت بغتة في مواجهته فاذا بلسانه ممدود فصرخت في وجهه : انت قذر ومنافق وقع جميع الموظفين الشهادة ضدي في قائمة طويلة كتبها موظف جاهل نسي أنـه يشطب اسمي منها وصدقني انني خشيت ان اشهد ضدي وهو شيء ممكن في هــذا الزمن البليد . .

ــ اذا فالمراهنة عليك كانت فاشلة .. ولن تربح ابدا ولن تغير شيئا طالما انك تنظر في جميع الاتجاهات .

ــ الأحصنة لا تربح يا سيدي لكنها تموت حزنا حين ترى أن وزن الحدوة فــي أقدامها يتضاعف كلما تقدمت خطوة الى الأمام لتسقط في نهاية الشوط جثثا خاسـرة وأنا تحسست قدمي أول الأمر فوجدتني طفلا عاريا نبتت تحت ابطه الأيسر شوكة كبيرة مزروعة في عيون الناس وطرفها مغروس في قلبي .. كبرت انا والشوكة في الداخل تحت الملابس والبسمات الزائفة .

ــ اننا أيها الصديق أمة .. أمة تتلذذ بعبوديتها وتمارسـها تحت بنايات مــن الأسمنت المسلح تنساب في ثناياها موسيقى غريبة نرددها لئلا تلحقنا مسبة التخلف الفكـــري ..

لوني الأسمر ولونك الأبيض قليلا يمارس أبشع تناقض فكري عبر عصور التاريخ . لوني الأسمر كلما ازدادت حدته شعرت أنني أقترب من أمراة بيضاء تفح .. أفعى تلتهم في داخلها فأرا ميتا من الجوع يأكل فتات الموائد العامرة ..

لوني الأسود هو الحدود التي لا اتجاوزها فأقف عندها وأفتخر بفحولتي وأمارس الاستمرار المتدني باعتبار البقاء الواقع .. لا الرغبة المثالية ولا لكنت اخترت لونك الذهبي .. وهو طلاء ربما يسقط ذات يوم .. فتعرف انك أنت هو انا ..

ــ اتعرف أن هذا الهراء لا يعفيك من المسؤولية وانت تدرك ماذا يمكن أن تفعل لو سخرت هذه العقلية للبناء والاضافة ؟

ــ البناء والاضافة ؟ كيف يمكن وانا لا أملك القدرة على الهدم والتغيير ؟

ــ وهل التغيير ضرورة أم رغبة ؟

ــ لا يمكن التحديد فهو مزيج من كليهما لكنه مطلب لا يتعدى الحلق لانني وجدت رجلا رائعا ــ كنت أحسبه رائعا ــ فقد رايته يزدرد كلمة شجاعة .. اهتز مرات عديدة .. كان رجلا حافيا .. اما الآن فقد تحول ولبس حذاء لامعا واصبح رجــلا حافـــــلا ..

ـ أنت تطرح التساؤلات .. لا تقدم حلا .. تشكو .. تبكي بلا دموع .. ثـم تأكل معي من نفس الطبق .. تلعن كل شيء ، ثم تنام مثلي بين احضان زوجتك .. مقهورا .. ليت النهار يمتد سبع ليال فيمحوها لأراك . هل ستنفجر ؟ أم انك ستظل ترتب الليل وتبحث عن فم زوجتك الذي يثرثر ويغني .. فهو لا يملك سوى الثرثرة والغنـــــــاء . .

انتهت السجائر .. رائحة التبغ والأنفاس والحديث تملأ الغرفة الصغيرة .. ودخلت طفلته .. طفلة مـــــن ؟

لا تقل شيئا .. فالأطفال للجميع .. تقول لقد مات يا ابي .. وسقطت دمعتها فوق قدمها الصغيرة .. وتحولت الى شامة سوداء اخذت تغزو جسدها الصغير كان مملوءا عافية وحبا .. وانتشر السواد . .

ـ صاح الأصدقاء .. أنقذوها .

ولكن الريح تأكل الظلام .. تمضغه .. فلا تسمعه سوى الأشجار والأطيار .. أما نحن .. نظر الصديق .. وقال لي .. اكمل حديثك .. أكمل نقاشك حول الحق ..

والمساواة والفحولة فقد سقطت ولم يبق الا وسط الراقصة .



هذيـــان قبـــل الرحيـــل

بقلم : ناصر محمد العديلي

الزمن يمتطي بحركته الدودية .. ، السماء كللتها السحب اللؤلؤية منذ الفجر الباكر .. الرذاذ الخجول صافح راحة الارض العطشى .. النسيم يداعب وجهه الأسمر الحزين .. يسرح بصره عبر النافذة منتظرا انبلاج النور نور الصباح واشراقه الشمس من خلال فجوات الغيوم لتعلن البداية وعودة الحياة .

ــ أخص يا زمـــــن .

انتهى من كل الأشياء منذ الأمس ماعدا القلق الذي يلازمه ملازمة الظل لصاحبه .. السفر سيتـم .

« آه .. ما أرق النسيم وما اثقل القلق »

عقارب الساعة تعود الى الخلف ، ساعات الانتظار .. عذوبة النسيم تبدد كل العوائق الا القلق .

الشمس تفرك جفونها لتنثر خيوطها الذهبية .. وتبدد ما علق .. بالسحب مـــن عتمـــة .

العصافير تنصلت من أوكارها .. دلفت بين اغصان الشجرة لتعلن البداية .. كما اعتادت كل يـــوم .

« أيتها العصافير انا شاب خجول .. أسمر قصير القامة نشلت بالتحاق بالكلية العسكرية ، عمري في (الحفيظة) عشرون عاما ، وثمانية عشر عاما كما يقول أبي . مصاب بعقدة كما يقول ويرى بعض زملائي لانني قصير .. قصير هاه .. كل الناس قصار حتى نابليون .. والمازني اضاف شيئا اسمه المستقبل ــ اقلق منه ، أعيش في صورة مغلقة ، اتوجس الخوف من كل شيء حولي .. اراه طليقا هائما يتأهب لان يلقي نفسه علي » .

« السفر اليوم .. هل اسافر ، السيارة ستصطدم او تنقلب من يدري .. مـــن يـــدري .

« ولكنهم يقولون اني مريض .. روح للطبيب أو اجلس .. لا تسافر .. أتركهم يتآمرون علي حتى ما اسافر يحبطون مشاريعي .. ينظرون الي بازدراء .. واحتقار .

دعني ارحل عنهم الى هناك الى القرية التي لا تعرف الازدراء والاحتقار .. اكمل دراستي وربما تطول قامتي .

بما انني ساسافر اليوم فلا داعي للفطور .. لا فطور مع السفر

ووه مات عمي بالسكتة القلبية قبل أن يشهد موسم العبور ، ويستمع الى اغنية (ايووه) لمحمد عبده .

ما اكثر المثيرات التي تحيط بنا ، القلق .. الحب .. الدموع ، .. السير وراء الجنائز . في الحقل سنابل .. ديدان .. وذرات تراب .

تلك الأضواء المبعثرة في الشارع لم تدر بخيوط الشمس .. تغط في نعاسها السرمدي ، كالأعمدة التي تحملها .. لا حاجة لنا بها مع الشمس .. الليل ولى .. لم تول هي .. اخبريها .. أيتها الرموش .. هناك .. هناك » .

الكل ينوي السفر الأجرة نار .. نار ترتفع درجة حرارة الأشياء في المواسم .
بعد شروق الشمس يفيق الزمن من سباته ويسير بسرعة جنونية . تك .. تك .. تك .

أيتها العقارب العائدة من أعماق العيون في زمن الانتظار المشروخ زمن الفانتوم الهاوية من الأجواء كالذباب .. زمن القلق المفترش كل العيون الا اياك .. لم يعد الدقيق مصيدة للفئران .. يموت اليهود كالجيف في الربيع .. « لبيك يا بو عيون وساع .. » !

— لماذا لا نطير ونرتاح من السفر .. اليس السفر قطعة من جهنم ؟
— هراء .. هـــراء
— يا لله من اين لي هذا المبلغ ؟
— ولا يهمك ستدفعه .. الدنيا تساهيل والرزق على الله .
— أووه .
— ولا تنس انك تهرب من الصخب والقلق والهدوء والراحة .
— صخب ايه .. وراحة ايه .
تسكعت نظراته بالسائق وقال :
— انت يا أخ الأجرة ما تخارجنا
— يا شيخ هذا موسم — حتى في المواسم — تحرمنا منها الله عليك يا ولد .
— نحن اثنـــان .
— باقي ثلاثة ركاب ، ممكن تبحث مع المسار .
— أي والله لقد راح الوقـــت .
— بالله .. السيارة الصغيرة الجديدة من يبقى الراحة » .
انتقد نفسه ربما يعتقد الناس انه سمسار . قال في ذات نفسه :
« ملابسي النظيفة خير دليل على اني راكب مستعجل ولكن هل ارى » ؟

ناس تتزاحم على السيارات ، وجوه شاحبة .. عفش مكدس .. باعة متجولون .. ابواق سيارات .. زيوت ناقعة في الارض تلعقها حرارة الشمس .
« لنغمس القلق في بقعة الزيت أو الوحل حتما سيخلعه فرويد او الاكلينيكيون .. لا نعرف الحياة حتى نكون مرضى » .

حملقت عيناي في عشرات الركاب الذين يتزاحمون على الشاحنة وكان بهـا حياتهـم ..

نهشه الفضول .. اقترب منها ومن السائق الفارغ الطولى ذي الوجه المستطيل الشاحب والشعر الفاحم المرسل والمنسدل على وجهه بلاعناية وغترته المزركشة التي ربطها على راسه باهمال وبلا « طاقية » فجاءت ملفتة للنظر والانتباه معا .

اخذت الجموع المحتشدة امامه تأخذ طريقها الى جوف الشاحنة .. اختلى السائق بنفسه .. أشعل سيجارته اقترب منه وساله :
ــ كم الأجرة يا سيد ؟

وبسرعة ارتفاع الأجرة أجاب السائق وهو يجذب النفس الاول من سيجارته :
ــ ثلاثون ريالا .. ولم يبق الا أربعة مقاعد !
ابتعد عنه قليلا وهو يردد بصوت منخفض « ثلاثون ريالا ، وخمسة وخمسون ريالا .. والفرق (....)

مبلغ مناسب قيمة عشر وجبات أو خمسة كتب » .
« الراحة .. الراحة ولا غيرها » حملق بالشاحنة بعدما قذف نفسه في جوف السيارة الصغيرة ، الانيقة تحركت الشاحنة وكأنها تنوء بحملها .. اختفت خلف دخانها المتصاعد من مدخنتها التي طفقت تنفث كتل الدخان الذي تصاعد الى أعلى وتكون على شكل سحابة معتمة تحجب الرؤية .

انطلقت السيارة الصغيرة ثم اخذت تسير برتابة فوق الأسفلت المرصوف ثم توارت عن الانظـار .

سمر نظرة عبر زجاج النافذة .. سرح بعقله .. سما بتفكيره نظر الى « المستقبل المخيف » عبر خط الأفق الفاصل بين الارض والسماء .. الخط الأسود يغوص في رحم الارض .. الرسم الابيض الدقيق يفصل بين الحياة والموت كالخط الفاصل بين الحرب والسلام في الشرق الأوسـط .

تنسحق نظراته .. تتالق عيناها في خياله يشع مستقبله المجهول كخط الأفق .. الموت يراه عالقا في كفرات السيارة السريعة .. في ذرات الأسفلت المنتهية .. القلق يرقد في جفنيه كالسهد والدمع المتخثر .

يلتوي الطريق كالثعبان .. تبتعد امامه المسافات .. كيلو السيـارة يراه ــ بصعوبة ــ يتذبذب بين المئة والمئة والعشرين .
« يا ساتر يا رب » .

ارتفعت الحرارة .. عتبب الشمس في راسه المثقل بالهموم ، شعر بوهجهـا يدق في هامته كالمطرقة .. الارض .. الصخور مئات الكيلو مترات عبر اللوحات الكالحة تصطدم بنظره .. المستقبل يختفي من المنعطفات حين يختفي الأفق امامه .

« لماذا اخاف المستقبل ؟ » .
عــاده الهذيـــان .

« ست سنوات عجاف لأكلها التاريخ والقى بها في البحر الميت لتصبح طعامــا للسمك القادم من رمضان .. الأفعى تتلوى تحت الحائط .. تهرش جسدها بعدما تقيأت سمها الزعاف على نفسها .. الابرص .. والديدان تلعق جراحها .

« أيها المسافرون .. ايها النائمون اخلعوا كل النظارات الطبية والشمسية ، الرؤية واضحة بعد تحطيم الأسطورة .

مسح حبات العرق العالقة بوجهه .. دخلت السيارة المدينة .. تثاءب السائق وقـــــال : ــ

ــ انزلوا يا ركاب .

انزوى على كرسي خشبي متآكل .. طفق يقطم أظفاره بامتعاض ويأس .

رمقه زميله بعناية تامة وقـــال :

ــ الم تنته من هذا الحزن الذي تسربلت به منذ بداية السفر ؟ اتشكو الما ؟ ـ واردف ضاحكا : يوجد بهذه البلدة مستشفى وطبيب .

علت شفتيه ابتسامة باهتة اتبعها بقوله :

ــ سيأتيك بالأخبار من لم تزود .

ضحك زميله وصاح بصوت مسموع :

ــ عجل بالبراد يا قهوجي .

ــ حاضر ــ .. حاضر .

خرج النادل مسرعا من القهوة وبيده البراد الصغير .. وأقداح الشاي وضعها على تلك الطاولة الصغيرة :

ــ مرحبا . . . مرحبا

ابريق صغير أبيض وضعت بعض القشور الصغيرة لمساتها عليه فجاء مجدورا .. ملأ الفناجين المبللة بالماء دون تنظيف :

ــ يا سلام شاي أسود كالزاج .. اشرب يا سليمان ودع الأحزان .. ادفنها في هذه الرمال الناعمـــة .

لم يجبه هذه المرة ــ كعادته ــ بل طأطأ برأسه بأسى ثم رفعه شرع يرشف كوب الشاي « العاقد » ثم كشر عن اسنانه ، افرغ بقية الكوب في جوفه الفارغ .

أخذ سليمان يتأمل قطة تنزف رجلها دما تحت الطاولة بعدما رسمت خيطــا من الدماء علـــى الارض .

نظر الى زميله بمرارة وقال :

ــ كل جرحه ينزف .

ــ آه .. كم أنت حزين .. وكم انا محتار من امرك .. ابتسم للحياة يا رجل .

ـــ حياة ايه حزن .. قلق ..
وشاي اسود .

نهض من مقعده بعدما ودع زميله ، اخذ حقيبة ملابسه ، شعر بثقل في جسمه بعد حملها .. احس بانتفاخ في حلقه ودوار في راسه .. أخذت الحقيبة تصطدم بالارض.
« قال : قاتل الله الفقر حتى الحقيبة القصر تذكرني به وان نسيته » .

وقف على الرصيف ينظر الى المارة في انتظار سيارة أجرة تنقله الى محطة أخرى .. لم تأبه له كل السيارات العابرة وهو يشير بيده .. استبد به الضياع وهو يرنو الى الحركة الصاخبة ..

شعر بقصره في هذه اللحظة اكثر من ذي قبل بل أنه يتلاشى أمام الأشياء والناس .. شك في وجوده ، تحسس نفسه بيديه ليتأكد من وجوده هل يراه الناس ؟ لكـــن السيارات تمر به ولا تقف ، انهم لا يحسون به ابدا .. كلما صرخ بصوته الى السيارات التفت الى المارة وحس بأنهم يزدرونه وبعضهم يبتسم له رثاء كريهة .

يئس من كل شيء .. شعر بركبتيه تخونانه .. انحنى يلتقط .. حقيبته أو التقطته حقيبتـــه ..

فالناس لا يدرون من الذي يحمل الآخر .. سار بتؤدة لا يدري الى أين . اجتذبه الزحام من بعيد كما يجذب القطب المغناطيس .

ـــ لا فائدة من الانتظار اذن .. فالسير الى محطة وقوف سيارات القرية أجدى.»

هناك انتزعت حقيبته منه .. وجد نفسه وحيدا فوق سطح الشاحنة .. ألقى نظرة قلقة على ما تحته من ناس وسيارات ..
شعر بما حوله يدور وكانت ساعة الرحيل .

السباحـــة خـــارج الزمـــن

بقلم : ناصر العديلي

الليل يلقي بمعطفه الكحلي على المدينة الصناعية الصغيرة .. يلف شوارعها ومنازلها الحجرية الملتصقة ببعض كعلب الكبريت .. الحزن يعصرني كما يمتص البعوض دماء النائمين ، يلفظني كقشرة . اتسكع كحشرة برية على ارصفة الشوارع المهجورة الا من الصمت والكآبة .

أبحث عن شيء أحدثه ، لا أجد الا علب السردين والصلصة الصدئة وبعض أعقاب السجائر . الارض السبخة تلوث رائحتها النتنة أنفي القصير الأفطس . أمارس التحديق الابله بذرات التراب والحجارة كقط فقد منزله . بقايا الغبار الثائر عالقة في الجو تحملها شحنات الهواء . تصطدم بحبات العرق بجبهتي ورقبتي . تلتقي معهما في قبلة باردة مستديمة .

بحثت عن الزمن الهارب فيما حولي من أشياء . صفعني الصمت والفراغ هرشت جسدي وكأن دبابيس غرست فيه .. كدت أخلع ملابسي ها هي حشرات ... صغيرة ملساء تتجول في أبطي ... براغيث أم بق أم ماذا ! هل لا يزال البق موجودا حتى في عام ٧٥ أين الـ د ـــ . د . ت والريد ! !

ساقي تؤلمني ... تلذعني كأنها حقنت بنشر من سم عقارب الصحراء ... الشارع يتراءى أمامي طويلا ... منحدرا ... مظلما كنفق .

كانت الشمس فيه قبل ساعات تصبغه بلونها المذهب . ابتلعها البحر ليصنع منها وجبة دسمة مع لحم السمك .

النوم يغازل اهل المدينة منذ اختفاء الشفق ... القلق يفترسني كما يفترس الاسفلت مساحة الطريق . أطفال المدينة يستسلمون للنوم كآبائهم العمال وأمهاتهم . لا يبقى معي الا أصوات الكلاب الفارغة وبعض القطط المراهقة (آه ساقي تؤلمني تكاد تنفصل عن جسدي ليتها تفعل ذلك وتريحني ... الطبيب طهرها ... وسدها ... رتقها ... بقيت تؤلمني ، تتحدى الطبيب وعقاقيره . فقدت جزءا منها وانا أمارس عملي في الشركة ... اسالوا الخواجه الذي يعمل معي عما حل لساقي) .

خنافس سوداء تشق طريقها من بين العلب الفارغة بجانبي ، نباح الكلاب متقطع يمزق ستار الليل . تنهدات لكل الحشرات من هنا وهناك ... هواء لزج كالزئبق يهب من جهة البحر يلعق انفي وشفتي يكاد يبترها ... يشتد الم ساقي ، يمتزج

الالم مع رائحة الزيوت والعفونة في زوايا الشارع البليد . (التحقت بالشركة منذ ستة عشر عاما .. لفظني العمل الآن كما تلفظ اللبانة بعد مضغها .. صرت في الخارج امارس السباحة في مياه ضحلة خارج جزيرة الزمن المفجوع .. ماذا نسمي عندمـــا نمارس العوم خارج الزمن ! « حيوانات لا زمانية » أم ماذا !) .

ازدادت حاجتي لهرش جسدي .. شوك احمر ينمو في جسدي ... اصابعي تلتقي معه في ظهري وصدري ... سرت حرارة في مكان الهرش . الحشرات الملساء الزئبقية توقفت عن العبث . شحنات الم متقطع اختلطت مع الم ساقي ... اين الطبيب هل اجده في هذه الساعة ! .

أنوار شاحبة يعتريها غبار متطاير اخذت في الظهور . اقتربت ربما تكون سيارة لأحد العمال الساهرين في المدينة المجاورة اقتربت مني هل أوقفها ، هدأت سرعتها ... انحرفت القت الى بنيونها الخلفي الفاتح كبقعة دماء .

هربت عني كالطلقة ، خلفت غبارا رماديا .

الليل يزداد حدة كمنشار . يرن صداه في اذني ... يخترق طبلتها ينفذ الـى الأعماق كمسمار في رحم الخشب الصلد . المقهى يوشك أن ينام كالآخرين . صاحبه يتثاءب . أعود الى المنزل ، بقي لي فيه ليلة أو بعض ليلة ، هل يكون سفرا في الغد . القطار يحملني أم ... الطائرة . الطائرة ... القطار سمعت عنها الشيء الكثير . شاهدتها لم استقلها قط . غدا ربما افعل او احدهما يفعل ذلك .

(والذي زارني اكثر من مرة قبل وفاته . حثني في آخر مرة ... بالزواج .. هيه اصبحت رجلا تزوج أريد اشاهد اولادك خلف يا « وليدي » من خلف ما مات ... الدنيا ليست مضمونة الله يكفينا شرها ...) .

لزوجة البحر تلوث أنفاسي في انتظار القطار ... القطار بدلا من الطائرة . ربما تسقط من هناك ــ كجلمود صخر ــ تتالم ساقي الاخرى سأبقى هنا حتى الصباح ... ساقي شفيت بعض الشيء نام الالم ... دعه يهدأ لا يسمعك . الألم كالطفل اذا ترك نام . (لا ... لا . كان الدم فيها أزرقا حائرا . استحال الى هنادي بنفسجية « ... هنادي » ثقبها . امتص منها سائلا . لا لون له . القاه في زجاجة فارغة ثم اغلق احكامها وأخفاها هكذا فعل الطبيب اثناء علاجه لساقي . هنادي ... هنـــــــادي) .

اغلقت المقاهي أبوابها ... ثمة مقهى صغير للعاطلين وعمال الليل سأنحره ... رائحة التبغ والجراك والثرثرة تنبعث منه . براد شاي وتعميرة قبل النوم اصمد راسك قبل السفر . استمع الى بقايا ثرثرة العمال الساهرين قبل الوداع . نهض الجالسون الا واحدا يبتغي النوم هنا صرخ النادل « النوم ... النوم عزلنا » قال هذه الكلمات قبل أن اكلمه ... صفعني بها . علت ادراجي لم يبق الا المنزل الجأ اليه . البراد بدأ يثبت نفسه كصديق لبقية الليل المهترىء .

المنزل مظلم حزين ككوخ حقير ... لماذا اعود اليه في هذه الساعة المتأخرة ، لن اجد النوم فيه . هواؤه فاسد ... اشياؤه صامتة .. كالقبور ما عدا الساعة العتيقة ساعة العمل أيام زمان تنقنق . تثرثر كضفدعة عجوز ، جفت من حولها المياه (لا داعي للساعة لم يعد تثبيت الزمن مهما . الزمن رديء ماكر . ماكر . يقرض فينا كالسوسة) .

ثم الغرفة ... الحوش كلها رتيبة مملة لا داعي للمروحة دعها تغط في سباتها الى الأبد . السطح فيه بقايا نسيم وبعض حياة . جسمي محطم من التعب والارهاق ، في حاجة الى النوم هل يأتي ، السرير ممدود فوق السطح الفراش من حوله . ضعه عليه . الق بنفسك . تغافل الليل أسرق منه حفنة نوم اشرخ النوم . اقتله ولا تدعه يقتلك . لحظات ملل ... ترقب نجوم السماء الساحرة . هبت شحنات هواء طرية اهداها البحر خلسة ساهمت معي في نحر النوم . امتطيت خلالها حلما سرياليا قادني الى كهف من حديد . تململ . افرز صوتا ممطوطا طط ... طط ... ططططط ... طط . تزاحم عليه الناس دخلوا في جوفه من كل مكان ... ابتلعهم كالقرش . الأمتعة ... العفش النساء ... الغنم اخذت طريقها اليه . جوفه يتحرك يضج كسوق حراج . صخب . حر . عرق ينزف . أصوات تعلو ... ضحكات ... هستيرية تثاءب . عطس ... سعال ... دخان يعلو من مؤخرته المنبعجة يتصاعد الى أعلى . يتحرك القطار حول نفسه كالثعبان ينطلق . تلويحات تعلو من الايادي . بسمات تبرز من الشفاه . يبتعد عن المدينة . طقطقة في داخله كصوت مصانع . زمجرة محركات تعلو الأصوات في داخله . ماء . شاي . سجائر ... ثرثرة . موسيقى أغنيات غير مميزة تمتزج اصواتها مع ضجيج عرباته تتحول معا الى مطارق تدق في رأسي . يبتلعني القلق . لذت بأحدى زواياه ... تأملت أمعاء ، السوداء المتحركة ذات اليمين وذات الشمال . غاصت عيوني فيها . مددت ساقي المصابة ، شممت الهواء عاودها الألم يحاول اشعاري انه معي باق ... آه من القطار جو شاعري لكن ... حاولت أن أغني مروحة صغيرة شاهدتها مصلوبة تفرز هواء ساخنا شغلتني . فقدت الأغنية ... فشلت عدت الى جوفه .

شق القطار طريقه في عمق الصحراء ... الصحراء تحتضنه . يتحول في جوفها الى علبة صغيرة نقطة سوداء لا قيمة لها « نحن فيها نثور . نترقب نصخب . الصحراء لا تأبه بنا . ننظر اليها عبرة ، لا نجد الا الصمت والسراب وذرات التراب . الصحراء واسعة متوسطة تدور ... تدور . نعبرها نشقها لا نستطيع النفاذ الى خباياها . الجبال تتراءى لنا صامدة . نلمحها من القطار تمر سريعة صغيرة تقذفها الصحراء كالكرات بيد الاطفال اول محطة ثاني محطة ... ثالث رابع ... عاشر . كلها محطات للقطار ، السنا في ... حياتنا نمر في محطات . ثمة محطة اخيرة البعض منا وصلها قبل الموعد المحدد والبعض الآخر قد لا يصلها البتة) .

الشمس تتحدى القطار تكسوه ... ترشه باشعتها مع كل الجهات تفترش مساحته حتى أمعائه تغسلها تمتزج مع زيوته دونما تلوث . تجتازه الينا من الداخل .

تلتقي مع الرتابة والضجيج ولا تطهرها . تمتد بخبث الى جمجمتي تغوص في المخ تعبث فيه لا ترحم اشعتها حتى الجراح الفاغرة . الوذ عنها ... اشرب كأسا من الماء البارد يتصبب العرق من جبهتي ينحدر الى رقبتي الدقيقة . يندلق الى بقية جسمي تحت الملابس أهرب الى الخارج يعترض طريقي عامل القطار قائلا :

— استرح في مكانك ... ساقك مريضة . انك في حاجة الى عكازة أو أطراف صناعيـــــة .

— اذكر ربك يا رجل .

— ... ...

(هه ماذا يعني بالاطراف الصناعية . هل هي التي سمعت عنها ذات مرة أطراف للانسان ، قطع غيار ، هل تحول الانسان الى آلة تحتاج الى قطع غيار ، ربما يأتي اليوم الذي يدخل فيه الانسان الورشة للسمكرة .. واللحام ... و ... هيء « آه يا رجلي» هنادي ... هنادي ! !) .

(أين الأغنام التي شاهدتها تركب القطار ؟ في القطار يختلط الانسان بالحيوان « يعيشان معا في سلام ووئام » وفي غير القطار هل يحدث ذلك ؟

هدا القطار حركته . توقف . سمعت اسم مدينتي يلفظه احد الركاب تكهربت . القى القطار ما في جوفه من ناس وامتعة وحيوانات ، .

هبطت كغيري من الناس . انتظرت حملت حقيبتي الى اين انا سائر ... ، هل هي حقا مدينتي ... خطوات مترددة . شاهدت سيارة « داتسون » قابعة في جوفها شخص يداعب مذياعها تقدمت ... استفسرت . تنحنح السائق استعدادا لجذبي اليه ، سمعت صوته « البلد .. البلد » ، القيت حقيبتي في بطن السيارة الفاغر ... ركبت بجانبه انتظرته يسير ... « انتظر لحظة زبون آخر باق » .

اردف قائلا وهو يعالج جهاز الكاست :

— الصبر طيب .

— ليس في كل الاحـــوال .

اقترب من السيارة رجلان و « عجل » صغير وبعض امتعة ، تفاوضوا مع السائق . ركبوا في السيارة . اخذ العجل مكانه . شمخر بأنفه .. العريض اللزج . انطلقت الداتسون . ضج الكاست . برزت المدينة هذه المرة شاهدت أمامي سيارات . مشاة . رائحة ، زحام شوارع فسيحة بيوت طينية مهدمة بنيت بداخلها حيطان من الاسمنت والحديد . (لماذا اعود ... لانني تألمت ؟ كل شيء لا يريدني ... اتوقع الرفض . ماذا انا فاعل بمن حولي ... هل سيعرفونني بعد هذه السنين ؟

هل تجد عودتي صدى ؟ آه ايام مرت كأوراق الرزنامة ... سنين مضت مـــاذا

فعلت بي هي ... هل كانت خصبة أم عجاف ... ماذا بقي مني غير هيكل عظمي ، مكسو وبعض أرطال اللحم وبضعة لترات من الدماء في جسدي حمراء كما شاهدتها من نزيف ساقي غير أنها تبدوا من وراء صفحة الجلد صفراء شاحبة كليمونة عصرت.. انني في حاجة الى مرآة صقيلة تعكس ما في أعماقي الى الخارج ... ماذا بقي معي حتى الآن ؟ بماذا عدت من مشواري الطويل الغامق ؟ ماذا ساعمل هنا ، هل افتح دكانا ام مكتبا عقاريا أم مصنعا للاطراف والعكازات ؟ كل شيء ذوي . العمل ... الآمال ... الطموح ... ما هي المسافة بين الماضي ... والمستقبل ؟ .

ايه الماضي عمل ... عرق وكفاح ، الحاضر : حفنة فلوس وساق مبتورة ... المستقبل : (...) .

لا ادري ما هو . الأزمنة كيف نعبرها . هل تمتطي الحاضر أم نجد عربة أخرى ... ها ... ها .

لا بنون ولا يحزنون ... فاتني القطار ، قطار العلم والزواج وبقي قطار الألم... بووه عندما تتألم ننشبث بالزمن أكثر بقي شيء واحد المحافظة على التوازن . ايه ابتعدي يا تخاريف الماضي ! ( ) .

امتدت خيوط الشمس الى رجلي فوق السرير . لذعتها الحرارة ... تسرب الالم افقت . تناولت اسم « فطور » حملت حقيبة ، نهضت . حركتها هدأ الألم .

السفر . شيعت الساعة المهجورة ، أخذت طريقي الى محطة القطار لم أجد فيها الا بعض العمال . سألت أحدهم عن القطار . اجابني بسخرية :

ــ غادر المحطة منذ ساعات . حزنت . عدت أدراجي الى المنزل « هيه أصبحت رجلا تزوج اريد أن أشاهد أولادك ... »

تأوهــــت ... أعتـــذرت .

المتاهـــــــة ! !

بقلم : حسين علي حسين

كمياه المطر نزلت نسمات المساء على راسي ، الاشجار كانت تتمايل من بعيد كخيالات عاتية متحركة ، مظلات « الزنك » المتواجدة في الشارع بكثرة ، كانت تحدث أصواتا جهنمية شاعرية متموجة ، تلك الليلة كان الشارع خاليا ، الدكاكين والمعارض والمباسط العادية مقفلة ، ابواب العمارات موحدة ، كان ثمة بصيص من أصواتها ينز عبر الأبواب النظيف اللامع رجل الشرطة يزرع بخطواته القاسية الصارمة ، الشارع الخالي جيئة وذهابا وبين لحظات واخرى يتوقف ليتنحنح ثم يلقـــي نظرة متفحصة طويلة ، يمسح بها كل حنايا المنطقة التي يدور في مجالها ، وأحيانا كان يقف بجانب بعض المحلات ويرسل يده بأناة ويتفحص اقفالها ، وأحيانا يقف بجانب بعض المحلات يجول بنظراته هنا وهناك ، وبأناة يخرج الصفارة من جيبه ، ويصفر بقوة وغلظة وحرص ليعطي اشارة لرؤسائه بأن عينه لا تنام . . .

وكان في النفس سؤال حاد كمدية ، قلت أتوجه به الى رجل الشرطة لعله يهديني الى ما اريد ، لكنني بعد تقليب السؤال عدة أوجه أثرت السلامة ، ووقفت حيث أنا وحيدا ، اتلقى نسمات المساء الطرية ، وهي تنثال على رأسي كزخات المطر الشتائية التي لا ترحم ! ! !

قلت لنفسي بحيرة تشبه الجنون ، تشبه الخوف ، تشبه التوهان ، . . . تشبه البركان يتعين علي ان أسلك سبلا أخرى ، هل اقف هنا حتى مطلع . . الفجر ، أم يتعين علي أن أسلك سبلا اخرى ، تفضي بي الى ما أريد !!

وكان الجواب كالمعتاد . . . ميتا وباردا ، ولا يشفي غليلا لعطشان . . . قالت النفس أن الصباح رباح ! !

اين « الصباح » وانا لا اجد مأوى لراسي . . . لا اجد النقود ولا الطعام . . . ولا الطريق . . . فما هو الحل ؟

هل اظل مزروعا ها هنا حتى تهل بشارة الصباح رباح ! !

الليل كأنه عبد اسود قاتم السواد يفرد ظله على راسي ونفسي وخطواتي ، وبين لحظة واخرى ــ هذا الليل ــ يسبك يده في جيبه ويرسل لي بنجمة حمراء كالدم . . يجعلنا نطوف على جسده وتعطيني نورهـــا . . .

وانا الباحث عن الطريق مرة ؟ البشارة ؟

ومن بعيد لاحت لي غلالة من نور ، لا ادري كيف تبادر الى ذهني ان ثمة اناسا

يتحركون ، أناس ربما وجدت عندهم جوابا شافيا عما أريد وابتغي وانا انزل مدينة كالمتاهـــــــة ؟

وكالحلم مددت ساقي الواهنتين من اثر التعب باتجاه غلالة النور ولم أكن أتوقع انني سالاقي مقهى اقضي فيه ليلة بعد تعب وارهاق شديدين ناديت القهوجي ... طلبت قدحا من الشاي وشربة ماء ومكانا دفئا .. فقال لي بجفاء وهو يغالب سكرات النـــــــوم :

ــ دونك هذه الغرفة ! !

جلست وحيدا أمام النار ، كانت هناك خشبة من عيدان القصب أخذتها ، وضعتها تحت راسي ، وتلك اللحظة فقط ، احسست بأطرافي قد بدات تجري في عروقها الدماء ، حارة ونشطة ، أحسست انني أعود فتيا وقويا من جديد ، بعد أن وهن العظم مني واخذ الشيب يتخلل شعرات الرأس ، أخذ الشيب يتخلل كل البدن ، وقلت وأنا في لحظة انتشاء ... ما أعظم الدفء ؟

وحين أتى صبي القهوة ومعه الطلب بدأت أتجاذب معه اطراف الحديث حديث كان جله من طرف واحد ... يكر كما تكر حبات المسبحة ... بالأصداء قلت له :

الذي يريد البطحاء كيف يصل اليها ؟

ــ صمت .

انني أطأ هذه المدينة لأول مرة ؟

ــ الدخول الى وسط البلد لا يحتاج الى دليل ! !

ــ انني غريب ؟

ــ انني لا أحب الغرباء ...

فاشرب قهوتك وتوكل على الله ! !

ــ هـــــكذا ؟

ــ هـــــكذا ؟

قلت بتردد :

أمهلني الصباح ! !

ــ النوم هنا بريالين ، وفي الساعة السابعة نشيل الفرش ! !

ــ لا مانع عندي ! !

* * *

نمت باستغراق ، صحوت على خبطات القهوجي على جسدي في الصباح ، كانت النومة كحلم مفزع ، لبست عمامتي ، اخرجت شبشبي من تحت الفراش ... اغتسلت. واخذت مساري الى الطريق العام ، النقود في جيبي قليلة ومع ذلك لا بد من التضحية ، من البارحة حتى الصباح صرفت ما يزيد على عشرة ريالات ... فهل يكفي المبلغ حتى أجد الطريق الى ما أريد ؟

وقلت الطريق ملتوية ومتعرجة والوصول الى الهدف بغير معلومات مسبقة ضرب من المستحيل ... قلت في نفسي في ريبة ... من يطأ مكانا لا يعرفه ، مدينة كاملة كالمتاهة ينزلها لاول مرة من مدينة في حجم الكف ... من يصل الى مثل هذه المدن يستحق ما يأتيه ... قلت لصبي المقهى ... انني غريب ... قال انه لا يحب الغرباء ... كيف يكون الوصول الى ... الطريق اذن ؟

البطحاء ... سيارة رائحة واخرى غادية ، كل واحد في سبيله كلما همست بسؤال شخص اتضح لي انه من واد آخر ... توغلت في المنطقة ، تجولت في حوانيتها الكبيرة الفارهة ، اخذت اسرح في الطريق في أزقتها الداخلية الضيقة ... القيت نظرة فاحصة على العمارات ... الطويلة المشرفة . وقلت في نفسي بحسرة على قريتي :

ـــ حقا هذه هي المدن ؟

واخذت اسأل كل من يقابلني ، فالكل في القرية يريدونه على جناح السرعة ، لا بد من حضوره ، ذلك ما قاله لي أبي بأصرار ! ! انزل الى المدينة وابحث عنه زقاقا زقاقا ولا تأتي الا وهو معك ؟

ثلاث أيام عجاف وانا أتجول بين حناياك هذه المدينة المتاهة ، ولا احد يدلني الى ما اريد ، معي فقط اسم الحارة التي يقطنها ، قالوا في القرية ان اسمها البطحاء !! قال لي واحد لماذا لا تتجه الى شيخ الحارة ، فهو وحده عنده الخبر ، وبدأت جولة جديدة في سبيل البحث عن شيخ الحارة ، وحين عرفه شيخ الحارة ، دلني على المكان قال لي في عطفة يقع ... وفي اي رقم يكون وفي الصباح أخذت طريق .. البحث من جديد...

طرقت الباب ... خرج لي وجه تكسوه علامات النوم ... قلت بمرارة أريد اخي ... قال لي :

ومن هو اخـــوك ؟

ـــ انه حامد بن صالح .

قـــال بوجـــوم :

ـــ كان ساكنا هنا ... ومات منذ ثلاثة أيام ! ! ! .

دوائـــــر عرضيـــــة

بقلم : رقية الشبيب

تتاكل الافراح ... عملية تشبع بالالم .. هل تخطىء المقادير ام تخطىء الظروف ... ؟ تحملهما النتائج ونحن ننظر ببلاهة .

تدق الدفوف . تطفأ الشموع . تصلب الدموع . محاجر يسكنها الشوق . وتقطنها الحيرة . الأوقات تطيئة . كيف تعمل لتلاشي الحنين لبقعة ما ... للحظة .. لهمسة .. كيف .. ؟

« ابو فراس » أنانيته حقيقتنا كلنا هو فقط .
يملك الشجاعة .. وقالها .
يغتالني البعد كلما فكرت بالعودة .
نحن لا نزرع الشوك في طرقاتنا
نحن لا ننشر العتمة في دروبنا ؟
اذن من يملك البسالة ؟ .
ومن يكون خصمك ايها الانسان .

ننتظر المجهول ، ونلعق مخزون الصبر .
ونقترض الحلم والحكمة من الكتب والدواوين .
لا شيء غير هذا .
مفقود الصدق منذ قدم قربانا .
مشاعر قلقة . وتزداد تستمد عمرها من الذكرى .
تتسع الطرقات . وتزداد طولا .. ومتى نصل ..
النهاية لا بداية لها ، والجرح بالغ الغور .
يا ايام لملمي بقاياك وارحلي الى مجاهل النسيان .
الحب مرفوض منذ (ليلى والمجنون)
يعيش في الظل يتسلق النور .
كالفراش لكنه يقتل .
يا ابرياء كل زمـــان .
الصدق مقتول .. مقتول ..
ويا ظلال الليالي كانت قصيرة ايامك
عملية انكفا ذاتي ، تيردي الى صمت
الذاكرة ، الى النضوب « الاضمحلال الى نوع من الفراغ من الفراغ ..
والاستفراغ .. واستنزف انتحاري

كنت مرفاي .. تلوح الصواري .
اروقة القلوب مقفرة .. والستائر سميكة .
الصديد يصمغ الآذان ، والى مد يقفل العيون ، والعضة تزداد وبوابات الافواه مشرعة والالسنة ترقص داخلها بلا انضباط يجف اللعاب وتحطر الخدود بهتون الدمع.

تكون أو لا تكون .. تعيش حسب تخطيط تضع زوايا وافقات وخرائط مجسمة (للغد) ينهار كل شيء عندما تغلبك مضغتك الصغيرة .

ضعيف ضعيف الانسان ، تفتق الحجب لا يعني ما خطط انتهى قد تحيد عن الخطة المرسومة . بلا انهزامية ولا ذل . كلنا نرفض الهزائم لكي كلنا نتجرعها بمخض رخيصة الايام عندما لا تحيل بأمل .

العودة يا ... لا تعني القدرة على تصحيح وضع ما . لكن قد تكون انهاء لحالة او تحويرها الى جهة ثانية .

تلمسك البعوضة تتضايق تهزمك ذبابة وهي ترقص على أرنبة انفك بحيمر الوجه تعزيد الاعماق وتنتصر عليك « حشرة » .. تبيدها بكل الوسائل لو غربلنا ميزانيتنا لوجدنا ان ما نستهلكه في قتل الحشرات كثير .

لم لا نتركها تعيش وتفرخ ؟ لم .. أم ترانا وضعناها ضمن خطتنا الحياتية (وما يقتل من البشر اثراهم ضمن مخطط حياة تقتلهم) .
الصدق .. يا خصلة غائرة في مستنقعات النفوس الآسنة تحتاجك بشدة .

في الحياة الصدق يعني استمرارها لكن على أية حال ليس عدمه نهايتها مروج خضر . وبحيرة . وكوخ على ضفافها وهما معا » .

خيال رومانسي قد يتكرر في زماني لكنه خيال اكلته الظروف الخيال وحده حصان لم يروض بعـــــد .

يا خيالا جامحا تشدك الخطى خببا صوب شاهقات الأماني فلا بلغتها .
بك صبوة .. وتشدك حروف ، السماوات منذ الأزل هي . هي .
ترسم بيدك خيمة تتفيأ بها مخاوفك .
بذرة تنمو .. تزهر .. تثمر .. تموت .. عمرها قصير .. سنة الحياة .
قاطرات السعادة خلفتك تقرع السن ، وتعض البنان .
لا يهب العمر اكثر من اللحظة التي تكون بها .
مغروس بالقلب كالوشم .
قريب . وبعيد غفوة القلب تتسلل لتكون منك سترا تسكن الهمسات الفؤاد ..
لحظات تموت كالاسماك « عمرها قصير ايضا » اجترارها عذاب تنتهي بخروجها من اللحظة (الآتية) .
لعبة الايام تكرار للعبة الحياة ...

نفتقر الى ضحكة من الداخل ..
مهملة النفوس أسمال بالية ترتديها يا ادغال القلوب موحشة انت دائرة مفرغة ..
تمور مورا .. تحسب بشكل تنازلي عشوائية الايام تلوك الساعات بقرف .
الغد موغل بالبعـــد .

(ورومانسية الاول ... تغفو مع الاحلام .. تقتل الوقت وينتهي العمر مع اكاذيب الخيـــال .

المرابي في الحب شخص يخسر باستمرار .
مـــتى ؟ . . .
متى تصبح حقيقة تتعدى أحلامي . ؟
(هو) كهزارة سجين . .
انسيت أنك أنت السجان .
لم تهتز الصورة بعد ..

كهف متداع قلبي ... خرب تنفقه البوم . كوة النور به يحاصرها الظلام عفنة الحياة .. نسورها تفترس الجثث .

في كل الأوقات تنتصب أعمدة الخوف عندما كان للصبر اجترار ..
(ليت) تبتلع كل تطلعات المستقبل تحزن تأبى السير .
تطوي فراش الصمت . وثرثرة بكل شيء .. الا .. الأمل
هل تعتقد أنك تحددت عندما غرست نصلك في جوف الحقيقة
واهم . . . واهم . أنت .
ليت لم تعد مقياسا ... لم تعد تحلم .. وادت كل أحلامها .
خطايا العمر . مهما كبرت .. تهون تهون . الا أن تنساه .

اكسير الحياة في « عرقها » يجسمه « هو » ثم أبعد هذا كله بقي شيء والانتظار انسحاق .

ذكريــات لا تنطفــىء ! !

بقلم : ابتسام العباسي

كادت ان تندثر كل معاني الذكريات في مخيلتي .. فما عدت اقوى على استرجاع شريط الماضي الواهي .. كم اقلقني هذا الجرح المتمكن من كتفه .. وكم حطمت اعصابي هذه الأسرة البيضاء . .

ابي ذاك الرجل الوسيم الذي يتدفق مرحا وحيوية . ويفيض رقة وحبا لنا .. اين هو منا الآن .. وتلك الانسانة الرقيقة (امي) .. أين هي منا ..

حاولت ان أمزق هذا الشريط الذي يفقدني لذة الراحة .. لكن هيهات .. كلما امعنت النظر في صورته المعلقة في حائط غرفتي .. تصيبني نوبات أحس بها انني مشلولة .. لا اقوى الحركــة . .

واخفيت وجهي .. أحاول ان اهرب من تلك الصور المخيفة التي تمتص كــل جهدي . .

احسست وكأن تيارا يسري في جسدي .. ويحرك احاسيسي .. ومشاعري كلهــا . .

انتفضت وصفحات ذاكرتي تتقلب الى ماض اليم .. يا الهي .. يا الهي .. انفجار الكفرات .. التفاف السيارة على نفسها في عرض .. الطريق .. وتلك الصرخات المتجمعة بين مقاعد السيارة .. و .. والقلبات .. والقلبات العشر .. وضجيج أعماقنا .. وضجيج القلبات .. وكل شيء .. وكل شيء .. ضغط على راسي .. وجمعت اعضاء جسدي بشدة .. وكانني اعصر الم او كانني استغيث بلحظات راحة .. ولكن لا .. لا .. يزيدني مرارة هذا الشيء .. ثارت اعصابي .. تمزقت .. صرخت بقوة .. وتقفزت من فوق سريري (أبي .. ابي) .. مددت يدي الى صورته المعلقة . . بكيت لها .

طلبت منها ان تستجيب لنداء أتى لكنها لم تسعفني .. لم تنجدني ولم تخرجني من قوقعة احزاني .

عدت الى سريري .. وبكل آلامي .. وبكل جروح الماضي التي انفتحت وتفجرت في هذه اللحظة . واجهشت ببكاء عقيم حتى كدت أعجز عن ابتلاع صوتي . .

لماذا ابي بالذات ؟ . . لماذا هذا الشخص الذي يفيض انسانية وحنانا .. لقد تدمرت أعصابنا بما يكفي .. فما كاد يشفى من هذا الكسر الذي حدث بظهره نتيجة لقلبات السيارة .. وما كدنا نلتمس شهرا من السعادة عوضنا أبي فيه عما افتقدناه

حتى تعرض مرة أخرى لحادث آخر .. وكان هذا الاخير كفيلا لان يمتص البقية الباقية من سعادتنا .. وبدا ذلك الخيط يهتز اهتزازات عنيفة على جدران ذاكرتي ..

ومرة أخرى فقد تعرض للمسة من التيار الكهربائي القوي لمسة جعلته يترنح ويقع على اثرها أرضا مغشيا عليه .. وقد ازرق كل جسده .. بعد ان اطلق (أنه) الم شديد تغلغلت الى قلوبنا .. ولكأنها خنجرا نفذ الى الاحشاء .. سارعنا اليه وقد استبد بنا هلع مريع .. جعلنا نوجس خيفة عليه .. كان ذلك يحدث في قوح الظهيرة .. وفي وقت ينتقل كل لظه .. في يوم من أيام القيض الشديد .

وما زالت ذكريات هذا اليوم اللئيم تئن في مخيلتي ..

وجدناه .. وجدنا أعز انسان لدينا في الوجود ملقى ارضا .. ومع الدماء التي امتصتها الكهرباء .. امتصت آمالنا .. وفرحاتنا التي جمعناها خلال شهر كامل ..

التف اخوتي الصغار حوله (يا .. يا .. بابا) ولا من مجيب .. اما أمي فبكل ما تحمله من حنان وبكل ما يختزنه قلبها الطاهر من حب ومودة راحت تجري .. محاولة اسعافه .. ومحاولة تهدئتنا .. ومرت .. لحظات مريرة .. لحظات قاتلة .. نقل بعدها الى المستشفى ..

وكان خطيرا .. خطيرا جدا ذلك الجرح الذي توسد كتفه .. وكأن اخطر منه انخلاع العضد من الكتف وحدوث عدة كسور فيه والرضوض .. وغيرها ..

وثرنا .. واحتججنا .. وبكينا .. وقلنا كثيرا ... وتألمنا اكثر .. لكن لم يجدنا كل الذي قلناه . ولم تجدنا كل الدموع التي سكبناها ..

ليس معقولا .. ذلك الحب .. وتلك الروح المرحة .. وتلك الحيوية الناطقة فيه ..
هل ستموت .. هل ستذبل .. وهل .. ستكون أسيرة هذه الأسرة البيضاء ..
التي خلتها أحبتنا .. لا .. لا يمكن ان يحصل هذا ..

وصمتنا .. وقد أدركنا أنها ارادة الله .. وأنها مشيئة القدر ولا بد له حكمة في ذلـــك ..

وعاد الوجوم وعاد الحزن يخيم على جو المنزل .. وعادت عيوننا تفيض بدموع كثيرة ..

واختفى كل شيء من المنزل . الابتسامة الحلوة .. والحب والحنان .. والمرح..
و .. وكل شيء كان أبي يجود به علينا .

وعملت له عملية . وفشلت واخرى فشلت .. وثالثة ورابعة .. وكلها لا تزيد اليد الا الما .. والجرح الا التهابا ..

وذهب الى الخارج .. رباه .. لا زلت اتذكر قسمات وجهه وقد وقف بباب المنزل .. كنا جميعا خلفه .. اراد ان يخرج ثم عاد ونظر الينا .. كان وجهه الوسيم

تملؤه تعابير الالم وقاسية .. حتى زاد وجهه وقار على وقار .. نظر الينا جميعا .. ادمعت عيناه .. ثم ادار ظهره .. وخرج مسرعا ..

واقفل الباب .. امسكت امي الباب .. وشدته .. وكأنها تشده .. اما اخوتي فقد التمس كل منهم غرفته واقفل عليه حتى انبلج الصباح .

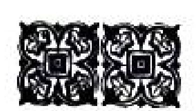
وذهب هو .. وذهب معه كل أمل كنا نعيش لأجله .. وكل بارقة فرحة كانت تبرق لنا انطفأت .. بكينا .. وبكينا .. حتى جفت الدموع من المآقي ..

ونبهت على صوت شقيقي الصغير .. كان يشدني ..

وعاد الوجوم . وعاد الحزن وكان اليأس يسيطر عليه وهو يقول لي (متى يعود بابا .. لقد طال غيابه) .. رفعت راسي ومسحت دموعي ..

وقطعت كل ذكرياتي ربت على كتفه واحتضنته بشدة . ونظرت الى صورة ابي .. وقلت لـــــه ..

(الغد القريب .. في الغد القريب سيعود يا حبيبي) وان بعد هذا الغد ..



وطـــال شعـــري مـــن جديـــد

بقلم : حصة محمد التويجري

*** أهديها لكل فتاة من بلادي تؤمن أن الحياة المشتركة ليست الا صداقة مشفوعة بمعاني التعاون .. والحب .. والتضحية .. والمساندة .**

ــ أتأمرين بشيء . .
* لا أبدا . .
ــ ماذا ؟ أنت مني غاضبة ؟ !
* ليس بعد ! !
ــ ولكنك صامتة . . ! !
* ذلك أجدى !
ــ ماذا تعنين !
* انك تفهم !
ــ أكاد أمل . . حديثك غير واضح . .
* ما عهدتك غبيا !
ــ غبيا ! ! من قال هذا ؟ !
* لم يقله أحد . .
ــ لم أنت مبتورة الأنفاس اليوم !
* لست كذلك . .
ــ كيف ! ولكنك لا ترغبين في الحديث . .
* قد يكون . .
ــ حسنا . . الى اللقاء . .
* وداعا . .
وصفق بالباب . . وغادر المنزل . .
واستدرت بنظراتي أتأمل مقعده .

ــ سيجارته ــ لا زالت تشتعل في المنفضة . . لم يأخذها معه . . هذه هي عادته . . عندما يشعر بالغضب يسرع بالنهوض ومغادرة المنزل . . وينسى كل شيء آخر . . فقط يفر بنفسه ! في أحيان كثيرة ينسى أوراقا هامة . . ويعود بعد ساعة ليأخذها فأتحاشى اللقاء به . . وفي أحيان أخرى يرسل السائق لأخذها . . وفي الكثير من الأحيان لا هذا ولا ذاك !

ومضيت أتأمل مقعده . . فوقعت نظراتي على الصحيفة اليومية . . مطوية كما هي . . لم يمسها . .

وبقيت اتأملها لثوان بيني وبين نفسي .. ما الذي منعه اليوم من تصفحها .. اثناء ارتشافه لكوب الشاي . .

وتذكرت انني لم اصنع له الشاي هذا الصباح .. وانني لم اقدمه اليه .. وتذكرت اكثر .. أن هذه هي المرة الاولى التي يحصل فيها هذا .. منذ كونا معا حياة مشتركة ، فقد شعرت بالرغبة الأكيدة في .. الخروج على روتين حياتي اليومي .. لقد كنت أعاني مرارة التحجر في المشاعر .. ولا بد انه كان يدرك ما أعانيه .. أو انه يشاركني المعاناة .. ويشعر كما أشعر أن كل شيء قارب على النهاية ..

ونهضت لأغادر الصالة — وأنا اشعر باقتناع تام بضرورة الوصول الى حل .. الحياة معه أصبحت مملة .. راكدة .. لم يعد بها جديد .. دائما نحن على خلاف حول اشياء كثيرة . .

والأمر العجيب اننا نختلف عن الأزواج الآخرين .. لاننا نناقش مشاكلنا بصوت عال .. ولا نشاجر .. فقط .. نصمت .. والصمت بيننا يزداد يوما عن الآخر .. ويحاول — هو — أن يزيل ذلك الجدار الكثيف الذي يعترض حياتنا .. ولكنه غير ماهر في معالجة الأمور .. أما انا فانني اقترب اكثر مما يبعدني عنه .. لذلك لا أحرص مطلقا على المعاونة في معالجة الأمور .. ولا أحاول مناقشة مشاكلنا الصغيرة معه .. بقدر ما أتحاشى الاحتكاك به . .

وعاد الظهيرة .. وسمعت وقع خطواته في — الصالة — ولم أسرع لاستقباله ككل مرة .. ولم احاول أن أرسم ابتسامة مستعارة على شفتي .. لقد مات التمثيل .. وايقنت تماما أنه من المستحيل المضي في التمثيل سنوات أخرى ، وعزمت أن أوطد علاقتي بالشجاعة أكثر من اي يوم مضى .. وان أقرر ثم أنفذ ما أريد ..

وشعرت بخطواته تتوقف .. وسمعته ينادي بأسمي بصوت وجل ..

ولم اجد الرغبة في الرد .. فابتسمت لنفسي لاقول .. ليكن ما يكون .. فلا شيء أسوا من العيش دون حنان .. ولا شيء اكثر عذابا من ان تحيا مع انسان لا تستطيع أن تعتمد عليه ..

وتوقفت خطواته امام باب الشرفة .. التي كنت استرخي على احد المقاعد القائمة في نهاية طرفها .. كانت نظراتي معلقة على شجرة الياسمين الصغيرة والتي كانت تغطي جدارها المقابل .. وكنت اشعر بنظراته معلقة على ظهري .. وهو يتأمل شعري الذي تصصته صباح هذا اليوم الى ما دون الأكتاف بقليل . .

واشرع الخطو ليقف امامي .. ووقعت نظراتي على حذائه اللامع .. وحاولت جاهدة ان اسرع بنظراتي الى أعلى .. ولكني كنت احتاج الى شجاعة اكبر لأفعل ذلك .. وتذكرت موقف التحدي الذي عزمت عليه .. وفجاة انتقلت نظراتي من حذائه الى وجهه .. لاجده ينظر الي بدهشة ممزوجة بالأسى ..

ـــ واقترب مني .. وامسك بخصلة من شعري وبصوت ضعيف ونظرات مضطربة تساءل : ـــ ما هذا ؟ !

واسرعت لأجيب متجاهلة ما يعني :

لا شيء .. انه شعري !

ثم نهضت من المقعد واعطيته ظهري .. وغادرت الشرفة دون أن التفت الى الوراء .. ومضيت الى الصالة .. وشعرت بخطواته خلفي .. وقبل ان اصل الى المقعد شعرت بقبضتيه القويتين تمسكان بكتفي .. وأدارني بشدة اليه .. فانتشر شعري الناعم ليغطي صفحة وجهي عنه .. وانتفضت اهز عنقي لاتخلص من خصلات شعري .. التي كانت تحجبه عني .. وتلاقت نظراتنا ، وهزني بعنف .. وملأ سمعي صوته محتجا متسائلا : ـــ

لماذا فعلت ذلك ؟ !

وانتفضت بشدة .. لأتخلص من قبضته العنيفة .. وأسرعت الى أقرب مقعد لارتمي في أحضانه .. وأنا أشعر ان انفاسي تكاد تتوقف ..

واسندت يدي بلا شعور .. لأعيد ترتيب خصلات شعري من جديد .. واقترب مني .. وتوقعت أن يقدم على تصرف أحمق .. توقعت ان ترتفع يده لتصفعني .. لانني كنت ادرك مقدار حبه لشعري .. واعجابه به .. ومع ذلك فقد عزمت عزما أكيدا ان أمهله يفعل ذلك .. ولكني وجدته يركع على ركبتيه أمام المقعد الذي كنت أجلس عليه .. وينظر الي وملء ملامحه اليأس والشقاء ..

ثم انكب على طرف المقعد بعد أن اسند راسه على يده الممسكة .. بجانبه .

.. وانتظرت ان يقول شيئا .. وبالفعل رفع رأسه وبصوت هامس حزين قـــال كأنه يحادث نفســـه : ـــ

ـــ ليتك لم تفعلي ذلك .. ليتك لم تقصي شعرك الطويل .. انك لا تدركين كم كان رائعا ! !

وابتعدت الى الطرف الآخر من المقعد .. وبتحد لأول مرة قلت : ـــ

ـــ سافعل ما اريد .. لقد مللت سيطرتك .. انك تعاملني كدمية .. تريدها فقط لخدمتك .. ولكنك كنت غبيا .. اذ لم تدرك أنه من الممكن أن يكون لي شعور واحساس وارادة .. اتدري ؟ لقد كرهت نفسي اذ انفذ اوامرك دون أن يكون لي راي .. من اليوم كل شيء سيتغير .. شعري وقصصته .. ومن حقي ان افعل ذلك .. وهنا امر آخر .. سالج باب الحياة العملية .. وساواصل دراستي .. وسيكون لي في هذا .. المنزل راي .. ليومين فقط .. وبعدها سأغادرها لانني فقط اريد أن اشعر بانني قد مارست حقوقي كاملة ..

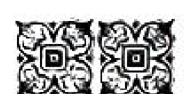
ونهضت لأغادر المكان .. وانزويت في حجرة المكتب .. كما هي عادتي عندما

اشعر بالشقاء .. وكان يعرف عني ذلك .. فلم يحاول أن يدخل اليها .. وكما هـي عادتنا لم نعد لبحث المشكلة من جديد ..

ومرت هذه الليلة والصمت بيننا .. وفي الصباح ذهب لعمله دون أن أودعه .. فقد رايت أن اقلع عما لا اريده .. وأن اتوقف عن التمثيل اكثر .. وعاد في المساء ليجدني قد غادرت المنزل .. فقد عزمت في المضي في تحطيم اغلال حياتي الصغيرة .. فالحياة اقصر من أن .. نقضيها في شقاء ..

والعمر لا يتكرر لتشقي مضاعفا .. والسعادة من صنع أيدينا .. وليست حبة تطرق بابا لتكتسح مرارة اليأس .
من حلوقنا .. ان لم نعمل على ذلك ..

وحاول جاهدا أن يعيدني لحياة الاهانة من جديد .. ولكنني رفضت ونفذت ما اريد .. أتممت دراستي .. وولجت باب الحياة العملية .. وشعري طال من جديد .. ولم اعد افكر في قصة ثانية ! ! !



(سليلــــة الأكـــارم)

بقلم : ابو هشام عبد الله بن صديق القرشي

(١)

ترد في خيالها ذكرى الماضي المجيد المشرق وحنت الى تلك الايام المفعمة بالخواطر المؤنسة التي تردها الى ذكريات صباها الجميلة فقد نشأت وتربت في بيت من بيوت العز والكرم بيت عريق في الحسب والنسب من بيوتات مكة المليئة بالأمجاد والفضائل وفتحت عينها على التربية الاسلامية الحكيمة فقد كان ابوها الشيخ محمد علي دارسا للعلم الشريف متعمقا فيه تلقاه عن ابيه الشيخ عباس بن جعفر الذي كان مفتيا لمكة المشرفة في عهد مضى . لذا فقد حظيت بسماع الآداب والعلوم سماعا يتردد على ذهنها مرارا وتكرارا حتى أصبحت متعلمة ممتازة بالسماع ثم تعلمت القراءة وقد حفظت كثيرا مما كانت تسمعه من أبيها ثم تردده في نفسها كي يرسخ ولا يضيع .
ان الدار التي نشأت فيها كانت بجوار زقاق الحجر ذلك الزقاق القديم الذي تحمل عنه أحلى الذكريات وأمتعها فقد قالت لصديقتها العمة خديجة التي لا تفارق مجلسها ابدا الا في أوقات معلومة انك سمعت بأن في هذا الزقاق كان موجودا في السابق حجرا يقال انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم ومكتوب فوقه :

انــا الحجــر المســلم كــل حــين　　　علــى خير الورى فلــي البشــارة
فتلك فضيلـــة مـــن ذى المعالـــى　　　خصصت بهـــا وان مـــن الحجـــارة

ولقد قال الامام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى :
اخرج الطيالس والترمذي والبيهقي عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان بمكة لحجرا كان يسلم علي ليالي بعثت اني لأعرفه اذا مررت عليــــه » .

قالت صديقتها الوفية التي تقطن في زقاق الوزير في بيت اكل عليه الدهر وشرب ويحتاج الى أن تدخله يد الاصلاح لتجلعه ملائما لعصر النهضة والتطور ولكنه وقف وكم في مكة المكرمة من الأوقاف الخربة الآيلة للسقوط التي ينعق فوقها البوم وتهوي اليها الغربان وتبكي نفسها وتتحسر وتريد من النظار أو من أهلها المستحقين المكتملين أو من جهة الاختصاص النظر اليها بعين الاصلاح والمحافظة لتستنشق عبير الحياة وتضم اليها آلاف السكان الذين لم يجدوا مسكنا ولا مأوى مع أزمة السكن المفتعلة احيانا والحقيقة في بعض الأحيان فعسى ولعل . قالت العمة خديجة المرأة الطيبة صاحبة الاحساس المرهف والقلب الكبير للست عائشة صاحبة العلم الواسع ما شاء الله ان ذاكرتك تحوي الشيء الكثير أمد الله في حياتك ولا احرمنا وجودك زودينا بما يشنف الاسماع وحدثينا عن ذكرى المآثر والبقاع عندئذ ضحكت الست عائشة وتذكرت

تول ابيها محمد علي ان بمكة المشرفة كثير من المآثر الاسلامية لم يغفلها التاريخ ولكنها الآن لا تكاد تعلم الا لبعض الفطناء واهل الفهم فمن ذلك مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بسوق الليل « وفيه الآن مكتبة مكة المكرمة » وايضا مولد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وهو بالمحل المعروف بشعب علي بالقرب من مولد الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم « وبه الآن مدرسة النجاح الليلية » وهناك ايضا بزقاق الحجر آنف الذكر دار أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ويقال لهذه الدار ايضا مولد سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها سكنها النبي صلى الله عليه وسلم مع اسيدة خديجة وفيها تزوج بها وولدت فيهـا جميع أولادها منه صلى الله عليه وسلم وفيها توفيت وضي الله عنها ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم بها حتى خرج اى المدينة المنورة منها سرا وبزقاق الحجر دار لسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهي غير داره التي هاجر منها فهي بحي المسفلة مشهورة ومعروفة وهناك يا عزيزتي خديجة على ما سمعت مولد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على جبل عمر وكان يقال له جبل النوبي وأيضا المولد الذي يقال له مولد سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عند باب الباسطية وكان في الدار التي من بيوت الشريف غالب وفي بلد الطهر والقداسات دار سيدنا حمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه وهي بأسفل مكة ولعل اهل الآثار والمهتمين بالتاريخ يعملون خرائط يصورون فيها هذه الأماكن قبل ذهابها ويعلمون المواقع الاثرية تعليما بارزا ظاهرا حسب التطور والتقدم العلمي حتى تبقى ذكراها راسخة في الأذهان والموضوع بسيط جدا مثلا يكتبون اسم المكان على حجر منقوش أو على مرمر أو خلافه ويوضع على عامود مثل أعمدة الكهرباء أو غيرها ليدل على ذلك المكان الاثري ، أما دار أبي سفيان رضي الله عنه تلك الدار التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسم « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فقد كانت بالمحل المعروف بالتبان الى عهد قريب وكانت دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عند الميلين الأخضرين التي يسن الجري بينهما حالة السعي ولا تنسي يا صديقتي خديجة الدار المباركة التي اسلم فيها سيدنا عمر وسيدنا حمزه وغيرهما تلك دار الأرقم بن ابي الأرقم المخزومي المعروفة فيما بعد بدار الخيزران وقد كانت مجاورة للصغاراني أتمنى أن يقف المحققون بحذاء هذه الدار المباركة وغيرها ويضعون علامات تبينها لتكون مفهومة لعامة المسلمين وللاجيال القادمة قالت صديقتها خديجة تسلمين يا ست عائشة فان فمك يمطر لؤلؤا وعقلك يشع نورا ولا غرابة في ذلك فأنت من بيت علم وفضل ونبل زادك الله كمالا وجمالا فان حديثك عذب مستساغ واطلب ان تزودينا من الفوائد وتشبعينا من الكلام المعسول فقالت لها الست عائشة : أيتها الصديقة الحميمة اما شبعت من الكلام واكتفيت بما قيل — وهل يشبع الظمآن او يكتفي الجيعـــــان .

قالت عائشة : هناك جبال الكل يعرفها لما لها من الشهرة كجبل أبي قبيس الجبل المطل على الصفا وفي أعلاه مسجد يقال له مسجد ابراهيم ليس مسجد ابراهيم الخليل كما يقول البعض وانما الصحيح مسجد ابراهيم القيس كان يتعبد فيه . وجبل حراء اشهر جبال مكة المشرفة تعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم الليالي العديدة كما

هو معروف ، اما جبل ثور الذي باسفل مكة ففيه الغار الذي دخله الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهو المذكور في قوله تعالى « ثاني اثنين اذ هما في الغار » والقصة معروفة جدا ، وان جبل خندمة من جبل مكة المشهورة هو جبل كبير خلف جبل ابي قبيس المشرف على اجياد الصغري بشق شعب عامر ولعل البعض لا يعرفون جبل ثبير وهو على يسار الذاهب من منى الى عرفات ولكن هذا الجبل من منى وهو الذي اهبط عليه الكبش الذي فدى به اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقتئذ .

قالت الصديقة خديجة للمتحدثة : انت موسوعة علمية ومكتبة متنقلة فعرجي بنا الى ذكر المساجد المشهورة في أم القرى زادها الله شرفا .

فقالت لها بكل سرور : فانني بهذه المناسبة اتذكر ابي محمدا تغمده الله برحمته يخبرنا عن طريقة أبيه مفتي مكة سابقا الشيخ عباس بن جعفر رحمه الله رحمة الابرار حينما كان يجمع ابناءه ليعلمهم أمور الدين الحنيف ويثقفهم الثقافة الاسلامية الواسعة حتى أن ابنه عبد الله أصبح خلفا له في تولي الافتاء لقد غرس في كل ابنائه محبة الوطن والمحافظة على التقاليد العربية الاسلامية وعلى العادات الحسنة لأهل مكة الفضلاء ولقد تعلمت بالقدوة الحسنة وتعلم كثير من أهلنا ومن اهل البلاد وجوب القيام في الصباح قبل شروق الشمس ليتهيأ الانسان للوضوء والصلاة ويستقبل يومه بالطاعة والعبادة وتلاوة ما تيسر من القرآن المجيد ثم يمضي لعمله مسرورا مسبحا ربه شاكرا ذاكرا مصليا على النبي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه وكانت كلمة أصبحنا وأصبح الملك كله لله الحي القيوم تتردد على افواه الناس وذكر الله الجليل دائما وأبدا على الألسن لا تكاد تجدي الغفلة المتفشية في الوقت الحاضر عند بعض الشباب والشابات وقد شاهدنا بأعيننا أن كثيرا من الخلق يقيمون بعد شروق الشمس ولا يهتمون بالركن الثاني من الاسلام والصلاة كما تعلمين عماد الدين وهي نور وسرور وتثقل الميزان ومزاياها وفضلها كبير ولا أحد يجهل ذلك انما طغى على بعض الناس النسيان وخدعهم الشيطان وغرهم بطول الأمل وفتنهم بحب المادة حبا جما فتغير الحال فقالت لها الصديقة خديجة : صدقت فيما قلت فاني شاهدت بعيني في هذه الايام القريبة بعض الذين يذهبون للتنزه الى عرفات مثلا أو الى وادي فاطمة أو الزيما او سرله أو جعرانه وغير هذه البقاع اذا حان وقت الصلاة فهم منصرفين عنها بسرد قصص أو كلام فارغ والمفروض بعد أن استمتعوا بجمال الطبيعة وشم الهواء النقي يحمدون الله ويشكرونه وذلك بأداء ما فرضه عليهم من الصلوات فلا خير فيمن يغفل عنها وحقيقة ثابتة لا تنكر كانوا في البيوت يربوننا على تعشق العبادة وادائها في وقتها ويهذبون أخلاقنا ويعتنون بتنشاتنا تنشئة اسلامية خالدة .. نعم يا صديقتي خديجة فقد كانوا يكررون علينا في منازلنا دائما اتقوا الله .. راقبوا ربكم .. حافظوا على صلواتكم .. تمسكوا بآدابكم وكان ابي محمد علي يتلو هذه الآية الكريمة « وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » . وكان يقول لنا يا ليت كل من يأتي الى هذه البقاع الطاهرة أن يحافظ على عاداتنا الموروثة الطيبة ويقتبس من تقاليدنا الحسنة ويغار على البلد كما يغار عليها

اهلها فان الاقامة لها نظام وواجبات تفرضها تقاليدنا الاسلامية الغالية وتدعو اليهـا عاداتنا الحسنة وان في بلادنا الحبيبة كثيرا من العوائل قد نشئوا ابناءهم وبناتهم على التقوى وعلى القيام بالواجبات الاسلامية كما امر ربنا الرحمن الرحيم وغرسوا في نفوسهم حب الاستقامة والتمشي على النهج القويم هؤلاء وامثالهم نفتخر بهم ونتمنى لهم مزيدا من التوفيق ونطلب الاقتداء بهم وبأمثالهم المجيدة . لنرجع الى موضوعنا السابق فانني يا صديقتي اراك حريصة لتتبع وفهم المآثر الاسلامية في بلدة خير البرية صلوات الله وسلامه عليه فأخبرك باني بعد ما حفظت بالسماع وحينما نظرت في الكتب المعتمدة عرفت بأن المدعي مسجد يروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع فيه الناس عند فتح مكة وعن يمين الصاعد الى المعلا على راس حوش غراب مسجد محوط عليه بالحجر الشبيكي وهو في الجودرية يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهناك مسجد الراية عند بئر جبير بن مطعم يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم غرس فيه رايته يوم الفتح ، أما مسجد الجن فهو معروف وهو فيما يقال موضع الخط الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه ليلة اجتمع عليه الجن وبايعوه صلى الله عليه وسلم كما يقال ، وقد سمعت بمسجد الاجابة وهو على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية اذاخر يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فيه أما مسجد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي بحي المسفلة عند البازان فيقال أنه داره التي هاجر منها الى المدينة ، وبحارة الباب مسجد سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو الموضع الذي غرز به رايته يوم فتح مكة . وتعلمين يا عزيزتي المصونة بأن هناك مسجد البيعة وهي التي بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أصحاب السير وهو بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة في شعب على يسار الصاعد الى منى يقال أن المنصور العباسي امر ببناء هذا المسجد ومسجد الخيف الذي بمنى فهو أشهر من أن يذكر صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولقد عرفت مسجد التنعيم وهو الموضع الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبي بكر اصديق رضي الله عنهما باعتمار السيدة عائشة رضي الله عنها ولا تنسي مسجد الجعرانة وهو الذي اعتمر منه سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قسم الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين وذلك بعد فتح مكة وقبل سميت الجعرانة باسم امراة من قريش يقال لهـا رايطة بنت كعب ولقبها جعرانة . ويا صديقتي خديجة ان من ذكريات والدي عن ابيه انه كان رحمه الله يقول لهم ورد في الذكر الحكيم قول ربنا العليم « وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » اسمعوا يا ابنائي ويا اقربائي وبلغوا كل من تستطيعون تبليغه بأن القرآن هو النور والضياء فداوموا على تلاوته وتدبر معانيه وامروا المسلمين بذلك فان السعادة الأبدية في العمل بما جاء في القرآن المجيد حينئذ تفيض اعيُنهم من الدمع بسبب التقصير والغفلة وكان والدي رحمة الله عليه وعلى جميع اموات المسلمين يقول : يعيش المرء بسعد ابيه وجده فيحثنا على العمل الطيب ويرغبنا في فعل الخيرات والآن قد اقبلت الدنيا علينا وزاد الخير وكثر المال ولكني أرى ان الرحمة بين الناس لتكاد تنمحي في كثير من المناسبات ولقد عرفت كثيرا كانوا

من ميسوري الحال والآن اصبح يشار اليهم بالبنان ولكن الوطنية في نفوسهم اوشكت على الاختناق وقد تقاعصوا عن أعمال المشاريع النافعة للامة والتي بها ينالون اعظم الثواب . أين المساكن الخيرية كالاربطة بالنسبة للمحتاجين فقد كانت موجودة بكثرة بحيث قد سدت حوج بعض المحتاجين وكان الناس يتنافسون في اعمال البر والاحسان ويقومون بالواجب نحو امتهم ووطنهم وكان الترابط الأسري والتعاطف الاخوي ملفتان للانظار ، اما اليوم فان بعض الناس تناسوا الفضائل وتقاطعوا وتدابروا واصبحت بعض القلوب اشد قسوة من الحجارة واكثر صلابة من الحديد . انني لمتأسفة جدا على بعض المروءات التي لم اشاهدها كما كانت وفي القديم صور لنا الشاعر بكاء المروءة بنفسها فقال :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا ابكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

قالت خديجة عند ذلك : الواجب يحتم علينا التمسك بالمروءة والشهامة ومكارم الاخلاق وبشيء من التواصي بالحق تشع الأنوار ونزداد تمسكا بعمل الاخيار واذا بالسيدة مصباح قريبتها تدخل وتسلم فترحب بها صاحبة المنزل اجمل ترحيب وتقابلها بوجه طلق ومحيا يشع فيه البشر ويتعانقان عناق الأخوة الخالصة والمحبة الصادقة وتتقدم خديجة فتحيي قريبتها وتبتسم في وجهها ويدور العتاب اللطيف بينهما على طول الغياب ثم لما تعلم الظروف والأسباب تقبل الاعتذار ، وكما يقولون والعذر عند كرام الناس مقبول وتهتم الست عائشة باتقان فنجان القهوة العربية وتبدأ مصباح في الحديث فتتذكر البساطة التي كانت موجودة في الماضي عند اقامة حفلات الزفاف وكيف أصبحت في الوقت الحاضر تزداد تعقيدا ومظاهر البذخ ظاهرة والاسراف في التكاليف واضح والانفاق في غير موضعه كعمل الزينة أو الريكة أو الكوشة ومتطلباتها من مظاهر النفخفة الكذابة والانتفاخ المرذول والمبرر الكاذب الذي يتردد على اللسان عندهم « هي ليلة في العمر » يعني يتكلفوا ديون وجمايل ويتحملون مشقة وتعب وهلاك ونار كان ليلة العمر لا تنقضي الا بهذا الشكل الذي هو من الأسباب التي أدت الى وجود العوانس وكثرة العزاب فتضحك الست عائشة متذكرة المثل البلدي العروسة للعريس والجري للمتاعيس . . ثم تردف قائلة اهل العقول في راحة يا جماعة يسروا ولا تعسروا واذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه فتقول لها صديقتها خديجة : نعم ما قلت ليت عندي بنات وانا اطلب لهم الرجل الشهم المشهور بالصلاح والتقوى والذي له عمل يقتات منه والبنت ليس لها غير رجلها ولكن بعض الناس واضعين في أذن طينة وفي الأخرى عجينة واذا تيقظوا وذهبت غفلتهم تنقضي مشكلتهم وبشيء من الشعور الطيب والتفكير الصائب وباحساس لأداء الأمانة يحصل المراد وتنحل العقد ويصلح المجتمع ثم أن خديجة وقريبتها مصباح تستأذنان من صاحبة الدار على امل العودة في الايام

(٢)

قامت في الصباح الباكر وصلت الفجر في وقته وذكرت الله جلت قدرته وتلت القرآن حسب ما تيسر لها في ذلك الوقت ثم دار في خاطرها ذكرى الأيام الماضية كيف نزلت من الدور الثاني من منزلها الى الدور الاول الذي فيه ديوان العلم وهو عبارة عن غرفة واسعة لها عقد جميل ولها فسحة كبيرة وخزانة وبها كتب العلم الجامعة النافعة الموروثة عن الأجداد وفي هذا الديوان يمكث دائما أخوها عمر الموصوف بالشجاعة وطول البال لونه ابيض واسع العينين يميل الى الطول قليلا بارز الصدر يسيرا مفتول الساعد صاحب صوت جهوري غرامه النظر في بطون الكتب لينمي مواهبه ويزداد معرفة وثقافة ويكتسب مهارات وتجارب تساعده في الحياة ثم لما نزلت الى أخيها في ذلك الوقت تباحثت معه في مشروع فتح دكان في الجودرية التي يقطن بها أبناء عمومتها والتي قيل فيهـــــا :

والمدعــى مســـكن الصــــلاح	كــم مــرة قــد مشيــت فيهـــا
والجودريــــة تمـــر تفــــاح	يا بخــت مــن قــد سكــن بيهــا

والجودرية تابعة لحي شعب عامر المشهور وهو شعب عبد الله بن عامر بن كريز وقد قال الشاعر الفطـــن :

وهل عامر مــن بعدنــا شعيب عامر	وهل هو يومــا للمحبيــن جامــع
وهل أم بيــت اللــه يا أم مالـــك	عريب لهــم عندى جميعــا صنائع
وهل نزل الركـــب العراقي معرفــا	وهل شرعــت نحو الخيام شرائــع

واكثر أحياء مكة المشرفة وما حولها كمر الظهران وهو الوادي حاليا لم يغفل الشعر الأصيل التغني بذلك وبهذه الأحياء كأجياد والشبيكة والزاهر واذاخر والنقــا والخيف مما يدل على أن الناس تمكن حبهم لهذه البقاع الطاهرة ، أما المشروع التي عرضته الست عائشة على أخيها عمر فهو عبارة عن فتح دكان واسع ومغالق كبيرة للتجارة العامة ولكن الشرط الأساسي هو عدم الاستغلال والجشع والربح الخيالي الذي حذرت منه كتب الفقه الاسلامي . ووقتئذ تذكر عمر اباه محمد علي ذلك الرجل حلو الشمائل طيب الحديث الذي اخذ من كل علم بطرف والذي كان محبا للسفر الــى البلدان العربية والاسلامية ينشر تعاليم الدين الحنيف ويقوم بتدريس اللغة العربية الجميلة المحببة للنفوس التي هي لغة القرآن المجيد والسنة الطاهرة يهوى الرحلات في سبيل العلم يعلم ما علم ويتعلم ما جهل ولقد حفظ عن الأوائل هذين البيتين :

ما حوى العلــم جميعــــا احـــد	لا ولـــو مارســـه ألف سنـــة
انمــا العلـــم كبحـــر زاخـــر	فاتخــذ مــن كــل شـــيء احسنه

ساعتها تذكر الابن سفر أبيه رحمه الله فهاجت به الشجون واخذ يتمثل بالشعر الذي يسمونه الحدري وهو موجود بكثرة عند اهالي مكة والعرب الذين بأطرافهـا وله معان بديعة وفيه خيالات جميلة وله مفاهيم تنعش وتغري الأذن بالسماع أما اذا كان صاحب الحدري صوته جميلا فانه يتغنى به في المجالس وفي الطرقات الخالية كما كان الحداء عند العرب القدماء مشهورا جدا حتى ان الابل تطرب منه ، اما الشعر الحدري الذي تمثل به عمر من حفظه فهذا نصه :

سـافرت يا مـبرى الاجـراح يـا مطربـي يـا مسلينـي
مـن بعدك الـدار مـا تنطـاق خذنـي معـاك لا تخلينـي

* * *

البارحـة شفتهـم فـي النـوم وحلمـت روحـي تعاتبهـم
سالـت دموعـي علـى الخديـن والقلـب مشتـاق شوفتهـم

عند هذه اللحظة طرق باب الدار طارق فاذا هو ابن عمهم همام فرحب به عمر احلى ترحيب وكذلك رحبت به الست عائشة وفرحا بقدومه وكان همام له صولات وجولات في الغناء الفرعي والحدري فقال له ابن عمه هات سمعنا ما يعجبنا ويطربنا فأجاب على البديهـة :

أهـلا وسـهلا بعطـر العـود ترحيبـه مـن هـوى سالـي
وامك مـن اهـل الكـرم والجـود وابـوك مـن المنصـب العالـي

قالت ابنة عمه واخته في الرضاع ذكرتني بالوالد الغالي رحمه الله رحمة الأبرار ثم أردف أخوها قائلا وايضا ذكرتنا بالأم الحنونة اسكنها الله واسع الجنان يا همام لك عندنا مشروع مفيد يعجبك فأكمل لنا الأبيات . قال همام لبختوني لست بفاهم شيئا لكن هذه بعض الأبيات علكم تفصحون وتوضحون :

لي سيد خاوى المعاني وجاوى الذوق كـل الثلاثـة المعانـي فيـه
التيـه والغنـدرا وحـتى الفهـم ربنـا عاطيـه

وبعد ان ارتشف فنجان القهوة العربية قال :

جار الهـوى فيـه فؤادى جـار واصبحـت مثـل القلـم مـبرى
وللـي احبـو غـدا جبـار بينـي وبينـو محـد يـدرى

عند ذلك قالت الست عائشة دعونا من الهوى ومن بحوره . فقال همام يا عمر خليك مع الكتب ثم ما هو مشروعك عجل بالخبر بعد هذه الاقوال الآتيـة :

يا حبيـبي كـل نظـره فيـك تسـوى سويقـة ومـا فيهـا
يا بـو شفايـف كمـا العنـاب واهـل الهـوى انقتلـو لجلـك

* * *

قالت عائشة رجعنا للهوى والكلام الفارغ ساطلع الى مكاني . فقال عندئذ اخوها: اسمع يا ابن العم المال عندنا ولله الحمد كثير اتفقت انا واختي وانت شريكنا طبعا على فتح بقالة عامة في الجودرية شريطة ان يكون كسبنا معقولا وان نراقب الله الجليل في كل الأمور وفي البيع والشراء ونعطف على المحتاجين والارامل والايتام ونبتعد عن الاحتكار المذموم هذا قصدنا ولكل امرىء ما نوى . فقال همام : نعم القصد وانا الذي استأجر الدكاكين والمغالق في موقع استراتيجي ثم اني قبل مغادرتي اسمعك ما يأتي فاني اراك شغوفا بالسماع وكأنك تذكرت عهود الصبا وعنفوان الشباب :

بين الحواجب ورمش العين	مكتوب رقمه بحرف الصاد
يلي حويت العقل والزين	بين الاسود كيف تنصاد

لكن اسمع دع الحدري والفرحي والمجرور والصهبة والزومال الشعبي كلها لنا ولأمثالها من عشاق الفن الأصيل أما أنت فسمعني اقوال وكلام شعراء الكتب في هذا المضمار . فقال عمر أيام أهل المعالي والذوق مثل الذين تفننوا وتبحروا كصالح طواتي وعبد العزيز مؤذن وحسن جاوا واللبني وابو خشبة الله يرحمهم ويرحم الشبانة كل واحد من هؤلاء فنان في درر الأقوال وفي المجس والموال هيا اسمع يا ابن العم وازيل عن قلبك الهم .

لا تنكروا خفقان قلبي	والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره	دقت له فيها البشائر

* * *

قلبي عليك أرق من خديكا	وقواي أوهى من قوى جفنيكا
لم لا يرق لمن تعذب قلبه	ظلما ويعطفه هواه عليكا

* * *

لا تظهرن محبة لحبيب	فترى بعينك منه كل عجيب
اظهرت يوما للحبيب مودتي	فأخذت من هجرانه بنصيب

قال همام زدنا حلاوة فكل ما قلته حسن وجميل فقال :

حججي عليك اذا خلوت كثيرة	واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول ظلمتني	الله يعلم انني مظلوم

* * *

باليل طل او لا تطل	لا بد لي ان اسهرك
لو بات عندي قمري	ما بت أرعى قمرك

* * *

انعم بوصلك لي فهذا وقته	يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني	اعطي وصولا بالذى انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره	وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه	لكن عليك تصبرى فرقته
بالله ان سألوك عني قل لهم	عبدى وملك يدى وما اعتقته

* * *

كتبت الى الحبيب ببيت شعر	اعاتبه فأغضبه جوابي
اجبني يا ملول على كتابي	فان النفس تسكن بالجواب
فوقع في الكتاب يزاد هجرا	وأبعادا الى يوم الحساب

وفي الحقيقة الوقت لا يكفي لسرد كل ما عندي فأسرع وهات لنا أمر الدكاكين فيخرج همام مسرعا الى الجودرية ومن حسن الحظ وجد العم علي بن حسين عنده مطلوبة من الدكاكين والمغالق فيتفق معه في الاجار ويدفع له العربون ويمهله لحظات بدفع الباقي ثم تسر الست عائشة وكذلك عمر ويحمدون الله جميعا ويخرج عمر مع ابن عمه ويذهبان لصاحب الدكاكين ويدفعان بقية المبلغ بعد اخذ سند الاجارة منه ثم يتواجهان صدفة ورب صدفة خير من ميعاد مع زميل الصبا السيد عمار فيرحبان به أجمل ترحيب ويصافحانه مصافحة أخوية تعبر عن المحبة فان السيد عمار رجل دهاء وحنكة وخبرة واسعة وله تجارب في الحياة واسرارها ودورانها وهو من أولاد الحارة ــ المشاكله ــ اي الشجعان واغلب اولاد الحارة اهل شهامة ومروءة ونجدة هم أهل الفزعات كانوا اذا شب الحريق في دار انسان او دكانه يهبون بسرعة تدل على نشامتهم فيطفئون النيران بقرب الماء وتنك السقاية وبأي وعاء يتيسر لهم ويمكن استعماله في مثل هذه المواقف واذا دهم السيل الى المسجد الحرام كل حارة تخرج ببكرة ابيها والعمدة على راس اهل حارته يشجعهم ويعمل معهم بهمة ونشاط فينظفون المسجد ويزيلون كل ما علق به من بقايا السيول ولسان حالهم يقول :

لا اله الا الله	جينا نخدم بيت الله
يا مصلي زيد النبي صلاة	يا المصلى زيد النبي صلاه

فيزداد حماسهم في الخدمة عند سماع تلك الأهازيج الجميلة وكثير منهم يقومون بالموجب في أيام الزين وفي الصلح بين الناس ويتقنون الفنون الشعبية الأصيلة اما الصهبة وحكر الدور فحدث به ولا حرج وهذا دور من ملايين الأدوار التي يتقنونها :

الورد فتح العاشق	والقلب فرحان من قربك
جد بالوصال يا دا الغزال	يكفي جفاك فانه يا مدلع
الوصل دا ليه بتخلبو	والقلب زعلان من بعدك
حسك تلوم أهل الغرام	ومدبر الكون صاحبوا

وفي مرة من المرات ذهبت الى العابدية وهي موصوفة بعينها الجارية واشجار

الفاغية وبهوائها العليل وجوها الجميل وفضائها الواسع ويلتقي بها كثير من الناس منهم من يبيت ومنهم من يسمر ومنهم من يقيل والبعض يجلس ساعات معدودات يستنشق الهواء الطلق ويتمتع بجمال طبيعتها الخلاب وهي تقريبا في محاذاة عرفات من ناحية الغرب ومن تمام المسرة وجدت أهل الحارة الكمل حاكرين المزمار الشعبي والعدة كاملة من نقرزان وطار ومدم وغير ذلك يطرب ويعجب وصوت الزومال مرفوع ومسموع واللعب على الرايق ثم فهمت كلمات الزومال البلدي ومطلعه كان :

ان كنت نشمي تعال معانا	جوش شويه واتبع هوانا
هوانا كله كله بطولة	نحن الصناديد أهل الرجولة
حوم علينا يخويا هيا	شوف الفنون هادى شعبيا
تحكي لنا تاريخ الأجداد	أهل المروءة وأصحاب الأمجاد
العب يا سيدى واظهر لي فنك	ترى الشجاعة بتسأل عنك
تاشع شويا والعب كمانا	واخرج فنونك لمن يرانا
بلادى هادي ما لها مناظر	فيها الشهامة وفيها العباقر
وفيها الفضائل وشرح المخاطر	وفيها السعادة وكل البشائر
نهدى التحية لكل فالح	يسعى الى المجد ويعمل صالح
ودوره في الحق بارز ومليان	يا مرحبابك يا فتى الشجعان

أظهر اللاعبون الحماسة والشجاعة لأن أهل المعرفة والأصول قاموا بالترتيب اللازم واذا أعطى القوس باريها تنظمت الأمور وصلحت الاحوال . أما الحكاية مع السيد عمار فاننا اتفقنا معه على أن يكون هو المشرف على اعمال التجارة وتصريف البضائع حسب خبرته على أن يكون له أجر يرضيه من المال وعرفت الأخت الحبيبة الست عائشة بالخبر فزاد سرورها ودعت لنا بالتوفيق والسداد ان التجار عرفونا وشجعونا بارسال بضائعهم المتنوعة وفتح الفتاح علينا واصبحنا مشهورين عند الخلق بأجود البضائع وارخصها بيعا نكتفي بالربح اللائق فلا جشع ولا انتهازية ولا احتكار وليس هذا مدح لنا وانما ذكر الواقع والحقيقة فطبعا الأمة لها حق كبير والوطن تجب خدمته باخلاص والقناعة كنز لا يفني لقد زاد ثراؤنا وكثرت الأموال وكان هناك أحد المعارف تغير عليه الحال بعد أن كان مشهورا بالوجاهة والثراء تذكرنا قصة جابر عثرات الكرام تلك القصة الانسانية وتذكرت الست عائشة القول الخالد الشريف أكرموا عزيز قوم ذل فأرسلت مبلغا كبيرا لتلك الشخصية مع أحد الأمناء وأوصته بكتمان الخبر والا يظهر الامر للرجل ثم تمضي السنوات وتسير الايام فاذا بتلك الشخصية تعود لما كانت عليه من الغناء والوجاهة لكن الرجل قد أخذ درسا كبيرا من الحياة لقد تقابل مع همام صدفة في بيت من بيوت الله العامرة بذكره جل وعلا ثم بعد التحية والمصافحة قال :

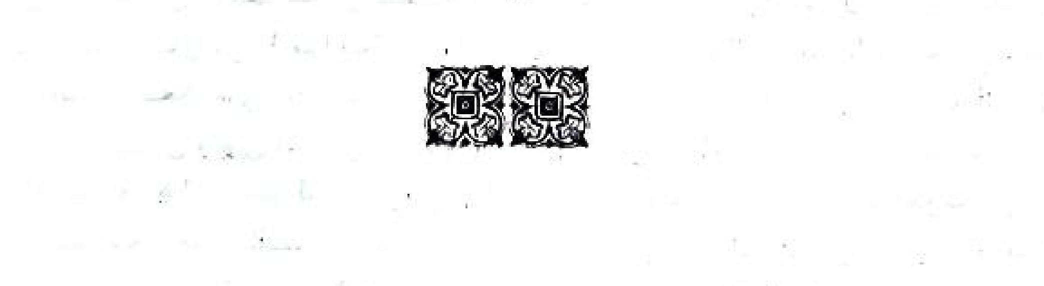
ان قل مالي فلا خل يصاحبني	ان كثر مالي فكل الناس خلاني

فكم عـــدو لاجـل المـــال صاحبني وكم صديق لفقـد المـــال عادانـــي

فقال له همام : صدقت وان من الشعر لحكمة .

ان الدراهـم في المناطـن كلهـــا تكسـوا الرجـال مهابـة وجمــالا
فهي اللســان لمـن اراد فصاحـة وهـي السـلاح لمن أراد قتـــالا

لكن ايضا يا عم لا تنسى ان أهل الخير موجودون والدنيا بخير فهز راسه معترفا بهذا القول وودع هماما بنظرة لها معناها ومغزاها .



(٣)

نهضت الست عائشة لتصنع شاهي الضحى فتغلي الماء في السموار المعدن ثم تصبه في البراد المعدن الأنيق ثم تضعه على السموار ليصبح لونه مناسبا وللسموار ذكريات حبيبة وليس له وجود ظاهر في هذه الايام الا عند بعض العائلات ولعله موجود في بعض البلدان مثل ايران وتركيا وغيرهما من بلدان العالم وبعد أن انتقن الشاهي نادت على أخيها عمر المولع بالقراءة في بطون الكتب النافعة التي ورثها عن آبائه ولكنه في هذه الآونة الأخيرة صرف معظم اهتمامه بالتجارة وما فيها من فوائد وارباح ولا زال على اهدافه النبيلة هو وابن عمه كما اتفقا عند الشروع في الأعمال الحرة أجاب عمر أخته حين نادته وصعد الى مكانها فشاهد الشاهي حاضرا فرشف منه فنجانا وقال : ان الشاعـــر يقـــول :

نضـــع الشـــاى ان أردت سقاءنـــا	لا خـــير فـــي شـــاه بـــلا نعنـــاع
واذا أردت قرابـــتي ومودتـــي	زدنـــي علـــى تثليثهـــا بربـــاع

انبسط من اتقان الشاهي ثم أراد الاستئذان ليذهب الى الدكان هنا اغتنمت أخته الكريمة الفرصة الطيبة بالرفق في البيع والشراء على المواطنين وبالرحمة للمحتاجين ثم بعدم ترك الصدقة فانها تنمي المال وتزيده بركة فأكد لها انه حريص على ذلك ثم حث السير الى الدكان كما انها ذهبت لصديقتها خديجة بعد أن أخرجت من من صندوقها السيسم المنقوش البرقع والملايا وقد أنتهى عهده ولم تبق الا ذكراه لكنها لم تلبسه بل تناولت القنعة التي أصبحت قديمة هي الاخرى بحيث حلت محلها العباءة لكن الواجب على السيدات أن لا يتبرجن ويقلدن التقليد المقوت بل عليهن المحافظة على الحشمة والآداب والتمسك بالفضائل والعادات الطيبة في اللبس وفي الخروج وفي جميع الأحوال وما أن وصلت الى منزل صديقتها الا والفرحة قد ارتسمت على وجه خديجة وقريبتها مصباح ورحبتا بها أجمل ترحيب وأطيبه وأخذوا جميعهن في نقد بعض الفتيات اللاتي لم يتقيدن بعادات البلد الحسنة ويلقين اللوم على كثير من أولياء الأمور وكيف أنهم غفلوا عن التوجيه والتوعية ومراقبة الأمر وتتبعه وتوقيف كل تقليد لا يمت لنا بصلة ولم تكن تعرفه هذه البلاد الطيبة ان أخاها عمر قد اقبل بفرحة صادقة بعد لحظات الى دار الصديقة ثم نادى من خارج المنزل لتلحقه اخته الى الدار ودهشن لهذا الأمر ماذا يبغي وماذا حصل ثم استأذنت الست عائشة وطلبت من صديقتها اللحوق بها بصحبة مصباح . لقد وصلت الى دارها فقابلها اخوها بابتسامة حلوة عريضة ليفاجئها بالخبر بأن ابن الحلال الوجيه عبد الرحمن بن محمد طلب يدها وهو معروف بسيرته الطيبة وأمانته المعهودة ومشهور بالتقوى والصلاح وهو منهم وفيهم وذكر لها ثمرة النكاح بنص الحديث الشريف : « تناكحوا تناسلوا فاني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة » وكما

قال صلى الله عليه وسلم وهي تعرف ذلك المعنى والنص وتفهمه فهما جيدا عند ذلك قالت أنا أريد الرجل الكفء ثم ما دام انك تعرفه جيدا وتقول أنه ذا خلق ودين فقد وافقت على طلبك كل هذه الذكريات المحببة قد خطرت على ذهنها بسرعة البرق خصوصا عندما هنأتها صديقتها خديجة بعدما علمت بكل ما جرى وكذلك قدمت لها اجمل التبريكان السيدة مصباح لكنها بعد أن قدمت التهنئة الجميلة قالت لا بد أن نزغرد ونفرح ولو كان عقد القران في المسجد الحرام . يعني ملكة مخفية كما يسمونها فتجيبها الست عائشة بأن الفرح في القلوب ولا مانع من العمل المناسب حسب مظاهر الأفراح وبحدود معقولة مقبولة ليأتي اخي واستطلع ماذا تم ومن ثم نتقدم بالدعوة لكل الحبايب ونعلن الأفراح وما أن أتمت كلامها الا وعمر مقبل قد بارك لها وفهمها بأن عقد القران انتهى فلنأخذ بعمل ما يناسب عند ذلك شكرته من أعماقها ثم بدأت تستوضح منه موضوع سكنها اين يكون فيطمئنوها بأن الدار التي يملكونها واسعة وقد وافق العريس على السكن معهم . لقد اهتمت صديقتها خديجة بهذه المناسب السعيدة على قلبها فقدمت الدعوة لجميع الجيران عن طريق خادمها مبارك وشارك ذلك ابن العم همام وقامت مصباح بدعوة السيدات وانشغل عمر باحضار ما يلزم من أعمال الحفاوة والتكريم بدون تكلف ممقوت ما أسعد هذه اللحظات فقد اكتظت الدار بالمدعوين والمدعوات واشرقت الأنوار بالأتاريك والقمريات وحضر الدفع من قبل بيت العريس وهو مصنوع من خشب ملون ببويات جميلة في وسطه النبات المكلل والهيل والفوفل المكللان أيضا وقوارير ماء الورد والكادي والتفاح وكل ذلك مكلل بورق الاكليل وفي الدفع محتويات أخرى من اللبان اللامي وما شابه ذلك ولا زال اسم الدفع معروفا ومترددا الى الآن بهذا النغم المشهور :

ليله عاريسنا جانا بدفعه وطيبوا ليله يا عمتوا يا جيدا رحبيبوا

أما حلاوة عقد القران فلم تكن في علب مثل الآن لقد وزعت على الشكل الآتي حبتين حلاوة ابتوتا ولوحين حلاوة شفافة وأربع حبات لوزية وحلاوة كانوا يسمونها غطا الشربة كل هذه الأشياء تصر في منديل شاش أبيض وتوزع على الحاضرين وبعد أن تم توزيع ذلك وبعد انتهاء الوليمة التي ناسبت المقام وقد انصرف الحضور قدم همام التهنئة والتبريك والدعاء بالتوفيق لأخته في الرضاع وابنة عمه فشكرته شكرا كثيرا وتمنت أن ترى فرحه وتحضر وليمة عرسه . مضت أيام على عقد القران ثم شرع في موضوع حفلة الزفاف بدارهم العامرة على أن يكون بشكل منظم يسر الناظرين وقد تحقق لهم ما ارادوا فعمل الرز الزربيان وصنع المشبك وتفننوا في السمبوسك وبدأ الترحيب والاستقبال بالنسبة لكل من حضر :

اهلا وسهلا آنستونا في بيت جيد وسيع البال
من موية الورد نسقيكم ستة ليالي وسبع ايام

أما الصديقة خديجة تلك المراة الطيبة فجلست تسامر العروسة وتؤانسها وتزيدها بهجة بقصصها الحلوة وكلامها المعسول وتعيد الى نفسها تلك الذاتة التي سمعتها

في حفلة زفاف بنت السيد خالد بن احمد ولا زالت عالقة بذهنها ومطلعها :

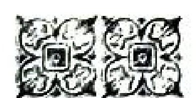
زارت بــــلا ـــ وعــــد تخطـر ـــي دجــــى الاغـــلاس
وشبقته القد والاعطـــاف والقامـــه لما رائتــي ما بين الرجـــا والبـــأس
اهدت لنا من قطيف الورد شمامه

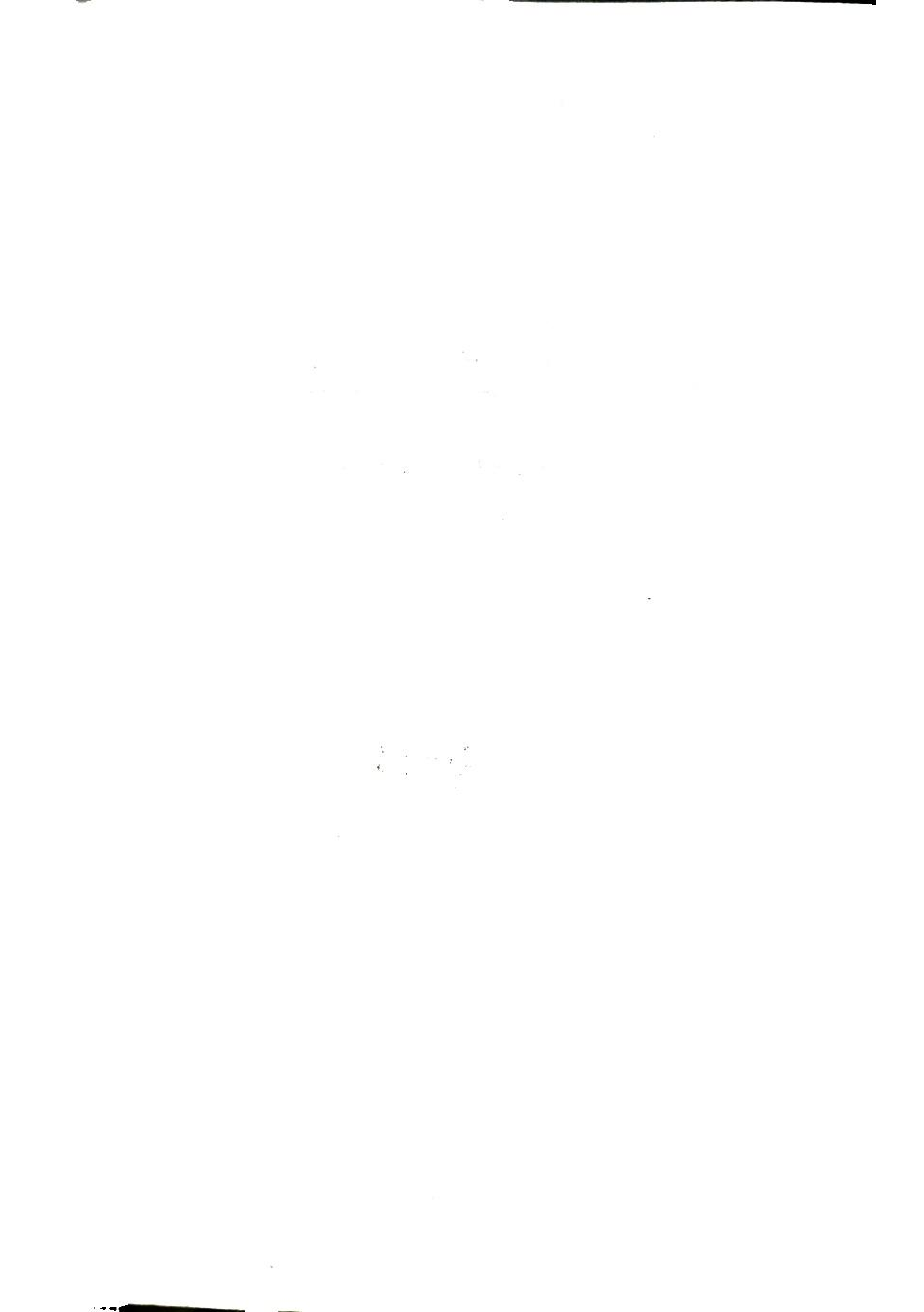
وايضا الدانه الاخرى التي اعجبتها :

سهران قلقـــــان الـــى حــد السلام اراقـــب النجوم ولا لي ســن معــين
يا كـــوز كادى مفســر بالخـــزام اوحشتــنـي يا ضيـــاء عيـــني اليمين

ثم بعد مجيء العريس وانتهاء الزغردة والنصه بدأت التهاني القلبية تنهال علـــى الست عائشة من جميع المدعوات وودعنها متمنين لها عشرة سعيدة وحياة حافلة بالهنـــاء والمســـرات .

ما أعظم الذكريات وما أحلاها حين تعلق بالنفس وتستمر في الخاطر وتقص على الأذهـــــان .





(٤)

همام ــ هات الكلام يا سيد عمار شايفك منهمك في البيع والشراء ما شاء الله .
عمار ــ انتو جماعة أمنتوني فلا بد أن أعمل باخلاص ونزاهة وأمان .
همام ــ كلك تكميل وبطولة .
عمار ــ ما عليك زود أنا مسرور جدا برحيمكم الجديد فهو من بيت طيب واخلاقه كريمة وفي الحقيقة انتو كمان أهل فضل ونبل الله يوفق ويجعل الحياة الحياة عامرة بالسعادة الثابتــة .

همام ــ اشكرك على عواطفك النبيلة . ما بقيت الا انا وأنت .
عمار ــ ايش نسيت عمر عقبالو كمان .
همام ــ من ناحية عمر فهو حتى الآن ما عنده نية ولا عزم .

وفي أثناء حوارهما يطل عليهما عمر بوجه طلق بشوش لقد سمع بعض ما دار بينهما فقـــــال :

ــ لا أحد يكره الزواج لكن المسألة ولا يجتمعان ولا يفترقان الا بقضاء وقدر .

همام ــ صدقت أما الآن فدعونا ننتبه لأعمالنا فاني أرى الزبائن قد كثروا يا أخ عمار أوصي الصبيان بأن يمشوا الناس الأول فالأول .

وفعلا كانت فكرة التجارة التي قاموا بها فكرة وجيهة أدخلت عليهم أرباحاكثيرة وجعلتهم متآلفين متفاهمين فيما بينهم فان المثل يقول « ان الطيور على أشباهها تقع » وطبعا شبيه الشيء منجذب اليه والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناقر منها اختلف لقد أصبح عمار أخا كريما لهما بحكم الصداقة القديمة والزمالة في العمل وقدومه عليهما قدوم خير ويمن وبركـــة .

لقد سأله عمر سؤالا يستوضح منه أسباب تركه للتعليم فيجيب بكل صراحة ويقول : انا شربت الحياة وما فيها ، أبويا محسن رحمه الله ادخلني الكتاب وكان في الجودرية أمام بيت البواب والشيخ الذي يعلمنا اسمه نافع وكان جبارا للغاية علمني سورة يس المباركة ، كان لا يسمح لأحد بالخروج ليقضي حاجته فمرة خرجت ثم رجعت واذا الفلكة قد أعدت لعقابي وهي عبارة عن خشبة مخروطة عند النجار ولها حلقتين يربط فيهما حبل شامي متين ثم توضع الرجل التي يريد الشيخ عقابها وتلف بشدة على الرجلين ويمسكها نفرين من الشباب وينزل الشيخ بالضرب على تلك الرجلين الضعيفتين حتى لا يستطيع المضروب احيانا التحرك وكان نصيبي كبيرا فقررت أن أشرد من الكتاب وجمعت بعض أصحابي وحضرنا من عند الطاقة الخلفية للمسجد ورفعنا أصواتنا

بقولنا « شيخنا نافع ضراب المدافع » فيغضب الشيخ ويأمر طلابه بأن يقبضوا علينا فنشرد من أمامهم سرت مدة على هذه الحالة ثم دخلت عند الخطاط الشيخ ابراهيم حلواني وكان عند باب القطبي وفي المدة الأخيرة انتقل الى باب زيادة وكان يعلم الخط والحساب والاملاء ، تعلمت قليلا منه وكان يستعمل الضرف في الاحرام يعني اقل نسبة من الأول صاحب الفلكة ثم تردد على سمعي المثل الذي يقول « صاحب صنعة ولا صاحب قلعة » « صنعة في اليد أمان من الفقر » فذهبت مسرعا الى القشاشية الحي الجميل فاذا انا بالشيخ أمين بن الشيخ محمد من السماكرة الكبار فطلبت منه ان يعلمني ، فرحب وعلمني باخلاص حتى شربت الصنعة واختبرني شيخ السماكرة ومعه المعلمين الكبار وصببت القهوة الحلوة ثم دفعت القانون ثلاث جنيهات للشيخ وجنيهين للنقيب وخليها في سرك الحسبة اغلبها سلف من النشاما في ذلك الوقت لا يستطيع أحد أن يصبح معلما في اي صنعة الا بعد الاختبار ودفع القانون لشيخ الصنعة ونقيبها بعد مدة من الزمن أصبحت دلالا في حلقة الفواكه ومكة لله الحمد يجبي اليها ثمرات كل شيء أهل الشفا ذلك المصيف الجميل صاحب الجو العليل جميع فواكهه تهبط عندنا مع بني سفيان الذين يقطنون هناك أما الهدا صاحب جمال الطبيعة فمن جميع القرى الموجودة فيه تأتيها الفواكه على اختلاف أسمائها والوانها وكان صوتي بدون مدح مثل صوت الربابة حين يبدأ الحراج ارفع صوتي وأقول « يا أهل الكمثرة ، يا أهل البرشومي ، يا أصحاب التفاح والخوخ البلدي والمشمش » ومثل هذا الكلام والمتسببين وغيرهم يشترون والله العزيز رزقنا وحصلنا خير كثير والآن شوفوني معاكم يا نشاما ما انتو رفاقي واخواني والحياة دروس وعبر والأيام دول .

عمـر ـ انتا في العين والراس يا ابن الأجاويد .

عمار ـ شكرا شكرا انا معاكم بقلبي وعقلي في جميع اللحظات والقلوب شواهد .

همام ـ في الحقيقة قصتك قصة كفاح ونضال وكثير من الأبطال مثلك لا زالوا مكافحين من أجل لقمة العيش ومتطلبات الزمان والحركة بركة وأفضل القوت قوت الرجل بعمل يده .

عند هذا الكلام اذا بالوجيه رحيمهم الجديد قد اقبل عليهم مسرورا يتلألأ وجهه بشرا فسلم فأجابوه بأحسن تحية ثم قدم له فنجان الشاهي فشربه وقال الوجيه فتحت دكانا للعطارة ثم اني محتاج لأهل المعرفة والخبرة وتصريف الأمور عند ذلك يجيبه عمر بقوله : « نحن كلنا معك بآرائنا وافكارنا وفلوسنا » فيبتسم ابتسامة تدل على الرضا وتعبر عن الارتياح لقد تلاقت افكارهم في الأعمال الحرة وجدوا في تنمية أموالهم بالطريقة المشروعة وساهموا في كثير من الأعمال الخيرية . لقد تذكر الوجيه عبد الرحمن قصة رفيقه شماس فقال لهم : لكم عندي سالفة صغيرة لها مغزاها ، صديقي شماس اخبرني بأنه في ليلة من الليالي وفي منتصف الليل كان سائرا على رجليه في طريق المخواة بلدة معروفة تتبع الباحة في الحجاز وكان الجو صافيا في ذلك الوقت علقت براسه أبياتا من الشعر الحدري فتغنى به ورفع صوته بقوله :

كـا تـين كـا ورد كـا تفـاح . كـم لـو كـدا كـان كاويـنـي

كتبا كتبتوا كتاب الواح كتبا كتاب السلاطيني

* * *

يا ونتي كل ما ونيت ونشبني النار واطفيها
واتذكر الدار كل ما مريت واذكر ليالي مضت فيها

طبعا كان الصوت يسري في الليل الهادىء واذ بصوت شجي يجاوبه بقوله :

مقعود درب الهوى مقعود ودو نواجر سجيا
هو المناضل واخو محمود يعدل على السيف جمبيا

فصاح شماس يا صاحب الصوت الحنون ورني وجهك . عند ذلك اقبل عليه رجل فارع الطول اسمر اللون مفتول الشوارب بيده بندق صاحب عينين واسعتين تبينها من ضوء القمر فسلم باللسان وصافح باليد ثم طلب من رفيقي شماس أن يجلس معه للصباح ان أمكن وأعلمه بأن هناك لبوة أخافت أهل القرية وعدت على مواشيهم وهو الآن يكمن لها ليقتلها . فقال له شماس : هات البندق فمعرفتي بالرمي ممتازة لسوف تشاهد العجب من الحكمة في هذا الموضوع ان اللبوة حينما نشاهدها سأطلق عليها الرصاص على بعد منها كي تجمح فتلك عادتها ثم أطلق الطلقة الثانية لا أصيبها حتى أنحمها ثم أطلق عليها الطلقة التي تقتلها ، فتعجب رفيقه من حكمته وبعد مضي ساعة كاملة واذا باللبوة قد أقبلت وطبعا كانا مختبأين وعمل الخطة المرسومة حتى أطلق عليها الطلقة التي أصابتها والقتها على الارض ثم حز رأسها ووضعها في حسكل معه والحسكل معروف عند كثير من القبائل العربية الأصيلة كبني هاشم وهذيل وفهم المقيمين بأطراف مكة المشرفة وغيرهم من القبائل وبعد نهاية المهمة مضيا الاثنان الى القرية وقبل الوصول الى المخواة غلبهما النوم فناما في الطريق فمر انسان بطريق مقتل اللبوة فوجدها مطروحة على الارض فقطعها ثم دخل القرية مختالا فرحا صائحا يقول :

وليد أبويا واعتزى بخالي بنيت حصنا ما بناه الباني

فخرج الناس على صياحه وعلموا انه قد قتل اللبوة التي أخافتهم وقد أتى بالذنب علامة على قتلها فعانقوه عناقا حارا ورفعوه على أكتافهم ومدحوه وافتخروا به واستيقظ شماس ورفيقه وجدوا في السير حتى وصلا القرية وشاهدوا الرجل المرفوع على اكتاف الرجال وبيده ذنب اللبوة يلوح به فخورا فقربا منه ثم سأله شماس من قتل اللبوة ؟ عندها اجاب بأنه هو ورفع صوته وضخمه فما كان من شماس الا أن أخذ بتلابيبه وأنزله وصفعه على خده قائلا له : الذي قتلها ياتي بالراس أم الذنب وفك الحسكل وأخرج راس اللبوة فأدهش القوم وعندها حقروا ذلك الكذاب واستصغروه وكل كذاب محتقر وقالوا لشماس بيض الله وجهك .

عمر ــ كلامك يا وجيه لا يمل والفشارين والكذابين ملأنين في الدنيا ام العجايب .
الوجيه ــ انا طولت الجلسة .

عمـــار ــ شرفت وآنستنا .

الوجيه ــ اشكركم من الأعماق . . اسمع يا اخ عمار بنظرك جبلي خمسة اشخاص ابطال ليعملوا معي في دكان العطارة وتحت اشراف رحيمي العزيز عمر.

عمـــار ــ ابشر يا غالي نحن على اتم استعداد .

الوجيه ــ ظني ما يخيب فالشهم شهم والكريم كريم يا رحيمي والكلام للجميع بستاني العشري الذي يسقى بماء المطر جاء خيره في هذه الأيام فالأمطار كثيرة لله الحمد والآن أريد الذهاب الى المغمس ثم أمشي مسافة الى بئر الخيام ثم اصل الى البستان وأشاهد انتاجه وأحث المشرفين عليه بالنشاط والهمة وعلى فكرة فالمغمس كما تعرف بالقرب من عرفات وقد حبس فيه الفيل وقال امية بن أبي الصلت :

ان آيـــــات وبنـــا ساطعـــات	ما يمــــارى فيهـــن الا الكفـــور
حبســ الفيـــل بالمغمســ حـــتى	ظـــل يعـــوى كأنـــــه معقـــور

قال عمر عند سماع البيتين ايضا لقد قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم :

أنـــت الجليـــل ربنـــا لم تدنـــس	انـــت حبســـت الفيـــل بالمغمـــس

أما نفيل بن حبيب فقـــال :

فانـــك لـــو رايـــت ولـــم تربـــه	لـــدي جنـــب المغمـــس ما لقينـــا
خشيـــت الله اذ قـــد بـــث طـــيرا	وظـــل سحابـــة مـــرت علينـــا
وباتـــت كلهـــا تدعـــــو بحـــق	كـــان لهـــا علـــى الحبشان دينـــا

فقال له الوجيه هذه فائدة القراءة والاطلاع يستحضر الانسان الحافظ كل ما يريد وقت الحاجة والاستدلال والمغمس مشهور في التاريخ وحتى الآن يقطنون بجواره بعض القرشيين لا اريد ان أطيل عليكم واني استأذن منكم فمرادي ان اشم هناك الهواء النقي واستمتع بسحر الطبيعة الفتان هيا عن اذنكم .

الجميـــــع :

توصـــل سالـــم وترجـــع غانـــم	يـــا مرحبـــا يـــا مرحبـــا

(٥)

وتسرع الأيام وتمضي الليالي والاعوام وتتحقق الاماني العظام واذا بالمولود البكر يظهر في دنيا الوجود فتبتهج الاسرة بمقدمه وتحمد الله العزيز على ذلك أما الوجيه ابو المولود فقد ازداد سروره واشرقت الدنيا في وجهه كما أشرقت في وجه الام الست عائشة التي جاءتها التهاني من كل جانب كما أن البسمة قد ارتسمت على وجه أخيها عمر الذي أصبح خالا للمولود أما ابن العم همام فبدأ يفكر في تسمية المولود مع شعوره بمزيد من الهناء والمسرات ثم تأتي الصديقة خديجة وقريبتها الأخت مصباح وكذلك أقرباء وقريبات أبو المولود وتعلو الزغاريد من أفواه السيدات ليلى ودلال ورقيه وكثير غيرهن لقد حضرن ليشاركن في الأفراح ويتقدمن بأسمى آيات التبريك وأحلى آيات التهنئة . لقد حضرت الداية وهي القابلة وكانوا يطلقون عليها اسم الداية .. حضرت مبتهجة مسرورة وكانت تسمى « لللا عزيزة » وهي مغربية الأصل طيبة القلب موفقة وكثير من أبناء البلد قد ولدوا على يدها رحمة الله عليها وجاء دور العقيقة وهي سنة نبوية شريفة وباعتبار ان المولود ذكر فقد ذبحوا كبشين أملحين ومن السنة أن ينزع اللحم جدولا ولا يكسر تفاؤلا بسلامة المولود بعد ذلك سمي المولود حسنا ثم حنك بتمرة من تمرات طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، أما ابتهاج الصبية الصغار وابناء الحي والجيران والأقرباء فحدث به ولا حرج فقد اعتاد الناس في مثل هذه المناسبات السعيدة أن يقوموا بادخال الهناء والمسرة في قلوب الأطفال وقلب الأم التي جاءت بالجنين وذلك بعمل العادة المفرحة التي تسمى « بالرب الرحمان » .

حيث يوضع المولود على طراحة صغيرة مشتغلة بالقصب ثم يلبس أحسن الالبسة المشرعة بالتلى عندئذ تولع الشموع المفللة ثم تحمل الداية المولود بطراحته تسير به الى الامام في وسط المنزل وتطلع في الدرج وتنزل الأطفال الذين يعلوا وجوههم البشر والذين جاؤا من كل مكان لأجل هذه المناسبة التي تزيدهم سرورا وفرحا يرفعون أصواتهم ويرددون النشيد الذي يعجبهم ويطربهم ..

يـــا رب يـــا رحمانـــي	بـــارك لنـــا فـــي الغلامـــي
يـــا دايـــه هاتـــي البشـــاره	يـــا دايـــه تمـــرى للحـــاره
يـــا اخواتـــي الفرحـــه تمـــام	يـــا اخواتـــي بهـــذا الغـــلام
يـــا سعدنـــا يـــا هنانـــا	المولـــى حقـــق منانـــا
والدنيـــا فرحـــت معانـــا	بالمولـــود لمـــا جانـــا

والسيدات يزغردن من كل جهة ثم يوزع على كل طفل شمعة مفللة وشريكة أم السمن وحلاوة بتاسه وفي وسطها ورق الأكليل ويكاد بعض الشباب لا يعرفون

الحلاوة البتاسه وانما يسمعون بها وما اسعد البيت الذي فيه اطفال فهم زينة الحياة وبهجة الدنيا ونور الوجود لقد فرحت هذه الأسرة الطيبة بالمولود فرحة عامرة اما الام فقد زادت محبتها لطفلها العزيز فاذا صرخ تألمت واذا بكى تنهمر الدموع من عينيها ثم تسارع باعطائه وتحتار ماذا تعمل له وبأي وسيلة تسعده مع انها بذلت اقصى الجهد لكنها ترى نفسها انها لم تفعل شيئا مذكورا ولما للأم من فضائل نحو تربية الاطفال وتنشأتهم فقد أولاها الاسلام عناية فائقة وحث على برها والحنو عليها وبين انها احق الناس بكل محبة وتكرمة وتقدير وكذلك الأب لم يهضم حقه اما افكار الوجيه عبد الرحمن فقد تختلف قليلا هنا فهو يعتقد ان التربية الوسط افضل فلا حنانا مفرطا ولا قسوة غير لائقة لذا فقد كان أقل لهفة من الست عائشة في مضمار التدليل ثم ان حسنا نشا نشأة فاضلة وفتح عينه على المحبة الموجودة في الأسرة كما ان خاله يؤانسه ويباسطه دائما ويصحبه الى السوق ويشتري له بعض الحلويات النافعة وبعض الالاعيب التي تروقه ويأنس لها ودائما يداعبه بقوله قل « لي خال خيال كياد العدا خالي » ولما بدا في تعلم الكلام وفي ادراك بعض الأمور علمه النطق بالشهادتين حتى قالها ورددها ثم غرست فيه الأم الكريمة محبة الله الجليل ومحبة النبي الكريم وكذلك الأب الطيب ينير له الطريق ويعلمه محبة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن اجمعين وكذلك محبة جميع الصحابة الكرام رضي الله عنهم وارضاهم وكان حسن يتلقى هذه المعلومات القيمة خطوة خطوة حسب تدرجه في السن حتى انه في سن السابعة تعلم الوضوء وأتقنه ثم أمر بالصلاة حسب تعاليم النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع » لقد غرست الأم في نفس طفلها محبة الاسلام وبين الأب له عظمته وساعد الخال أيضا بطريقة سليمة في تعليمه بعض سور الصلاة وعلمه آداب الأكل والشرب والنوم والمجلس بعد ذلك كما يقول المثل يكبروا الصغار وينجلي الغبار فقد كبر الطفل وقد قبل في المدرسة الصولتية وهي أقدم مدرسة في مكة المشرفة تخرج منها كثير من العلماء والفضلاء وكان بها مشايخ يعتبرون مفخرة للبلاد وكانوا فطاحل يقتدي بفعالهم المجيده مثل شيوخ مدرسة الفلاح الذين نبغوا في العلم والأدب والتاريخ وغير ذلك وقد تخرج على أيديهم كثيرون من العلماء والأفاضل وان المدرسة الفخرية قدرها كبير وقد ساهمت في ميدان العلم والفضل وكان بها أجلة ونجباء وعلماء عاملين واليوم نحن في نهضة علمية واسعة عمت السهل والجبل والقرى والمدن وان المدارس في كل مكان والجامعات المتعددة لهي أقوى دليل على تقدمنا في جميع ميادين المعرفة والثقافة وغيرهما من ميادين الحضارة والتقدم . .

فمن بلدى شع نور الرشاد ومن بلدى كان هدى العباد

لقد استقام امر حسن في المدرسة وأظهر نبوغا فائقا وعبقرية فذة وذلك بسبب تشجيع أسرته له في المذاكرة المتواصلة والمطالعة في كتب الثقافة والمعرفة وكتب التاريخ واصبح في عين ابويه واقربائه جميعا معقد الآمال لقد عرف الحياة على حقيقتها وعرف الأصدقاء الأوفياء والمتنكرين للمعروف والذين دابهم الاستغلال والذين ينطبق عليهم قول الشاعر :

وما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

لقد اتاه صديقه حسان الذي يعجب به ويأنس لحديثه وقد كان ينظم الشعر الفكاهي مرحب به وسر لمقدمه ثم بعد لحظات من الاستقبال اطلعه حسان على بعض قصائده الفكاهية ليأخذ رأيه فقرأ الأبيات التي تقول :

انا الوليد ولد الحاره ... سموني لخلخ يخساره
أعمل طرنبه بشطاره ... العب كبت والعب كوره
تراني عنتر زماني ... مجاهد بسيقي ولساني
انا اكلي كل يوم روس مندى ... اقوي كرشي وايش عندى
كمان كباب وصحن كفتا ... وشربت فريك تصبح فتا
لا تسمعوا في الأكل يناس ... والحوت المقلي يا عداس
وصحون المبشور يا قنطاس ... تخلي فكرى بدون حواس
لا تلو بوزك وتتقطب ... وتنجعص ما تتخاطب
بطل كباره يشرفنطح ... سيب غروورك يطرنطح

بعد هذه الأبيات أريدك يا حسان أن تنظم على نمط . .

سل الرمال العوالي عن معالينا ... واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

واذا نميت مواهبك تصل لتحقيق أمنيتك . أنظر يا صديقي هذه المكتبة الزاخرة بألوان الكتب المفيدة فانها خير معين وخير زاد وصدق من قال « خير جليس في الزمان كتاب » وأنا أعرف حالتك جيدا وفي استطاعتك أن تبدأ من الآن وتكون مكتبة ولو صغيرة فبشيء من التوفير تصبح بين مدة من الزمن وقد اقتنيت كثيرا من الكتب الضرورية لنماء العقل وصقل المواهب وليس الأمر بمستحيل أبدأ من الايمان ونفذ الفكرة وسوف تتحقق الأماني الطيبة فالكتاب نعم الرفيق والأنيس وعند سماع هذا الكلام من حسن دار التفكير في عقل حسان واستحسن الفكرة وقرر لصديقه تنفيذها ثم استأذن وخرج من الدار العامرة ثم لحقه في الخروج بعد برهة من الزمن حسن وذهب الى دكان والده الكبير الواقع في السوق الصغير فلما وصل الى الدكان وكان قبل ذلك لم يعرفه وجده كبيرا واسعا والعمل فيه مريح ودخله طيب استنتج الأرباح مما شاهده من الحركة الدائبة وكثرة الزبائن وتصريف البضائع لقد اخذ له مكانا في زاوية وضع فيها كرسيا وجلس عليه ثم ان أحد الصبيان حينما عرفه صنع له الشاهي وأتقنه وقدمه له بنفس الطيبة زادت الفتى ولعا بالحضور بعد الفينة والاخرى للدكان وهكذا فقد استمر يذهب الى الدكان كلما خطر على باله ولقد شاهد سير البيع وتفطن لتصريف البضائع وفهم الكثير من اسرار التجارة وارباحها خصوصا وهو الفطن الذكي لقد تعلم من الأسرة ان الجشع يجب محاربته وان الكسب لا يكون الا بربح معقول لقد تعلم من الحياة التي هي مدرسة واسعة امورا كثيرة زادته حنكة وخبرة في كثير من امور الحياة الواسعة وفي مرة من المرات التي لا يمكن ان ينساها او تذهب عن مخيلته اتاه بهلول الراعي وهو جالس في الدكان مستمتع بما يشاهد في السوق من امور تعرض في البيع والشراء والأخذ

والعطاء وانشغال الناس بحياتهم ومتطلباتها فقطع بهلول عليه متعته التي سرح فيها خياله وقال له أما تعرف من يقول . .

اصـــل المحبـة سببهـا العـين ويشوفهـــا القلـــب يتبعهـا
مـن لا يـــودك تـودو ليــه خـــل المـــودة لهاليهــا
ترمـي بروحـك خطـر لجليـش لازم علـــى الـــروح تفديهـا

فلما سمع هذا الكلام كأنه افاق من منام ثم قدم كرسيا لبهلول وقال له : تفضل استريح فأثنى عليه وضحك في وجهه ثم صاح قائلا :

يـــا حبيـــبي زاد الحـلا لونـك ويش الســـواد يلـي سكن في العين
يوم أسمع النـاســـ يطرونـــك سالـــت دموعـي علـــى الخدين

فقال له حسن وقلبه يخفق ويضطرب من وقع ما سمع : يا بهلول لماذا لا تهتمون بتدوين أمثال هذا الأدب الشعبي .

فقال بهلول على الفور : لربما اذا بدأ يضيع حينئذ نشتاق لتدوينه . . أين المتفرغون ثم أين المهتمون من أحباب هذا اللون . اسمع يا حسن لعل الأجيال القادمة تهتم أكثر مني ومن غيري دعني الآن أشم رائحة هذا القول الجميع « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت » هيا بنا نجول في الشعر الغزلي المحبب . .

خيالـك في عينـي وذكـرك في فمي ومثـواك في قلـبي فأيـن تغيـب

* * *

وعنـدى من الأشواق ما لو شرحته الى الناس قالوا قد عـراه جنـون
فوجـد وتحنـان وذكـر أحبـة ومـن حالـه هـذا فكيـف يكـون

* * *

يا بهلول هذه كلها من الذاكرة الحافظة . أجاب : طبعا فجعبتي ملأنة :

قال الطبيب لقومي حين جس يـدي هذا فتاكـم ورب البيت مسحـور
فقلت ويحك قد قاربت في صنعتـي عين الصواب فهلا قلـت مهجـور

قال حسن دعنا من الهجران وخذ بنا في أمور أخرى فقد حركت ساكني وايقظت مشاعري عندئذ قال بهلول الراعي صاحب الشخصية المرحة والروح الخفيفة والذاكرة القوية والقصص النادرة : الدنيا مشاوير والحياة دروب والناس طبائع والفنون كثيرة لكن لا بد من ان نعتني بالأصالة ونشجع كل موهوب هيا لا تطول الغيبة والى اللقاء . لم يكن حسن يعرف بهلولا معرفة كبيرة لكنه سمع بخفة روحه وشاهده عيانا بيانا فصدق كل ما سمع عن هذا الانسان المرح لقد سرح الفتى حول بعض التخيلات التي اعترته في تلك الجلسة القصيرة لكنه بسرعة تذكر الدراسة والتعليم فحث نفسه على الذاكرة

المتواصلة والكفاح المستمر والنشاط الدائم ليظفر بتحقيق مناه والحقيقة لكل مجتهد حظ وافر ونصيب كبير ومن طلب العلا سهر الليالي . لقد سار على الدرب حتى وصل ثم عشق التجارة وتعلق قلبه بها وتشاور مع أبيه وامه وخاله على أن ينوع دكان ابيــه بكل ما يحتاجه الناس وبدأ بالفعل في استئجار بعض المعارض الواسعة ليطــور عطارة ابيه ثم فتح مكتبة ثقافية قيمة فيها اصناف العلوم والمعارف لم يكتف بذلك بــل فتح في سويقة معرضا لبيع أنواع من الأقمشة الجميلة المختلفة وحقا فقد نوع أعمال ابيه وطورها بكل جدارة ومهارة مما جعل الارباح تزيد يوما بعد يوم ان اعماله كللت بالنجاح وزاد ثراؤهم وأنعم الله عليهم من فيض خيراته فحثته امه بعمل مساكن خيرية واسعة وفي الأحياء التي تحتاج الى هذه المشاريع التي تدل على نبل وكرم القائمين بها واكد له ذلك والده وكذا خاله واستحسن هذه الفكرة الخيرة فقام وقبل رأس امه صاحبة الفكرة وأيضا رأس أبيه الذي ما بخل بشيء من ماله في طرق الخير أبدا وفهم أن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم احتضن خاله وشكره على تأييده للفكرة وفهم منه أن واجب التجار وكل الموسرين أن يبادروا ويعملوا لبلادهم أعمالا جليلة نافعة يخلدها التاريخ الذي لا يغفل لهم ولكل العاملين المخلصين لم تمض سنوات قلائل الا والمشاريع السكنية الخيرية قد ظهرت لحيز الوجود ورأت النور وسكنها المستحقون وهم يلهجون بالثناء الطيب لكل من يعمل الخيرات ويدعون العلي القدير أن يكرم هذه الأسرة الحنونة وأن يكثر أهل التوفيق والصلاح في هذا البلد الطيب الأمين ثم ان الفتى قد عادت الى ذاكرته تلك الأشعار الحدرية الرقيقة التي سمعها من بهلول والتي هيجت شجونه وحركت أشواقه وأخرجته الى دنيا من الخيالات والشعور الفياض بملامح المحبة وبترديد عبارات الأشواق . تذكر قول بهلول « أصل المحبة سببها العين ويشوفها القلب يتبعها فراق خياله » وخطر على قلبه رقة وحنانا خصوصا عندما تخيل تلك الفتاة الشقراء جميلة القوام رشيقة القد دعجاوية العين ذهبية الشعر صاحبة الجمال الباهر الذي حير لبه وسلب قلبه والتي رآها عفوا وبدون قصد عند معرض الأقمشة فسكنت في قلبه وعلقت بذهنه واشتد ولعه بها وذلك بينه وبين نفسه لقد تحير في أمره حينما شاهد الفتنة تغريه بالقرب ولكنه مسك زمام أمره لتبصره وتعقله ولو أنه بدأ يفقد شيئا من الثبات والحكمة عندما يتجسم له ذلك المنظر الباهر الخلاب لقد وقعت تلك الفتاة من نفسه موقع الاعجاب والرغبة فما العمل ؟؟ أيكشف السر لأمه تلك الأم الحنونة عليه صاحبة العقلية الراجحة والمعلومات الوافية ام يكتمه ولا يطلع احدا عليه ولو تحمل العذاب في نفسه والمرارة في حياته كما يتصور ذلك وذات يوم وهو جالس على مائدة الطعام اذا بعقله قد سرح بعيدا وتذكر ذلك الجمال الذي بهره حتى انه نسي من حوله لكن يقظة امه الست عائشة كانت قوية وملاحظتها تدل على الفراسة وبعد النظر فأخرجته من ذهوله حيث قدمت له صحن الفواكه تحثه للاكل ساعتئذ تنبه وكأنه قد أفاق من حلم ثم اكل على خلاف عادته حيث لم يشبع لكنه تصنع الأكل ولما انصرف ابوه الوجيه عبد الرحمن الى دكان خال الفتى لأنه لم ير صديقه السيد عمار وقد اشتاق لحديثه وحسن كلامه وحلاوة نكته الهادفة البريئة عن الام تستوضح الخبر الطارىء على ابنها المحبوب سيما وان الدار قد خلت

الا منهما عندئذ تفرست الأم في قسمات وجه وحيدها ثم قالت له لا تخش شيئا أصدقني فسوف أقوم بمساعدتك بكل ما اوتيت ولا تخفي علي شيئا فقد رايتك شارد الذهن مشوش الخاطر انني لم اعهدك كذلك فتلعثم الفتى الرضي وزادت حيرته كيف يجيب أمه التي يكن لها كل احترام ومحبة وتقدير ثم لو كشف الأمر لها ايجد عندها التشجيع أم الردع وساد الصمت المكان وعلت على وجه حسن حمرة الخجل وبدا كانه يشبه الغريق الذي يريد من ينقذه بعد فترة قصيرة قالت امه له : ان صدقت فراستي فيك فان في نفسك خفاء لأمر أوقعك في حيرة وسرق منك الروح فهل شاهدت ما يشغل بالك ويعجب نفسك ويقلق راحتك فان منظرك بكل صراحة يوحي بالعشق ويخبرني بأن قلبك قد تعلق لم يمهلها أن تسترسل في الاستنباطات والتخمينات فكشف لها الأمر بوضوح وحدثها ببغيته ومطلوبه وانه يريد تلك الفتاة الشقراء صاحبة القوام الجميل والخصر النحيل والأعين الدعج حليلة له مهما كلف الأمر حينئذ ابتسمت امه ابتسامة الرضا لا بالفتاة التي سكنت قلب الفتى ولكن برغبة الفتى طلب الحلال ثم أرجعته لعقله ورشده مبينة له أن النظرة سهم من سهام ابليس وان له النظرة الاولى عفوا وعليه الثانية وزرا وان الفتاة لو كانت متحشمة مستحية لا يقدر أن يراها تلك الرؤية التي شرح فيها جمالها وقوامها وعيونها فصاحبة الغيرة لا تظهر ظفرها ولا تتثنى في مشيتها وهي أي صاحبة الشهامة عليها حجاب الفضائل ومكارم الأخلاق فراق الفتى عند سماع هذا الكلام واستمرت الست عائشة تقول ان في هذا البلد الطيب فتيات كثيرات صاحبات أدب وجمال وحشمة وكمال ودين وأخلاق والاسلام يبيح لمن أراد الخطبة حقيقة أن يرى وجه الفتاة وسوف أخطب لك بنفسي زينة الفتيات اللاتي أعرفهن فتريث واطرد ما علق بذهنك من وسوسة الخناس وتخيلات المرده والعفاريت . فأعجب الفتى بأمه اعجابا كبيرا ثم قبل راسها وقام أدام الله توفيقه عليك وبصرك بعواقب الأمور وأنار لك الطريق ومتعنا ببقائك في عز وكرامة فأنت حقا مدرسة نافعة قد تعلمت منك ما رد عقلي للصواب وقلبي للرشاد فأنت بلسم شافي عشت هادئة البال قريرة العين وتقبلي شكري وتحياتي وتقديري .

(٦)

تواعدت السيدة رقيه والسيدة دلال على التلاقي في منزل الست عائشة لتشربا الشاهي والقهوة هناك فقد اشتاقتا لرؤية عائشة وتم اللقاء ومن حسن المصادفة كانت خديجة الصديقة الوفية ومعها بعض الجارات قد تقابلن في الدار العامرة أيضا ثم قالت السيدة رقيه بعد شرب القهوة يا ست عائشة آن الأوان لنفرح بزينة الشباب ابنك حسن فقد جاء خبره واستحق شريكة لحياته تؤنسه وتجالسه وتقوم بطلباته فشريكة العمر ضرورية لمن اكتمل فصادقت على قولها السيدة دلال وبعض الجارات أما صديقتها خديجة فزغردت متفائلة تريد تحقيق هذه الأمنية السعيدة على قلبها وقالت انني أعرف ثريا بنت الشيخ عقيل بن هاشم صاحبة الجمال الفائق والعقل الرائق تناسب المقام وتعجب أهل الذوق وأصحاب الأحلام . لقد فرحت الست عائشة عند سماع هذه الأوصاف الجميلة لتلك الفتاة النبيلة ثم قالت الست دلال هل آن الأوان خبرينا اجابتها عند ذلك عائشة قائلة للجميع انني لفي أشد الشوق واللهفة والاسراع كي أنجز هذا الأمر العزيز على نفسي وانني لا أستغني عن المشورة فهل هذه الفتاة يا ست خديجة تستطيع السيدة رقيه لبعد نظرها أن تذهب الى منزل أبيها وتأتي بالوصف الشافي والكافي بعد ذلك قالت رقية أنا يفرحني الذهاب وانني على أتم استعداد فهيا يا خديجة نذهب سويا وبعد شرب الشاهي ذهبت الصديقتان معا الى منزل الشيخ عقيل وصعدتا الى العائلة فرحبت العائلة بالمرأتين وقدمت بعد برهة من الزمن واجب ضيافة المنزل ولكون خديجة أهل الفتاة يعرفونها فلم يفطنوا للخبر ثم قالت خديجة ومعها زميلتها الم يكن عندكم خياطة لبعض الأقمشة الموجودة في منديل كبير ، تبسمت أم ثريا عند ذلك وقالت بالقرب من منزلنا خياطة مشهورة تدعى زينب فتشكرت خديجة واستأذنتا بالخروج وفي أثناء الطريق قالت رقية ان تمت خطبة ثريا فتلك سعادة للست عائشة نعم هذا الأدب الفائق وما شاء الله انها البارعة في الجمال والكمال ثم ان الست عائشة قبل حضور رقية وصديقتها خديجة لرد الجواب نزلت الى ديوان العلم لتخبر اخاها وتستشيره في الأمر وما ان سمع بوقع هذا النبأ المفرح الا وشكر الله العظيم على ذلك وزادت مسرته وقال ان الوجيه في هذا الوقت لا يعدل سروره شيء يا أختي اعزمي الموجودين على الغذاء لبينما أحضر القاضي ويأتي الوجيه وايضا اللتين ذهبتا لبيت الشيخ عقيل فشكرته اخته على شعوره النبيل وعلى تحمسه للقضية ثم انه قبل وصولها الى دورها سمعت صوت صديقتها خديجة فرحبت بها وبرقية وسمعت منهما ما جعلها في درجة مملوءة بالمسرات لقد قالت لها السيدة رقية ان الفتاة في غاية الظرف واللطف وجاءت على المطلوب فأسرعي وقدمي الرجال للخطبة ولما سمعت دلال هـذا الكلام قالت النية الطيبة تفرح صاحبتها هيا تكلمي مع الرجال وليسرعوا ويكونوا اول القاصدين ، أما أنت يا أخت رقية وأنت يا عمة خديجة فلكما جزيل الشكر فقد أبديتما

الواجب وقمتما بما يجب ولا غرابة في ذلك فدابكما فعل الخير ومساعيكما حميدة فاجابتها خديجة بقولها : الصداقة حقها كبير والناس الطيبون نخدمهم بعيوننا عند ذلك شكرتها صديقتها عائشة وشكرت كل الحاضرات وطلبت منهن أن يتقبلن مشكورات تناول الغذاء لكي تتم المشاركة والمباحثة من جميع الجهات لكن بعضهن اعتذرن والبعض قبلن وتسمع الست عائشة نداء ابنها الوحيد يعلمها بعزمه على الخروج الى منزل احد أصدقائه ومن ثم الى دكان والده ليراقب اعماله التجارية فتلقى على مسمعه جمال الخبر فيحمد الله ويقول يلزم أن يذهب والدي ومعه خالي الى ابي الفتاة ويطلبان يدها على وجه السرعة ثم اذا وافق ولي أمرها لا بد ان اذهب لأراها كما اباح الاسلام الحنيف ذلك اي رؤية الوجه والكفين لمن عزم على الزواج لقد سمعت الأم عائشة كل ما قاله لها ابنها الحبيب وتقبلته مسرورة وطلبت من العلي الأعلى أن يحقق له كل ما يصبو اليه ثم أفهمته بأنها على وجه السرعة تفصل الأمر لأبيه الوجيه عبد الرحمن ولخاله عمر وهما بدورهما يقومان بتذليل الصعاب ان وجدت ثم قالت له أبشر فان قلبي يحدثني بأنك باذن الله ستشرب فنجان القهوة من يد ثريا وسيجمع الله العظيم شملكما على خير فلكل امرىء ما نوى فعلت عند ذلك الابتسامة على وجهه وقبل يد أمه تقبيلا ينم عن وافر المحبة وكمال الاحترام ثم سار الى حيث نوى وأراد وكله أمل طيب وتفاؤل حسن ثم ان الصديقات بعد القبلة الجميلة والسمر القصير الجذاب باركن للست عائشة أجمل التبريكات وأحلى التهاني والتمنيات وطلبن لها من الله العظيم تحقيق الآمال وتوفيق الحال ثم بعد أذان المغرب خلى المنزل الا من الأسرة الطيبة حيث بدأت في التفاهم والتشاور واتفقوا على أن يذهب الأب والخال والسيد عمار الى أبي الفتاة طيبة العنصر وحلوة الشمائل والخصال كي يتم اللقاء بينهم ثم تقدم الخطبة ويسمع الجواب على الكيفية التي يرغبها ابنهم حسن ذلك الشاب الوسيم الذي أصبحت مساعيه حميدة وسيرته مجيدة ولحسن حظ الفتى وكبر عقل ولي أمر الفتاة تواعد الشيخ عقيل مع الوجيه عبد الرحمن أبو الفتى على أن يحضر الشاب عصر اليوم الثاني ليشرب فنجان القهوة من يد مخطوبته الفتاة ثريا باشراف ولي أمرها الشيخ عقيل الذي بذل مجهودا طيبا في تنشئتها تنشئة اسلامية صالحة وما أن وقع نظر حسن عليها الا وملكت عليه حواسه ومشاعره ووجدانه وحمد الله حمدا كثيرا كما ان الفتاة تحقق لها فارس أحلامها وبهذه المقابلة السعيدة المرضية تم في اليوم الثاني عقد القران المبارك فتسعد الأسرتان الكريمتان بهذه القرابة الجديدة والمناسبة السعيدة ثم تقام الأفراح ميسرة مبسطة لأن التيسير أمر مطلوب في مثل هذه الاحوال والمناسبات بل في جميع الأمور وما اجمل أن يمشي الانسان على ضوء التيسير وعدم التكلف والتشدد في بعض وسائل الدنيا وأمور الحياة لقد كان السلف الصالح رحمهم الله يتواصون فيما بينهم بتسهيل أمر الزواج تكثيرا لأمة محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم وقضاء على العزوبة وغضا للطرف وفرحة للاسر فتم لهم الشأن وحصل المراد وان كثيرا من اهل العقول وأصحاب الفضل والرجولة والذوق تمسكوا بأعمال سلفهم ولم ينجروا في بلاء التقاليد العمياء والسخافة المنبوذة العرجاء لقد جاءت ثريا الى منزل بعلها راضية مطمئنة فرحة مسرورة وشكرت ربنا العزيز وشعرت بالسعادة الفياضة والحياة العامرة بالتفاهم

والمودة ما أجمل الالفة العائلية وما احسن العيش في منزل يسود فيه التفاهم بين الاسرة جميعها لقد حزني نفسها تفكك بعض الأسر في هذا الزمن المتطور وتضحك عندما تسمع التطور وتستغرب في نفسها لماذا لا يفهمون الناس معنى التطور الحقيقي في بعض الأحيان فيعيشون سعداء احباء تربطهم روابط خيرية كثيرة يفهمونها لكن يصعب على بعضهم تطبيقها ان حسننا تفرغ تفرغا كاملا لتجارة أبيه وادارها بنفسه بكل كفاءة ومقدرة مما جعل ابوه يركن اليه دائما ويعتمد عليه ثم أن شعوره تبيلا حيث جعل ابناء هذا البلد الكريم الموصوف عند الناس وفي التاريخ بأنه مهوى الافئدة الطيبة ومكان الأمن وموضع الثمار يعملون معه في اعماله التجارية مقابل نقود يستحقونها لتفانيهم واخلاصهم فكان بذلك قدوة طيبة لكثير من رجال الأعمال وساهم في كثير مما يحتاجه الوطن لا يبخل بشيء يشجعه في ذلك أبوه وأمه وخاله جاءه مرة انسان صعبت عليه مسألة فاستشاره فيها فأبدى له المشورة الصادقة ونجح موضوعه نجاحا ملفتا للانظار لعلمه أن المستشار أمين وان من حسن النية وصدق الاخلاص أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه لذا يلزم اظهار الرأي الصائب حسب الاجتهاد وبذل المشورة الحسنة ليسير الانسان في حياته على بصيرة وقد فاق أقرانه في هذا المضمار ان زوجته ثريا سعدت به سعادة جعلتها تقوم بدون تعب بكل الواجبات لترضيه وفي نفس الوقت تريحه من كثير من ما يعتريه من المتاعب أثناء قيامه بأعماله التجارية لقد عزم على السفر الى بريطانيا بعد أخذ الموافقة من والديه وزوجته المصونة ليقوم ببعض الأمور التي تتعلق بالتجارة والتبحر في معرفة الوسائل السليمة لدراسة كثير من الأسس التي تقوم عليها دعائم التجارة ولكي يشاهد الحياة هناك ويقف على نشاطات بعض المصانع والمعامل وطريقة التفاهم والتوريد وشبه هذه الأمور ان والدته ودعته وعينها تحبس دموعها وعانقة أباه عناقا يدل على محبته محبة يعجز التعبير عن وصفها وكذلك خاله وكل معارفه أما زوجته ثريا فلم تستطعأن تخفي عبراتها ووقفت لحظات بجانبه عليها تشبع من رؤيته لبينما يأتي على جناح السلامة ثم دعوا له جميعا بأن تصحبه العافية وتماشيه السلامة فشكرهم بعبارات لا يزال وقعها على قلوبهم منقوشا . وصل لبريطانيا احدى دول أوربا الكبرى وشاهد عاصمتها لندن كما رأى بعض أوجه النشاط والعمل الدائب للحياة الدنيا وشاهد العادات وعرف بعض التقاليد وفهم حقا أن حياة الاسلام الخالدة لا يمكن أن تساويها حياة فحمد الله على نعمة الاسلام وكفى بها من نعمه زاد عشقه للآداب الاسلامية وتمنى من قلبه انتشارها في كل بقاع الدنيا لجمالها وروعتها واصلاحها للنفوس وقال حقا ان عظمة وخلق وسياسة الدين الاسلامي لا يمكن أن تزول وان من الحمق والجنون الغفلة وشرود الأذهان عن هذا المعين القيم الذي لا ينضب لقد تذكر أمته الكريمة الحكيمة التي اصلحت البشر بتعاليم الاسلام الحنيف ومبادئه المجيدة وكيف دانت لهم الدنيا بأسرها في مدة يسيرة من عمر الزمن لقد نشروا العلم في ربوع الدنيا وبنوا الحضارة في مشارق الارض ومغاربها وشيدوا صروح العدل وغرسوا الفضائل والمكرمات ووحدوا الصفوف وأخرجوا الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد جل علا وقدموا للبشرية الغذاء الروحي والعقلي وكل ما من شأنه تقدمهم ورقيهم وازدهارهم وعلم يقينا ان امته الكريمة في هذا الزمن بسبب اخلاصها

لدينها العظيم وتفانيها في خدمة قضاياه وعملها بمقتضاه ونشره بجميع الوسائل ستظفر بتحقيق أمانيها وتبلغ اهدافها ومراميها فالأهداف الاسلامية عظيمة خيرة والنوايا كريمة طيبة لقد نزل في لندن في فندق من الفنادق المشهورة وشاءت المقادير العظيمة ان يجتمع حسن في ذلك الفندق بثلاثة رجال من اصل بريطاني يتكلمون اللغة العربية ويفهمونها ولكنهم لا يتذوقون بلاغتها وفصاحتها كان أحدهم يدعى مستر « جون » والآخر «انطوني» والثالث « ادوارد » لقد التقى بهم مرارا حتى أحبوه لرجولته ودماثةاخلاقه ودار بينه وبينهم التفاهم في بعض أغراض التجارة فأظهروا له تجاربهم وأعطوه من بنات أفكارهم ما فهموه وعرفوه حيث انهم من رجال الأعمال ومن أصحاب التجارة المرموقين في بلادهم وبعد عشرة أيام من معرفتهم عن له أن يبحث معهم دوخلهم في الدين الاسلامي الخالد سيما وقد عرف أن عقولهم فيها شيء من تقبل التفاهم وأخذ الآراء القيمة وهم يحسنون الاصغاء ولا يتأففون وما دام ان الحديث الشريف بين فضل الدعوة الى الاسلام حيث قال المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ممر النعم » وما دام ان المناقشة والمفاهمة علمية فلا ضير لقد انشرح صدره للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وعرض عليهم الاسلام عرضا شيقا لفت أنظارهم اليه وفهموا عظمته وصحته وعلو أهله وأدحض لهم بعض الشبه التي أثارها الحاقدون على الاسلام كقولهم ان الاسلام جنح للحرب والقتال حيث لا مبرر لذلك لقد أعلمهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم مكث في مكة السنوات الطوال يدعو الناس بالحسنى ليعتنقوا الاسلام الذي ارتضاه رب العباد للعباد فآذوه المشركين ووقفوا في سبيل الدعوة الرشيدة الكريمة وعذبوا أصحابه وتمادوا في الجبروت والطغيان وأذاقوا المسلمين أنكى أنواع العذاب ومع هذا فقد صبر عليه الصلاة والسلام وصبر معه أصحابه البررة الكرام وهاجر من هاجر منهم الى الحبشة كما هو معروف في بطون كتب التاريخ وبعد الهجرة الثانية الى الحبشة شرع الله العظيم لنبيه الكريم الهجرة الى المدينة المنورة وزاد أذى المشركين لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر الكفار في المكر وفي العداء والتنكيل وشتى ألوان العذاب فأذن المولى الكريم في القتال وهذا عين العدل والصواب « أذن للذين يقاتلون بأنهم لظموا وان الله على نصرهم لقدير » . والقتال المشروع في الاسلام هو أشرف أنواع الجهاد لأنه فريضة لحماية الحق ورد المظالم وقمع العدوان وكسر شوكة الطغاة الجبارين وحينما أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم البطل المقدام سيدنا علي الامام كرم الله وجهه الى فتح خيبر قال له ما معناه انفذ على رسلك حتى تصل ساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام ولم يقل حاربهم بالسيف بل قال أولا ادعهم الى الاسلام وبين له فضائل الدعوة اذن الدعوة الى الاسلام هي السابقة وكل شبهة فهي مردودة بالحقائق التاريخية والاستدلالات العلمية لقد اعجب مستر « جون » من هذا الكلام الحق الواضح وقال ليت كل مسلم ينشر تعاليم الاسلام على هدى وبصيرة وبقدر استطاعته فاننا هنا وفي غير بريطانيا أيضا يفسدون الكتاب الذين لم يكونوا مسلمين عقولنا ويكرهوننا في الاسلام ويزعمون المزاعم الكثيرة لقد سر حسن عند سماع هذا الكلام واستنبط نظافة عقل هذا الرجل فاستمر في حديثه قائلا نحن المسلمين أخوة متحابون لا فرق بيننا الا بالتقوى وهي طاعة

الله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه ان المستر « ادوارد » طلب من حسن أن لا ينقطع عنهم بل يستمر في صحبتهم ويستمر في بيان محاسن الاسلام لانهم قبل ذلك لم يسمعوا عنه ما يجب ان يسمع لقد قال لهم حسن ان الاسلام جاء لتحرير الانسانية واخراجها من عبادة العباد الى عبادة رب العباد الكريم الوهاب الذي له الملك وله الحمد وهو المحيي المميت الذي رفع السماء وبغير عمد ترونها وأودع فيها الكواكب والنجوم وسيرها سيرا دقيقا بديعا فكما وبسط الارض وجعل عليها الجبال أوتادا وخلق البحار واجرى الأنهار وخلق البشر وقال عز وجل وفي أنفسكم أفلا تبصرون ففي النفس البشرية دلائل كثيرة محكمة كلها تدل على كمال صنع الله الذي اتقن كل شيء :

فيا عجبا كيف يعصى الاله	أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء جل وعلا انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي اليه ملكوت كل شيء واليه ترجعون وحينما سمعوا ان الرجوع الى الله أخذتهم رعشة شديدة تشعر بمدى استجابتهم وتقبلهم لكل ما قيل بعد أن عرفوا الحق واهتدوا للصواب فقد قال مستر « أنطوني » يا سيد حسن أزل عني شبهة طالما ترددت على خاطري وهي أنني لم أر في كثير من البلدان مسابقة التيارات العلمية والاهتمام بذلك فقال حسن : التقصير يقع على المسلمين أنفسهم وليس على الاسلام الخالد العظيم الذي ملئت تعاليمه بالحث على العلم وبيان منزلة العلماء وطلاب العلم النافع اسمعوا قوله تبارك وتعالى في هذه الآيات الكريمات « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « وما يعقلها الا العالمون » والآيات المجيدات كثيرة في هذا المضمار والمتتبع لها يقف خاشعا أمام عظمة القرآن وبلاغته واعجازه والسنة النبوية المطهرة ذاخرة بفضل العلم ومكانة العلماء ، قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي تبين فضل العلم والتعلم والعلماء حتىشعراء العربية تغنوا في شعرهم بالعلم والعلماء ولو أخذت اعدد لك ما قيل لما استطاع لساني أن يفي الموضوع حقه ثم نظر اليهم جميعا فوجد على وجوههم علامة الاعجاب ودلائل المسرة والأفراح ثم بادره مستر « جون » بقوله لقد كشفت لنا عن أسرار لم نكن نعرفها أو حتى نسمع بها وقال « أنطوني » ان دينكم لعظيم وابتسم «ادوارد» وقال كيف يمكن للانسان أن يدخل فيه هنا ازداد حسن سرورا وقال على الفور كلمة التوحيد والاخلاص اذا نطق بها الكافر بصدق اصبح مسلما وهذه الكلمة العظيمة هي « اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله » واذا نطق بها من يريد الاسلام اصبح مسلما حرم دمه وماله وحسابه على الله وصار أخ لكل مسلم واذا عمل بمقتضى هذه الكلمة العظيمة جاءته السعادة الأبدية والاسلام يجب ما قبله أي يمحيه عند هذا سر مستر « ادوارد » وقال هذا الحديث لا يمل ولو طال فقد شعرت بسعادة غامرة وهانذا اعلن الاسلام وتبعه زميله « جون » وكذلك « أنطوني » لقد شاءت ارادة

العلي القدير ان يمن عليهم بهذه النعمة العظيمة نعمة الاسلام وعانق حسن كل واحد منهم عناقا اخويا وهلل وكبر وحمد الله واثنى عليه وأخذهم الى داخل غرفته وعلمهم كيفية الغسل في الاسلام فاغتسلوا ثم علمهم الوضوء وكيفيته والصلاة وبعض سور القرآن مدة اقامته هناك حيث قد مكث شهرا كاملا وفهم قوله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » حيث انهم في مدة قصيرة وذلك لتفتح الايمان في قلوبهم ادركوا كثيرا من حفظ وفهم بعض سور القرآن الكريم ثم بعد يومين من اعتناقهم للدين الاسلامي الخالد الذي لا يقبل الله عز وجل دينا غيره حيث قال تعالى « ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ان الدين عند الله الاسلام « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

أطلق على مستر « جون » خالد وصديقه « ادوارد » أصبح اسمه هاشما و «أنطوني» سماه طارقا فاعجبوا بهذه الأسماء التي صبغتهم بالصبغة العربية الاسلامية وتعاهدوا على أن يكونوا في بلادهم وغيرها دعاة هداية وايمان وان يبذلوا كل ما في وسعهم نشر تعاليم الاسلام بعد أن دانوا به عن بصيرة ويقين وعشقوه عن رغبة صادقة وقالوا ان شاء الله سنتزود ونتبحر في علومه العذبة التي تروي الظمآن وتدفعه الى شاطىء الأمان لقد قال خالد الذي أصبح مسلما بفضل الله تعالى بعد ما تبين له الحق لأخيه حسنا الذي دعاهم للاسلام ان الأمة المسلمة اذا جدت في آمرها وكان أفرادها المثقفين أينما حلوا وحيثما رحلوا دعاة للاسلام مخلصين له فان معظم البشرية لا شك يدخلون فيه أفواجا ويدينون به عن رغبة صادقة وعزم أكيد لأن الدعاة بحسن طريقتهم وحلاوة أسلوبهم وجمال عرضهم للقضايا الاسلامية قد ينورون الأذهان ويطردون من القلوب والعقول مداخل الشيطان فلا دسائس الملحدين تنطلي على البشر ولا شبهات الأعداء تستقيم أو يكون لها رواج ثم ان حسنا شوقهم لزيارة مكة المشرفة مهبط الوحي ومنبع الطهر ومكان القداسات ليشاهدوا بيت الله الحرام الكعبة المشرفة فيزدادوا بالقرب قربا ويأنسوا ويزوروا مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقفوا على عظمة الرسالة ويشعروا بجمال وعظمة اللقاءات الاسلامية في بلاد الاسلام الخالد ووعدهم بأن يهديهم أنفس الكتب الاسلامية العامة الشاملة ليقتبسوا منها ما أرادوا فحنوا لذلك وطلبوا من المولى الكريم تحقيق هذه الأماني الغالية وزاد اعجابهم بالشاب النبيل واحبوه حبا جما واستبشروا به واعتبروه اخا لهم لقد عرفوا ان المؤمنين اخوة فلم يفارقوه مدة اقامته بينهم لقد افهمهم الى صلاح الدنيا والآخرة في العمل بكتاب الله الكريم والعمل بسنة نبيه العظيم وقد صدقوا كل ذلك وطلبوا من واهب الحياة والنعم أن يحفظهم بالاسلام وان يوفقهم فيساهموا في الدعوة اليه و في نشره ولما حان وقت عودة صديقهم حسن الى وطنه الغالي العزيز والى اهله الكرام ودنت ساعة الوداع ودعوه وعانقوه بحرارة وذرفت أعينهم لفراقه وطلبوا منه أن يراسلهم دائما ثم ترك لهم عنوانه في مكة المكرمة وزاد في تشويقهم لزيارة بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا لقد كان الوداع وداع حنين وشوق وأمل طيب في لقاء أخوي مبارك ميمون .

(٧)

كان الوجيه عبد الرحمن جالسا في دكانه بالسوق الصغير وعقله متشاغل في أمر ابنه ومتى يقدم من السفر سالما فقد حن للقياه كما أن أمه عائشة وزوجته ثريا ينتظرانه بفارغ الصبر وكثيرا ما سأل عنه خاله عمر وكذلك السيد عمار وهمام وجميع الأقرباء والأصدقاء . لقد طرق سمع الوالد الشفوق قول بهلول وهو مارا من جهة الدكان :

ودعتـك اللـــه يـــا نمـــرا مشـــي والخبـت عشـــقان
واللـــه رمتـني المقاديــر والهـوى شلـشى عليـــــا

فزاد حنينه وشوقه لرؤية ابنه حسنا وتذكر ان الميعاد قد حان لكنه قد شرد بذهنه بعيدا ولم يفق الا على صوت لؤى ذلك الشاب الضاحك والناقد اللاذع الذي قال له يا عم لا تفكر لها مدبر هيا بسرعة دع الصبي يوزن هيلا وزنجبيلا وبما أنــي أريد أن اسمعك ما قلته في شاب متخنفس ويقاطع لؤيا في كلامه الوجيه ويقول ما كنــا نسمع أبدا بهذه الكلمة التي تصم الآذان لكن بعض الشباب اللكيع تستهويهم التقاليد العمياء والأمور السخيفة فيقول لؤي حينما شاهدت ذلك الشاب المتخنفس صغر في عيني واحتقرت عمله واذا أنا في هدوء ليلة من الليالي الجميلة دار بخلدي قول هذه الأبيات واعتبرتها منلوجا لاذعا وسميته منلوج « هيا دغري للحلاقة » :

امشــي عــن وجهــي وابعــد يـــا مخنفـــس يـــا متعـــد

امشي عـــن وجهـــي وابعـــد

ليشـــس تتـــرك الفضائـــل ليـــش تمســـك الرذائـــل
بالكـــذب منفـــوخ وصائـــل وفي الحقيقـــة أنـــت مائـــل
امشي عـــن وجهـــي وابعـــد

لـــي مســـوى دى الســـوالف يـــا طرنطـــا دى لفـــايف
دا قـــرف خليـــك عـــارف وامشـــي طيـــب لا تخالـــف
دى بشاعـــة دى شناعـــة دى طراقـــة دى رقاعـــه
هـــي سيـــب دى الخلاعـــة وتمســـك بالشجاعـــة
وامشي عـــن وجهي وابعـــد

يـــا مخنفـــس لا تعنفـــص هيـــا دغـــرى للحلاقـــه
طـــل التقليـــد الأعمـــى وابتعـــد عـــن دى المتاقـــه
وامشي عـــن وجهي وابعـــد

ليـــش مـــا تخجـــل شويـــه وتستحـــي مـــن دى البليـــه
وتسلـــك ا لـــدرب السويـــه بالشهامـــة العربيـــه

وامشي عـــن وجهي وابعـــد

فـــين نفســـك دى القويـــه فـــين الغـــيره والحميـــه
باللكاعـــة يـــا مخنفـــس تقتـــل الـــروح الابيـــه
وتســـتحق لطمـــة فـــي وجهـــك وكفـــوف تنـــزل قويـــه
ناصـــح هيـــا يـــا كجوجـــو حطلـــك غـــترا وكفيـــه

تهقه الوجيه عبد الرحمن عند سماع هذا المنلوج اللاذع والهادف وقال يجب طرد العادات الخليعة ولا بد من الرعاية التامة والتوجيه السليم في المنزل والمراقبة الكاملة وتبصير الشباب بعواقب الأمور ، أما أنت يا لؤى فسر دوما على نقد كل أمر وعادة مرذولة او تقليد خليع وكل ما طلبته من الدكان فهو لك مجانا مكافأة لك على المنلوج ولكي تستمر في نقد الأمور السيئة عند ذلك ازداد سرور الفتى ثم أمضى من حيث أتى ثم بعد لحظات مرت اذا بالسيد عمار قد أقبل ومعه طفل في سن الرابعة من عمره ويقف مسلما على صديقه الوجيه فيرحب بقدومه بكل غبطة ومسرة ويجلسه بجواره ثم يأمر أحد الصبيان بعمل الشاي ثم ان السيد عمار قال لصديقه أبشر بالخير يا فاعل الخير هذا الطفل يا أخي من أسرة طيبة قد توفي والده في حادث مروع فقد انهدم سقف البيت عليهم وكانت الدار التي يقطنونها قديمة جدا في حي القراره وقد أكل عليها الدهر وشرب ونجى الله العزيز من بينهما هذا الطفل وانه يمت لي بصلة ولقد عرفت شفقة الست عائشة زوجتك الطيبة وفهمت مواقفك الانسانية فأتيت بهذا الغلام ليتربى في داركم العامرة تربية عزيزة سليمة باذن الله تعالى . بعد سماع هذا الخبر قال الوجيه انا لله وانا اليه راجعون سبحان الحي الذي لا يموت رحم الله أباه وأمه وأموات المسلمين شكرا لك يا سيد عمار كتب الله لك الأجر فالساعي في الخير كفاعله اني أرحب بكل سرور بتربية هذا الطفل وأعتبره أخا لأبني أرجو من الله الكريم التوفيق والسداد ثم يستأذن من عمار في أخذه ويصحبه معه الى المنزل وعليه علامات السرور والهناء وما أن رأت زوجته الكريمة ذلك الطفل الوديع الا وقد ارتسمت البسمة على فمها واستفسرت عنه فأعلمها زوجها بالقصة بأكملها فترحمت على والديه وعلى جميع الأموات وابتسمت في وجه الطفل وحنت له حـ ونامه وفي هذه اللحظة تدخل امراة ابنها ثريا لتسلم على ابى زوجها فترى الطفل فتحضنه بحنان وعطف ثم تمسح رأسه برفق فتقول لها الست عائشة نعم ما صنعت وتهمس في أذنها بأنه يتيم وقد قال سيد البشر « أنا وكافل اليتيم في الجنة » فتفرح بكلام سيد المرسلين لكنها لم تمتلك نفسها من كتم الدموع من عينها شفقة على حالة هذا الغلام عند ذلك قال لها ابو زوجها باذن الله قبل قدوم ابني حسن ستضعين بالسلامة وتأتي الولادة مفاجأة لابننا عند قدومه بالسلامة فتؤمن زوجته على قوله وتبتسم ثريا عند ذلك وتفرح الأسرة بقدوم وائل هذا الطفل الميمون الذي كان السبب في مجيئه اليهم يرجع للسيد عمار ذلك الرجل الشهم الطيب ان معرا تعلق بهذا الطفل وصار يصحبه معه الى السوق ومن ثم الى الدكان كما كان

بفعل بحسن في عهد طفولته وقد سر كثيرا كما ان عمارا شاهد هذه الحالة المرضية فحمد الله عز وجل واثنى عليه بما هو اهله جل وعلا ومرة زاره في البيت فوجده في رعاية فائقة وحب كبير وراى عليه آثار النعم فدعى للاسرة من أعماق قلبه ثم عـاد الى الدكان ليخلص في اداء عمله ويقوم بواجبه ثم ان ثريا اشتاقت لرؤية زوجها الغالية وتتذكر ذلك العام وتلك الأشهر التي قضياها معا قبل سفره الى بريطانيا وكيف كانت عشرته لها عشرة مؤانسة وملاطفة ومحبة وخير بعد اسبوع من هذه الذكرى المعسولة تشكو الم الوضع وبعد ايام قليلة يتيسر امر الولادة وتعلو الزغاريد بمقدم المولودة الجديدة التي استبشرت بها الأسرة وزاد فرحها وقر تبها اعينهم وقبيل تسميتها يأتيهم نبأ قدوم حسن فيسرع والده وخاله لاستقباله كما جرت العادة في مثل هذه الامور الجميلة وعند وصولهم الى دارهم التي عمها الفرح بوائل والمولودة الجديدة رأوا البيت قد ازدحم بالأقرباء والمعارف والجيران من جميع الجهات وكان استقبالا رائعا بقيت ذكراه منقوشة في ذاكرتهم وخصوصا في ذاكرة ثريا التي غمرتها الدهشة والفرحة في آن واحد ، لقد شاهد حسن وائلا فهش له وبش بدون أن يعلم من أمره شيئا ولما علم زادت مسرته وأفراحه ثم اقترح أن تسمى ابنته ميمونة واعتبر هذا الاسم من اليمن والبركة فقبلت ثريا بهذا الاسم وكذلك كل أفراد الأسرة عملت العقيقة وازدانت دارهم بالافراح وبدأ يقص عليهم امر رحلته الى بريطانيا وكيف حصل له ذلك التوفيق الكبير خصوصا اسلام أولئك الرجال الذين نور الله قلوبهم وهداهم لنعمة الاسلام التي لا تعادلها نعمة لقد سر هذا الخبر جميع أهله وأقاربه بل جميع الناس الذين سمعوا به وقال له والده بورك فيك من ابن شهم هكذا الرجال لا بد أن يدعوا لدينهم الحنيف وقالت له أمه نعم ما عملت اثابك الله أحسن الثواب لقد قال تعالى في كتابه العزيز « قل هذه سبيلي ادع الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا مـن المشركين » فكل من اتبع سيد المرسلين لا بد أن يدعو بدعوته ويرشد الناس اليهـا وانه لشرف كبير ومنقبة خالدة لكل داع الى الله العزيز الوهاب وليت جميع الشباب وجميع المسلمين يقومون بواجب الدعوة الى الله جل وعلا ولا يغفلون عن هذا الأمـر العظيم فبذلك تصلح الدنيا وتطيب الحياة وتسعد النفوس وتسود المحبة وترتاح الأمم وتتحقق رغباتها في ظل شريعة الاسلام السمحاء ومع مرور الأيام والأعوام يكبر وائل ويلتحق بالمدرسة السعودية ويستمر فيها حتى الصف الرابع مثابرا مجدا ثم تعتريه أوهام وساوس تجعله يكره المدرسة والدراسة ويبدأ في اللعب ثم بشيء من التوجيه والارشاد وضرب الأمثلة الطيبة يتفطن الى اخطائه وخصوصا بعد ما فهمته الست عائشة بأن كبار الشخصيات في هذا البلد الأمين وفي العالم العربي والاسلامي وصلوا الى ما وصلوا اليه من رفعة وتقدم بالعلم النافع والتزود من الثقافة الواسعة والمعرفة الكاملة لقد انصت لكل كلمة قالتها الست عائشة بحواسه وقلبه وشعوره ثم استفاد وعاد الى رشده ورجع الى مدرسته بدافع قوي من الرغبة ولاقى تشجيعا كاملا فواصل تعليمه بأناة وصبر وعزم قوي حتى اخذ الشهادة الجامعية بدرجة ممتاز لقد اقام له الوجيه حفلة جميلة بمناسبة نجاحه وتفوقه كان لها اثر طيب في نفس الفتى وجميع افراد الاسرة ثم تكلم وائل بكل صراحة بانه عزم على شق طريقه بالعمل الحر الملائم ولكن

الكبير في قلب ذلك الفتى التي لم تبق من امانيه امنية لم تتحقق الا امنية عقد قرانه على الفتاة التي تربى في بيت واحد معها ومع اهلها الكرماء الطيبين ان الكلمات التي سمعها الوجيه عبد الرحمن ومن كان معه من زوجته الطيبة بأن ميمونة قد ازدانت وكبرت وتعلمت وانك يا عبد الرحمن وانت يا ابني حسنا تعرفان تربية واخلاق ومروءة وائل ولا داعي لتعداد محاسنه فالكل يعرفها وقد ربيناه وعرفناه فأوصيك يا حسن وصية يجب تنفيذها على وجه السرعة وذلك بأن تعطي بنتك ميمونة لوائل فيبتسم حسن وتتهلل اسارير وائل ويشرق وجهه ويضيء ويقول على الفور ما أطيبك من أم حنونة وانسانة بارة كريمة حقا وصدقا انك سليلة الاكارم وأم الامجاد لا احرمنا الله وجودك ومتعنا ببقائك فأنا لا أستحق كل ذلك فيبادره الوجيه بقوله أنت من معدن طيب وأسرة كريمة وقد علمنا السيد عمار بكل شيء عن اسرتك وقال عند ذلك حسن كل هذا جميل فمن حسن حظنا بأنك تعيش معنا وقد تربيت عندنا فبدون أمر عليك أريدك أن تأتي بالسيد عمار وخالي عمر فيقول وائل بكل سرور ان شاء الله بعد لحظات ونحن هنا ثم ان الست عائشة دخلت الى الغرفة الخلفية لتسمع بعد مجيئهم ماذا يتم في الموضوع نعم لقد حضر وائل بصحبة السيد عمار فقال لا أستطيع أن أعبر عن فرحتي الكبرى بما سمعت وأنا عاجز عن الشكر فقد غمرتموني باحسانكم فجزاكم الله خيرا لقد أصبح من الرجال البارزين بفضل الله العظيم ثم بفضل عنايتكم ومساعدتكم وها هو الآن قد سمع أحلى أمنية تمناها في حياته فلكم مزيدا من الشكر والتقدير . لقد ازداد سرور حسن بما سمع ثم أعلن كلمته التي ينتظرها وائل بكل شغف وتشوق قائلا ان وائلا مد الله في حياته وحياة الجميع سوف يصبح زوجا لابنتي ميمونة حسب وصية والدتي أطال الله بقاءها في صحة جيدة ونعيم تام واذا بصوت أمه الرخيم من داخل الغرفة تقول تمم الله افراحكم في الوقت المناسب وأسأله تعالى حسن الختام على الايمان انه كريم حنان ونسأله الرحمة والرضوان . عند ذلك يقول لها زوجها الوجيه ان شاء الله بعد عمر طويل فخيركم من طال عمره وحسن عمله وبحول الله ستتحقق أمنيتك وتفرحي ببغيتك ومـــــرادك .

صـــــورة أمـــــي

بقلم : عبد الله سعيد جمعان

سعيد أسعد الحلواني ... اسمي سعيد والمرحوم أبي كان يسمى أسعد ، أما « الحلواني » فهو لقب جدي عاطر الذكر ، وسوف يبقى في الدوحة العريقة ، في البؤس لقبا يتردد مدى الأجيال . . .

اسم جميل ما في ذلك شك ، تلمح فيه السعادة كأجود أنواع لماعات البويه ...، وتسيل منه السيرة أيضا كأجود أنواع العسل الشفاوي ... اليس كذلك !! ؟

وأنا أعتبر حظي سعيدا لأن أهلي لم يختاروا لي اسما يكور نفسيتي من تلـك الأسماء المضحكة المحزنة ، طمعا في حمايتي من الموت والعين .. كما لم يشوهو قفا رقبتي أو جبهتي بالكي ... على أي حال انا أعتبر نفسي سعيدا فعلا دون مزاح ... لأن الأسماء رخيصة وعلى هوى من يريد وليست بالنقود والا ماذا كان يفعل أبي ومن قبله جدي من لا يملكون من الدنيا الا الستر .

ولأبدا قصتي منذ تلك الليلة القاسية الحزينة ... والتي لا زالت ذكراها محفورة في مخيلتي تؤرقني ويقبض مضجعي ... فقد كد تمتعلقا بأمي أشد دالتعلق ، فهـي الجانب الحنون ، ومعها قضيت أجمل ذكريات طفولتي ... عدت ذات مساء وأدرت المفتاح في بابنا وأحسست بتهيب ورهبة ، ولست أدري كيف شعرت في تلك اللحظ بأنني اقف على باب مقبرة ...

حتى بعد أن فتحت الباب ودخلت كان أول ما استقبلني « قطة » جرباء تموء .. وكان مواؤها حزينا متقطعا مثل بكاء قلبي ... وأخذت تتمسح بحذائي ... فركلت بعيدا ، مما زاد مواؤها ، واضفى على جو المنزل رهبة ووحشة ... ترد دصداه في نفسي ، وانتفضت كل خلية في جسمي وارتعدت مفاصلي ... واذا أنا في وسـ الصالة وجحافل الظلام يعسكر في حجرة المنزل كلها ...

ووقع نظري على غرفة أمي ... حتى هي مظلمة كئيبة موصدة الباب وحر النسيم بعض الستائر ، ووقع احدى درف الباب ، فصدر صوت مزعج زاد في وحـ المكان ... وصرخت ... « أمي » ... « أمي » ... ولكن ليس من مجيب . فقد نسيت انها لا تنطق كلمة ولا تعي شيئا من حولها ...

وحركت قدماي ببطء ، واتجهت الى حجرتها ... وجحافل الظلام تطبق وتلفني بردائها البغيض ... ، ومع أن الصالة التي تؤدي الى غرفتها لا تتجاوز بضـ أمتار ، فقد خيل الي انها مسافة شاقة ... وعلى الباب ترددت وتجمدت رجلا

فتوقفت من الزمن اطول من شهر ... وبعد لأي شديد أمسكت بمقبض الباب اشد عليه بجميع قوتي في خوف طاغ ... ودخلت ... كانت الغرفة تسبح في بحر من الظلام ، عدا اشباح من ضوء تتخلل النافذة ولست أدري ما الذي صرف تفكيري كليا عن اشعال النور ... ، ورايت والدتي ممددة على سريرها كالمعتاد ... دنوت من السرير ونظرت إليها وفي عيني تبلورت دمعة قاسية لا تذوب ... وكانت عيناها مفتوحتان ومصوبتان لسقف الغرفة بنظرة ليس لها معنى ... ترسب في أغوارهما الم عميق ... وبغتة ... شق سكون الغرفة ورهبة المكان صرخة حادة اطلقتها من حنجرتها ... وامسكت بأسفل بطنها ، وأخذت تتلوى وتتعذب في ألم قاس عنيد ... لم استطع حياله فعل شيء ... فقد تعودت ذلك منها ، وهي تعودت عليه ... وقاست لحظات من العذاب ما لبثت بعدها أن هدأت واستكانت ... ونظرت الي نظرة ... شعرت بأنها نظرة حنان ، وحب ووداع تلقيها علي ...

فانكبت عليها وحضنتها في رحمة شديدة ... وكأنما أتشبث بها في حرص لأنتزعها من مخالب الموت ...

فنظرت الي نظرات لا معنى لها ... خالية من المشاعر ... وكأنها لا تعرفني أو تحس بوجودي أو تشم رائحة البنوة ...

وانهارت قواي واعتصرني الحزن ، ومزق حلقي بمرارته وسكاكينه التي كنت احسها تعمل في داخل صدري وحنجرتي ... والقيت ببدني عليها ...

وامطرتها بقبلاتي تماما مثلما كنت أفعل وأنا صغير ، الا أنني الان بدون ابتسامة، اغسل وجهها بدموعي ... هذا الوجه الذي كان في غاية الجمال اليوم مصفرا مرت عليه السنون ، فتركت أثرها عليه ... وزادني ألما أنها لم تشعر بقبلاتي ولم تحس دموعي ... انها في عالم اللاوعي ... وأخذت عيناها تزوغان وصوت شهيقها يعلو ... وعلمت أنها سكرات الموت ... وعندما لمست يدها بعد فترة كانت باردة لا حياة فيها ، فارقت الروح البدن ...

ماتت « أمي » ... يا لها من لحظة قاسية ، خفف عني شدة قساوتها طول مرضها وتوقعي موتها بين لحظة وأخرى .

ودفنت رأسي في صدرها اجهش بالبكاء والنحيب ... ، واناديها من أعماق قلبي ...

أمي الحبيبة ... الا تشمين في رائحة البنوة ، وشذى المحبة ... لقد عدت اليك، لماذا رحلت ... الم تنتظري قدومي ... ورفعت رأسي من بين أحضان الجسد المسجى بلا حراك والدموع تبلل وجهي والحزن يملأ كياني ويعتصر نفسي ... ولم يكن في مقدوري ثمة ما أفعله تلك الليلة ... بل جلست على كرسي بجانب جثة أمي ... استعيد بخيالي ذكريات أيام زمان ... وأنا أقفز الى حضنها واحوط عنقها

بذراعي الصغيرتين وامطرها بالقبل في كل مكان يطوله فمي الصغير ... وكيف كنت استظل بعطفها وحنانها وأمومتها ... وشجرة النبح ... والمعصرة ... والكرويت ... وكـــــل شيء ...

ولفني الضباب ولعبت أمام عيني الوان قزحية لتعود بي الذكريات منذ كنت طفلا صغيرا الهو بالالعاب المصنوعة من الخرق التي كانت تصنعها أمي واقفز واجري على ارضية الحوش في بيتنا الصغير بأحد أحياء مكة ، وأتسلق جدران الغرف المبنية من الحجر الأسود لأمسك بفراخ الحمام والهو بها .

صورة المنزل لا انساها ما حييت والأثاث الذي كنا نملكه هو زير أخضر اللون تنام على حمالة حديد ، وفوق غطائه الخشبي (مغراف) من التنك قد صدأت بعض أطرافه ، ويربض تحت الزير وعاء من الفخار لونه أحمر على أخضر على أصفر تتساقط منه قطرات الماء بصوت رتيب منتظم كدقات الساعة الكبيرة المعلقة في حجرة الاستقبال التي صفت على جوانبها ثلاث ... كروتيات خشب قديمة صلدة ، عليها بعض الوسايد من قطن أو قماش وتحتها كنا نستعمله كمخزن لبعض الحاجيات من (السحاحير) الحديد المزخرفة وبعض المتاع فضلا عن جلوس الضيوف عليها .

والجدران مطلية بطبقة من الطين فوقها طبقة من الجير الأبيض « الرخام » ونظرا لقدمها واتساخ بعض جهاتها تبدو قاتمة مغبرة لطول ما مر عليها من زمن ، وفي المطبخ الصغير تقابلك بعض القدور والملاعق على رف مثبت بالحائط . وبجوارها مسمار طويل تعلق عليه طاجن قلي مقلوب على بطنه بحيث يقابلك بصخامه الأسود المهبب ، وعلى الأرضية قبع دافور الغاز بسواده واتساخه ... وفي طرف الحوش كانت تعلو هناك شجرة نيم خضراء باسقة تتجمع على أغصانها العصافير وتزقزق بأصواتها المعروفـــة .

وكنت أيام السموم والحر الشديد أبلل شرشفا بالماء والفه على جسمي الصغير، واتسلق الشجرة واربض بين اغصانها فترة من الوقت كنت أنعم خلالها بالطراوة والبـــــرودة .

وعندما كبرت قليلا كنت اضيق بجو المنزل فأغادره وأنا احجل على قدمي الـــى ان اصل « معصرة » والدي في طرف الشارع العام ، حيث كان يدير معصرة لعصر « السمسم » واستخراج الطحينة البلدي والزيت .

فأحصل على قرش او قرشين اشتري بهما كاسة تمر هندي او آسكريم من دكان عم حسن المقابل للمعصرة ، او اشتري قليلا من اللوز والفسفس من عند الحجة الأفريقية التي كانت تجلس متربعة على ناصية الطريق .

وبالرغم من ان تلك الأشياء بسيطة الا انها على بساطتها جميلة وباهرة تبث في ايام طفولتي دفء الفرح وطعم الحياة والبراءة .

كنت ولدا شقيا حقا كما تقول والدتي ، دافق الحيوية دايب النشاط ، ذكـــي

العقل ، شأن كل الأولاد العفاريت ، وكنت استنفذ كل طاقتي في تلك الاعمال التي يصفونها بالشقاوة والعفرتة ، والتي كنت انال عليها اكثر الأحيان علقة جامدة . فكنت اتسلق شجر النبق المحمل بالثمار لالتقط حباته الشهية المتدلية من بعض اسوار احوشة الدور .

فكنت اقع احيانا في يد صاحب الحوش وانال علقة ... الامر الذي جعلني الجأ الى الحجارة أقذف بها الأغصان المحملة بالثمار فتسقط على الدور أو بعض المارة ... فآخـذ جزائـــي .

واكثر من مرة كنت اتسلل الى مكان البغال في المعصرة وأركب على ظهورها وهي تدور حول الرحى الكبير فأسقط بين ارجلها او اعلق بسيورها وكم مرة انقذني أبي أو أحد العمال من هلاك أو تشويه عضوي .

هذا عدا الشيء الكثير من (المضاربة) مع أولاد الحارة من اندادي وكنت اجيد العنقلة وضرب الركب والرأس ، ولهذا كان الأولاد يهابوني ويتجنبون الاحتكاك بي .

ونظرا لشقاوتي نصح أحد أصدقاء أبي أن يدخلني الكتاب لأتعلم القرآن والكتابة ... ويستريح من شقاوتي ...

وفي يوم ألبستني والدتي ثوبا نظيفا وكوفية وغفرة نظيفين ، وقادني أبي مـن يدي الى الكتاب الوحيد بطرف مسجد الحارة .

حيث الشيخ « الزمزمي » رحمه الله ، فأسلمني له قائلا ... لك اللحم ولنـا العظم يا شيخ ، وتناولت اللوح الذي سوف اكتب فيه ومصحفا لأقرأ فيه .

وفي الكتاب عرفت نوعا جديدا من العقاب وهو الفرش بالباكورة على القدمين المشدودة بالاحرام او الفلكة . . .

وكنت في الليل أجهد فكري بحفظ القرآن ، وأحيانا اذا اهملت حفظ الواجب ... لجأت الى معصرة ابي اغوص بقدمي في روث البغال ... حيث عرفت من بعض الطلبة انه يخفف الم الفرش في القدم ...

ونظرا لذكائي ، فقد تخرجت بعد مدة من كتاب « الزمزي » فأقامت لي والدتي « حفلة كبيرة » يسمونها في ذلك الزمان (حفلة حفظ القرآن) « الصرافة » حيث اقرا القرآن غيبا على الحاضرين وأنا في أبهى حلة ، ومن ثم توزع « الصرافة » وهي نـوع من الحلوى على الحاضرين ، وينتهي الحفل ...

وبوساطة أحد أصدقاء أبي التحقت بمطبعة الحكومة بمكة ، حيث كنت ارص الأحرف وأجلد الكتب ، واطبع على الآلات ... التي كنت أتمرن في اصلاحها كلما الم بها عطب ، فكنت أخرج معفرا بالزيت الاسود واصباغ الحبر ...

ومرت بي الأيام ازداد خلالها عدد المدارس ، فاستطعت ان ادرس في الليل واعمل

في النهار ، والذي شجعني على ذلك هو قراءتي وانا في المطبعة على كل ما تقع عليه عيني ويدي من كتب ... واحسست بداخل مهم الى العلم فانكببت اواصل دراستي .

ونظرا لخبرتي التي اكتسبتها من اصلاح آلات الطباعة في المطبعة احببت الهندسة وحانت لي الفرصة فابتعثت الى الخارج على حساب مصلحة الطيران لادرس هندسة الطيران ، وهناك تدرجت في العلم والهندسة وتخرجت وعدت الى بلدي انسانا آخر مرموقا من الجميع ، وتعينت براتب ممتاز في مؤسسة الخطوط وواصلت عملي بهمة وخبرة وعلـم . . .

وحانت فرصة أخرى عندما انضمت الى اسطول السعودية طائرة الترايستار فابتعثت في دورة للتدريب على اصلاح هذا النوع الجديد من الطائرات ... وعدت بعد فترة وانا الآن اعمل مهندسا مختصا في « الترايستار » ومرتبي ممتاز ... وحياتي مليئة بالاستقرار والرفاهيــة . . .

أما أبي فقد ألمت به عدة أمراض خلال تلك الفترة بالاضافة الى كبر سنه ، فلـم يستطع مقاومتها فتوفي الى رحمة الله ، وكم حزنت عليه وانهمرت دموعي وأنا انظر الى الجسد المسجى ، واتذكر أيام طفولتي ، وكفاح أبي في المعصرة ... وتلك الايام السعيدة بالرغم من فقرها وقساوتها ... شجرة النيم وهجوعي بين أغصانها وقـت القيلولة ، وتسلقي شجر النبق وطعم حباته الشهية في فمي ، والحجة بائعة اللوز والفسفس ، والعم حسن بائع الآيس كريم . . .

وشقاوتي مع أولاد الحارة والكتاب والفلقة ... ، ذهبت تلك الأيام الخالية بالنسبة لي من اي مسؤلية أما الآن فأنا مسئول عن كل شيء عن مستقبلي ورعايـة والدتي الكهلة المريضة التي كرست كل جهدي لراحتها ورفاهيتها . . .

واول شيء فعلته هو هدم البيت القديم واقامة عمارة حديثة مكانه . وكم عـز علي هدمه ، فقد كان كل ركن لي فيه ذكريات جميلة ، ولكنها الحياة وتطورها ، فأنـا اليوم مهندس كبير ومرتبي ممتاز ولا بد من تغيير نمط الحياة التي أعيشها ...

وانتقلنا الى السكن الجديد ... والكنب المريح ... بدلا من ... (الكرويت) الخشب الذي كان يتصدر غرفة الاستقبال في البيت القديم ... ونعمنا بنوم هنيء على السرير بمرتبته اللينة ... ونسينا النوم على الارض (والطراريح) ذات القطن التي كثيرا ما انبعج اطرافها تتناثر قطنها ... ، ونعمنا بالغاز بدلا من (الدافور) واوساخه وعذابه . . .

واشتريت لوالدتي غسالة كهربائية وودعنا الطشت والغسيل فيه ... وقذفت بطول يدي (بالمسرجة) وأنا اضيء المصابيح الكهربائية ... واذكر تلك الأخطار التي تعرضت لها والدتي بسبب (المسرجة) . فكم مرة علقت نارها (بمسفعها) او طرف ثوبها ... اشياء واشياء تبدلت في فترة وجيزة مع الحياة . . .

وطبع الحياة التغير وعدم البقاء على حال ... ، فقد مرضت والدتي بغتـة والم بها مغص شديد وآلام حادة في بطنها ... وحملتها الى الطبيب وخرج الي منقبض الأسارير لينبئني بأنها مريضة بسرطان في الامعاء وهذا المرض لا شفاء منه وانه قد يقضي عليها ... ، وغابت المرئيات امام ناظري ، واحسست وقتها بدموع كبيرة عصيبة تحتبس داخل قلبي ويغص بها حلقي ، والمت بي حالة من الشجن كانت تعتصر روحي اذ ذاك تفوق الوصف وكل الدموع كانت عاجزة ضئيلة خرساء ... أمام شجني وحزني ... وعانيت لحظة ضعف لا انساها ما عشت .

وحملت والدتي ... أمي الحبيبة الى الدار ... ومعها تشكيلة من الادوية والعقاقير ، وسهرت بجانبها الليالي الطوال اخفف من المها ... ونستعيد معا ذكرياتنا الجميلة الحلوة التي مضت ... وكانت تقص علي ذكرياتها ، وتمسح دموع الاسى من عينها بين الفينة والفينة ... وانا اغص بريقي واشعر بالاختناق يطبق على حلقي...

وعندما تسلل خيوط الشمس الى الكون ارتدي ملابسي واقبل جبهتها واذهب الى عملي ... ومن رحمة الله علينا ... ان وفقنا بجيران لنا تجلت فيهم النخوة والشهامـــــة . . .

كانوا يقومون بشئون والدتي اثناء غيابي وفي أكثر الأحيان يعدون لنا الطعام ويكنسون لنا البيت ... ، فطوقونا بالجميل وحسن الجيرة والانسانية ... ، ولا نعرف كيف نرد لهم الجميل والمعروف ، ومع مرور الأيام تعلق قلبي بابنتهم الشابة ، وتعلق قلبها بي ... ، وسارت بيننا الألفة وأحسسنا بأننا عائلة واحدة ... وكثيرا ما فكرت في الزواج منها ولكنني اصطدم بمرض والدتي وحالتي النفسية تجاهها ، تمتلكني التردد ... خاصة وانني اعرف مدى تعلق والدتي بي ، وانني محط عواطفها وحنانها وحبهـــــا . . .

ومرت الأيام قاسية حزينة مظلمة ... كان شعاع الأمل الوحيد فيها هي اطلالة مريم ... فكانت تمسح الحزن من القلوب وتشيع البهجة في النفوس .

وكان ذات يوم دخل على المكتب جارنا الطبيب وهو متألم وفي حالة من الهلع وأخبرني ان والدتي فيخطر ، ويجب أن اذهب معه الى البيت حالا . فصحت فيـه في هلع ... ماذا الم بها يا عم ...

فقال في صوت متقطع ... وراسه الى الارض في حزن .

... لقد زلت قدمها على السلم فسقطت وارتطمت مؤخرة راسها باحدى الدرجات ولشدة هلعي ... نسيت العربة واخذت اعدو في الشارع متجها الى البيت واشق طريقي وسط الزحام ولا اكاد اشعر باحد ... لأن سحابة دكناء قاتمة تكتنف نفسي وتلف عيني واعدوا بكل طاقتي ... واخذت طريقي الى الدار وانا اتطوح حتى وصلت ، وقد سقطت ونهضت اكثر من مرة ولم اكترث بازالة ما علق على ملابسي

من تراب الشارع ... ووصلت الدار ... آه ما امس تلك اللحظة ، انني لا احب ان استعيد صورتها في مخيلتي بل وينفيها حلقي الباطن من حياتي ... وتعريت من زيف الحياة وخرجت عن وقاري واتزاني ورجعت طفلا يرتمي في حضن امه باكيا ...

وعلى اثر ذلك الحادث الذي اصيبت فيه بنزيف في مخها ، فقدت على اثره ذاكرتها، وعجز الطب وخاب الدواء ، واصبحت في ثوان معدودة كتلة من اللحم الحي لا تعرف احدا ولا تحيز شيئا عدا آلام السرطان في امعائها التي كانت تحرمها لذيذ النوم .

وكنت اجلس بجانبها دون ان تعرفني او تحس بي او ترد على تحيتي ... فازدادت احزاني ... وتوقفت عاطفتي تجاه مريم بل ، ونبذت فكرة الزواج منها كليا ، وكنت اتحاشى لقائها ، او التحدث معها ، واصبح كل همي تمريض والدتي والعناية بها بالرغم من ان حب مريم مترسب في ذاتي واعماقي المظلمة التي هي فيها السراج الوحيد .... ولشدة حبي لها قررت الرحيل من الحي ... ، فما ذنبها تعيش في هذا الجو المشحون بالكآبة والحزن والموت والألم ، وحملت والدتي ورحلت الى حي آخر يبعد كثيرا من حي « مريم » ... حتى لا تستطيع أن تصل الينا لوحدها وفي كل الأوقات كما كان حاصلا.

ولكم ان تتصوروا وقع ذلك على مريم وأعتقد أنها قد تألمت كثيرا وعرفت الهدف من تركنا الحي ... ولكنها كانت صبورة قنوعة فيها الشيء الكثير من طباع « أمي » وخصالها ...

يومها ... ودعنا الجيران بالبكاء والحزن وكثيرا ما ترجونا بالبقاء ... ولكنني كنت أسوق لهم العذر في سبب مغادرة الحي ... وقلت لهم أن مغادرتنا للحي ليس معناه انقطاع المحبة بيننا ونسيان الجيرة ...

وفي الحي الجديد ... كان واجبا علي أن أمضي الأيام والليالي مع بدن والدتي مع ظلها ... مع الذكريات .

ومنذ ذلك اليوم الذي اصيبت فيه بحادث السقوط ، وفقدت ذاكرتها وأصبحت لا تعي شيئا من حولها كنت أحمل الأوساخ من تحتها وأغسل لها ... برضى ومحبة .

وكم كنت اترنح تحت أثقال همي في عناء وأعياء كانت خطواتي واهنة خائرة وصوت وقعها على الارض رتيبا جنائزيا يقبض الصدر ويملؤه بالأسى والشجن .

كنت أذهب الى العمل وأعود ... حتى تحيات زملائي ونكاتهم لم اكد احس بها الا من خلال ضباب حزين وكأني اعيش في حلم مزعج .

كانت الحقيقة فيه مريم ... التي لم تنقطع مكالماتها التلفونية اليومية تسأل عنا وتتفقد أحوالنا ... وتحضر كل اسبوع مع أسرتها حيث يقضون ذلك اليوم معنا يرفهون عنا ويشيعون البهجة والمرح في أرجاء منزلنا الحزين ... ، ولا يتركونا الا وقد نظفوا جميع حجر البيت ... وغسلوا ملابسنا التي قد تكدست بداخل الغسالة ...

ولأصالة « مريم » وشدة حبها لي ... كانت في ذلك اليوم تحمل الأوساخ بدلا عني من تحت والدتي ... وتعد الحمام وتحممها بنفسها وتلبسها الملابس النظيفة ... وكنت أنا المس واشاهد ذلك ، اشعر بدموع تنسل من عيني ... ويزداد حبي وتعلقي « بمريم » .

وقد كنت واثقا بانها تفعل ذلك بدافع من أخلاقها وتربيتها الحسنة وكانت تفعله وتفعل الأكثر دون ان تشعر احدا أو حتى نفسها بانها فعلت جميلا او معروفا ، بل كانت تراه واجب الجيرة والمعرفـــة .

وافقت من ذكرياتي على صوت أذان الفجر ... واذا أنا بجانب سرير «أمي» وهي جثة هامدة ... لقد استراحت من آلامها وعذابها ، وذهبت الى الخلود .

وتسللت أشعة الشمس ارجاء المدينة وتخلل ضياؤها نافذة الحجرة فتبدد الظلام ... فنهضت اقبل جبينها واديت صلاة الفجر ... ومن ثم خرجت اعد لمراسم الدفن .

تحاملت على نفسي ونهضت واقفا ... اتقبل تعازي المعزين وأنا ارزح تحت اثقال حزني وعنائي ، وكنت احس احساس الطائر المذعور وجموع المعزين تنكب علي، وكانت كلماتهم تأتيني وكأنها من اعماق بعيدة ، فأشعر بعزلة وفراغ سحيق مروع .

شيء واحد تنبهت له ... أو صحوت عليه تماما ... وذلك بعد انفضاض جموع المعزين ... « مريم » ومن بين ثنايا طرحتها السوداء أشرق محياها بمواساة طيبـــــة ...

ثم شدت على يدي في حنان وافر وخرجت كلماتها مبحوحة مخنوقة لشدة حزنها ، فانحدرت دموعي بسخاء ... ورايت فيها صورة « أمي » وحنانها وصبرها .

ورقص شيء في داخلي ... وعرفت ان الله قد عوض صبري وبري ... وعذابي بصورة « أمي » التي أحببت .

« شـــارة مـــرور »

بقلم : عبد الله سعيد جمعان

في طريق عودتنا الى المنزل داخل المدينة .. عمنا الصمت وشرد كل منا بأفكاره ولم يكن يطرق مسامعنا الا جلبة الطريق واحتكاك اطارات العربات بالاسفلت واصوات ابواقها تنعق كأنما هي أصوات غربان قد تجمعت .

وكنت اشعر بداخلي بنشاط ونشوة .. ونظرت اليها بجانبي على المقعد الأمامي للسيارة .. تلف جسمها الدقيق عباءتها وفي قدميها انتعلت صندلا خفيفا ... وعيناها تتابع دون تركيز حركة المرور والحوانيت وأضواء الاعلانات المتراقصة .

وكان محياها ينم عن سعادة ونشوة .. فالتفت اليها بغتة وقلت مبتسما ..

ــ هل تشعرين بسعادة ؟

فابتسمت ابتسامة ماكرة .. وقالت دون أن تنظر الي . . .

ــ ليست كل السعادة .

ــ اتفكرين بالأولاد ؟

فالتفت الي بكل مشاعرها وقالت بحنان :

ــ لا . . . اني أفكر فيك .. ولا اتذكر الا أنني بجانبك وحدنا ..

وانتشت أعماقي وشعرت بشيء بارد يسقط جوف حنجرتي .. واشتد تجمع السيارات العائدة من أماكن النزهة عند تقاطع الطرق في قلب المدينة ... وأوقفتنا شارة المرور عندما اصطدمت عيناي بالضوء الأحمر . .

ولست ادري لما استعادت مخيلتي في تلك اللحظة كل الأحداث التي مرت بـي خلال تلك السنين من حياتي .. ولما الضوء الأحمر أعاد تفكيري بحادثة اغتيال الملك ..

ذلك اليوم الذي كانت بدايته ككل أيامنا في السعودية أمن .. رخاء استقرار وسعادة .. في الصباح الباكر الكل فرح سعيد يستقبل يوما من ايام الحياة السعيدة التي نعيشها في عهد الفيصل .. والكل يستبشر بمكرمة جديدة من هداياه التي تعودنا عليها .. فلم يمض يوم الا وحملت الينا أجهزة الاعلام خبرا مفرحا سواء لنا او لأخواننا من عرب ومسلمين .. فأيامنا بشر وسعادة ورفاهية .. وفي مخيلتنا دائما صورته لا تبرح تفكيرنا ابدا فعلق بأذهاننا وتمكن من قلوبنا ومشاعرنا .. والكل يشعر انه له وحدة .. اب واخ وقائـــد . .

وفي ذلك اليوم .. الذي كانت بدايته بشر وسعادة . كانت نهايته تعاسة وحزن

وفاجعة اليمة هزت كيان الشعب كله وفوجيء العالم بالخبر الاليم ولف الكرة الارضية حـــدث عظيـــم . .

خرجت من عملي الى المنزل . . وانا احلم بمائدة عامرة وقيلولة هنية بعد عناء يوم من العمل . . وضغطت جرس الباب وفي يدي احمل بعض الفاكهة والخبز . . وتناهى الى سمعي من الداخل صوت المذياع يذيع آيات من الذكر . . . وفتحت زوجتي الباب . . وهالني أنها تبكي وتنتحب . . ففوجئت لذلك وسألتها عن ما بها . . فأخبرتني بصوت تخنقه العبرات بالخبر المفزع الاليم . . وشعرت وكأن عدة خناجر حادة تنغرس في حلقي وكبدي وسقط ما كنت احمله من بين يدي . . وغامت المرئيات امام ناظري . . ولفني وجوم وكآبة وحزن عميق وبعد فترة لم اقدر مداها وبجهد تمالكت نفسي ودلفت الى الداخل . . وجدت الأولاد كلهم ينتحبون . . حتى ابنتي الصغيرة تبكي . . وعندما رأتني هرولت الي وارتمت في حضني تجهش بالبكاء . . وتقول من بين دموعها وبصوتها المتهدج الطفولي البريء . . .

ـ قتلوا الملك . . فيصل . . فيصل مات . . مات يا أبويا . .

وضممتها الى صدري بينما انحدرت دموعي لتستقر على راسها الصغير والألم تمزق خناجره صدري وحلقي بقسوة . . .

وتصفحت الوجبة فوجدتها حزينة باكية . . فانزويت في غرفتي حزينا وقد شلت المفاجأة تفكيري واتزاني . . ولفني ذلك التبلد والغباء . . وتراقصت أمام ناظري علامات استفهام كثيرة . . . كيف ولماذا . . فيصل مات . . اغتيل . . ولم يصدق الخبر عقلي ولم يهضمه تفكيري . . فحب الشعب له لم يترك مجالا أو دافعا لاغتياله . . . لذا أخذتنا المفاجأة . . وكان الرد العكسي لشعبية وحب فيصل . . هو الرفض الداخلي لتصديق خبر وفاته . . . ولكن المذياع أعاد الخبر وكرره واصبح الحدث واقعا وارادة الله فوق كل ارادة ولم يفكر يومها أحد منا ولا حتى الأولاد في تناول الطعام والكل منا دامع العين حزين . . يصيغ السمع الى المذياع يترقب الأخبار . .

وهربا من الجو الحزين الكئيب الذي يلف المنزل خرجت ثانية تائه الفكر مثقل القلب والالم يعتصرني . . الشوارع تكاد تكون خالية والحوانيت مقفلة ولف الناس وجوم وحزن صامت والكل اعتكف في منزله يجتر احزانه والمه ولا يزال تحت هول المفاجأة . . . واذا ما صادفت أحدا من الناس وجدته زائغ البصر تائه الفكر يلفه الحزن وفي عينيه احمرار وأثر دموع ويتمتم بصوت كسير خفيض . .

يا الهي . . آه يا الهي . . وكآبته تفيض في فؤاده وتصهر اعماقه حزنا واسا ولوعة واذا ما اصبح على بعد كاف بحيث لا يسمعه أحد انخرط في بكاء مرير والمت به حالـــة من فقدان الشعور . . . وكنت اسمع في ظلمة الليل بكاء زوجتي الصامت الذي كانت تنم عنه شهقاتها المتواصلة فأجد نفسي اشاركها البكاء وكأنما كنت اتجلد طوال ذلـــك الليل الاليم الموحش . .

والبكاء تعبير عن اليأس عندما يحس الانسان في داخله بأنه ليس ثمة شيء يستطيع أن يفعله .. وانه يقف عاجزا أمام كارثة ليس له ارادة في دفعها .. فيقهره اليأس والحزن .. فينخرط في البكاء وهو الرد الفعلي لما يصطرع بداخله .. فكيف لا يبكي الشعب فيصل وقد أحبهم الحب كله ووهبهم عمره وحياته واغتيل وهو في عمله بخدمهم ويبحث شؤونهم .. وهذه اصلاحاته وقراراته الحكيمة ومشاريعه الكثيرة تبرز للعيان ... واذا بنا نفاجأ ونحن في قمة السعادة والحب بموت القائد والأب والرجـــل ..

وبكى كل الشعب وحزنت كل القلوب وعمت الفاجعة كل المنازل وعشنا أياما عصيبة تنهشنا الأحزان وتغثا لنا الأشواق وتعصف بنا الحسرة .. على رجل لا ككـل الرجال .. وبطل سيد الأبطال ومؤمن قوي الايمان يخاف الله ويخشى عقابه وحاكم عادل حنون عطوف . .

واشتعل الضوء الأخضر .

فتحرك رتل السيارات التي أمامي فدست البنزين وانطلقت بالعربة من جديـد .. وأتاني صوت زوجتي بجانبي قائلة :

ـ بماذا تفكر .. ؟ لقد لحظت عليك الشرود خلال الطريق .

فقلت لها وقد عادت الذكريات الى مخيلتي . .

ـ لقد تذكرت مواقف ومواقف وقفها الفيصل . . .

فقالت بصوت جاد رزين :

ـ لقد أعطانا الشيء الكثير الكثير .. وكان حكيما في قراراته .. أتذكر ماذا قال له « نكسون » رئيس أمريكا عندما زاره في الرياض ... لقد قال له : « اني جئت لطلب الحكمة . . منكم » .

ومر بخاطري كلمح البرق موقف آخر من مواقفه .. فقلت لزوجتي :

ـ أتذكرين موقفه عندما أراد أن يعبث بالحكم نفر من حاشية الملك سعود يرحمه اللـه وكيف . .

فقاطعتني قائلـة :

ـ لقد استغلوا طيبة الرجل وحنانه . .

ـ فقلت مواصلا . .

ـ وكيف تدهور الاقتصاد السعودي . .

فقلـت :

ـ عندها وقف رجال الأسرة المالكة ومشايخ وعلماء البلاد وساندوا الفيصل في تسلم الحكم وانقاذ عملتنا حتى أخذت شأنها الحاضر .

قلت مواصلا حديثهــا . .

ـ واعاد الفيصل الأمور الى نصابها وانقذ البلاد من تدهور فظيع .

وسكتت هنيهة فالتفت اليها اريدها ان تواصل الحديث .. فرمقتني بعينها وقالت مستطـــــــردة ..

ـ أنت تذكر .. كيف خطط مع اخوته الأسد والسادات لحرب رمضان ؟

فأومأت لها براسي بينما واصلت حديثها ..

ـ ووضع كل امكانيات المملكة في خدمة المعركة ..

فقلت مبتسما فخورا :

ـ وانتصر العرب لأول مرة على الوهم ...

قالــت مواصلــة ..

ـ وما تلا ذلك النصر من مشاورات ومفاوضات لجلاء العدو عن باقي الارض العربيـــــة ..

قلت وقد تذكرت موقفا عظيما :

ـ حين ذاك قال الفيصل .. « لكسنجر » جملة واضحة ..

فقاطعتني قائلـــــة :

ـ القدس أولا .. اني اريد أن اصلي بها .. واذا لم تجلو اسرائيل سوف اقطع البترول الذي يمد بلادكم ... بالرغم من صداقتنا القديمة .

قلت مواصلا حديثهـــا ..

ـ ونفذ الرجل ما قال .. وركعت الدول عند قدمي السعودية .

قالت مستفهمة مجيبـــــة :

ـ أتعرف ماذا نتج عن ذلك الموقف .. لقد نتجت أشياء كثيرة لا مجال لحصرها وبرزت من خلفياته .. فلسطين وتجسمت للعالم واصبح الكل آذان تسمع ما يقوله العــــــرب ..

وأوقفتنا شارة المرور من جديد بضوئها الأحمر .. فانقبضت نفسي وانقطع حديثنا وسبح كل بأفكاره من جديد وتذكرت كيف مضت بنا الأيام كئيبة بفقد الفيصل . مثقلة بالهموم والحزن الذي كنت احسه راسخا في راسي وصدري منحشرا في حلقي كأنه السكاكين المنغرزه في لحم قلبي .. نفسي عافت عن الطعام وما عاد للحياة اي طعم في فمي . عيناي دامعة وجيوش النمل تدغدغ خلايا جسمي واطرافي وصعدت الى راسي حرارة فرن تصهر فيه .. وزاد في آلامنا وآسانا رحيل أناس نعرفهم من اهلنا واصدقائنا .. فخروجنا اصبح للتعازي واحاديثنا عن المرض والموت والآخرة ... فزهدنا في الحياة ولفنا ذلك الجو الكئيب وعلق بانفسنا صدأ يريد جلاء قويا حتى تعود النفس مرة اخرى الى صفائها ويزورها الأمل .

وفكرت كثيرا الم تعد هناك فرحة في الحياة تنتشلنا .. حتى العمل اصبحت اجد صعوبة ومعاناة وأنا اقوم به وتبلدت اذهاننا رغم أني أعرف ان لا اتخاذل في الحياة واجعلها تقهرني بأحزانهـــــا.

وافقت من شرودي وافكاري وغمرني شعور بالفرحة افتقدته منذ زمن وآويت الى فراشي احلم بفرحة الغد . .

وقطع شريط ذكرياتي شارة المرور عندما اضيء اللون الاخضر فهيأت العربة وانطلقت بها عبر الطريق .. وقد ران علينا السكون عاد بعدها شريط ذكرياتي يعمل وتذكرت كيف افقت في صباح اليوم التالي مبكرا نشطا وحضر خال الاولاد واجتمعنا على مائدة الافطار وكان كل منا يبدو عليه الفرح خاصة الأولاد بضجيجهم وصخبهم ... وكذا زوجتي مرحة نشطة وهي تعد لوازم الأولاد ... ونهضت انا وخال اولادي الى الشرفة المطلة على الشارع واخذنا نحتسي شاي الصباح بينما كان المذياع يذيع برقيات التعازي وبرقيات المبايعة للملك خالد وولي عهده فهد .

والتفت الى شقيق زوجتي قائلا :
ـ الحمد لله ان الأمور تسير على ما يرام .

قال وهو يضع كوب الشاي على الطاولة بعد أن رشف منه رشفة وأشعل سيجارته

ـ يا سيدي ... ان الشعب السعودي يؤمن ايمانا عميقا بقضاء الله سبحانه وقدره وهذا لتمسكه بالاسلام والتربية الاسلامية تقول ان الأعمار بيد الله وحده « فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » صدق الله العظيم . واذا قد مات فيصل ... فقد مات سيد البشر وكذا الصحابة وعظماء الأمم ولكن هذا لا يعني أن المسيرة سوف تقف والعرب قالوا .. نحن قوم اذا مات منا سيد قام سيد . . .

ثم أردف وهو ينهض بعد أن علا ضجيج الأولاد داخل سيارته يحثونه على الاسراع

ـ وعلى كل يا رحيمي الأمل الآن معقود بخالد وفهد .. بعد الله سبحانه وما دامت تحكمنا هذه الأسرة الجليلة على سنة الله ورسوله فنحن بخير .. بخير يا ابا محمد .. فلا تهتم وقم اصطحب زوجتك واقضوا يوما هادئا .

وواصل غامزا وهو يودعني عند الباب ويضغط على يدي برفق . .
ـ على كل انا اخذت الأولاد لتأخذوا حريتكم وتستعيدوا ذكرياتكم .
فابتسمت له وصافحته مودعا . .

وبرحيلهم خلا البيت وعمه الهدوء والسكينة واجلت نظري في غرفة الأولاد وابتسمت ... كعادته ابني عادل .. في هذا الركن له جورب وفي وسط الحجرة فردة حذاء وعلى طرف السرير بيجامة ملقاة باهمال .. وهناك ثوبه ... الكل رتب اغراضه الا هو .. انه فوضوي لا يحفل لمثل هذه الاشياء ابدا واكثر المشاحنات تقع بينه ووالدته وأخوته بأسباب فوضيته واطلت علي زوجتي وانا اتأمل الحجرة .. فلاحظت ما لحظته فزفرت قائلة :

ـ أوف .. عادل .. عادل .. ذلك الشقي الفوضوي .. تصور انه يوم امس..

وكادت تسترسل كعادتها وتربك اعصابها .. ولكنني وضعت راحة يدي على فمها وقلت لها برفق . .

ــ ها . . . بلاش عصبية وشكوى . . لا تنسي اننا نرغب في قضاء يوم هادىء .

فابتسمت لي بحنان .. وذهبت الى المطبخ تعد ما نحتاجه ليومنا ذاك . وبعد برهة أتاني صوتهـــا . .

ــ الا تأتي لتضع الاشياء في السيارة ... انني جاهزة هيا تحرك ..

ووضعت كل الأغراض بحقيبة السيارة الخلفية بينما كانت هي ترتدي عباءتها وتقفل الباب الخارجي خلفها ... ومن ثم صعدت العربة فانطلقنا صوب الفيلا .. التي تبعد عن المدينة قليلا وفي مكان هادىء بعيد عن العمران وضجيج الشوارع وصخب المدينة

وفي الطريق راحت زوجتي تتلمس يدي بحنان وتأخذها اليها وتقبلها .. فنظرت اليها فلاحظت عينيها مخضلتا بالدموع .. دموع البهجة والسعادة وعاودتني الذكريات الجميلة ... البيت البعيد والمشوار اليه ... فقبل أن نتزوج اشتريت قطعة الارض تلك التي تبعد عن المدينة بمبلغ زهيد نظرا لبعدها عن العمران وعدم وجود لوازم الحياة حولها ... ولكنني قد عزمت على الكفاح فكنت أقتطع من مرتبي مبلغا أحفظه عنــد والدتي لكي أستطيع بعد فترة أن أبني الفيلا التي حلمت بها وبعد فترة استطعت أن ادفع تكاليف المخطط وأن أبني حجرتين والسور الخارجي فقط وكنت أحب الحديقة والزهور والأشجار .. فوجدت لهوايتي متنفسا فكنت أقضي كل عصر أنا ووالدتي نصلح الارض ونزرع ونأتي بالشجر والزهور .. فلم يمض وقت طويل حتى أصبحت لنا حديقة غناء جميلة .

وتشاء الصدف فألمحها خارجة من عند والدتي وتشتبك نظراتنا لحظة . . . كانت كافية لتحريك خلجات النفوس .. وعندما سألتها عنها أخبرتني أنها ابنة جيراننا .. بنت مؤدبة ومتعلمة وهذه سنتها الأولى كمدرسة .. ويا ليتها تكون من نصيبك والى آخر مثل هذا الكلام والدعاء والهداية ... وفي بادىء الأمر لم أهتم كثيرا .. حيث كان حلمي وهدفي .. انهاء الفيلا أولا ولكنني وجدت نفسي في المساء أفكر بتلك الفتاة وأتخيلها بجانبي نكافح الحياة ونبني سعادتنا معا .

وفي الصباح جلست كعادتي بعد الفطور بجانب والدتي نرشف الشاي ... وبعد حديث قصير .. علت الفرحة محياها وسرت .. ولم تمض أيام حتى كنا زوجين .

واخذتها في اليوم التالي لزواجنا الى الفيلا .. وفرجتها عليها فسرت كثيرا وقالت بصدق .. ان شاء الله نكملها معــا . .

وامضينا شهر العسل كله .. نزور الفيلا ونحتال في الهروب اليها من مراقبة والدتي لنا ونحن عروسين جديدين .. فكانت مأوى ذكرياتنا وسعادتنا .

نظرت حولي .. الزرع اخضر والشجر مورق والوقت نهاية ربيع بداية صيف .. تماما مثل أول مرة اتينا فيها الى هنا .. ورائحة الورد والزرع وزهر البرتقال تملأ المكـــــان .

وجلس كل منا ينظر الآخر في ترقب وتوتر .. لا يدري ماذا يقول او يفعل ... وكانت نفسيتنا متعبة من الجو المتوتر .. حولنا وخلونا بعد تلك السنين لأول مرة لوحدنـــــا . .

وشعرت بنشوة وجودي معها ... كما سررت بوجودنا في المكان لوحدنا ... كل الذكريات ترقص أمامي في فرحة غامرة .

حتى رائحة الزوهر في هذا الوقت المبكر من الصباح وفي فترات الظهيرة عندما تصعد رائحتها الى الأنف منعشة مخدرة .

فأعيش ذكرياتنا الحلوة البعيدة انها ليست في سنين بعيدة ولكن الأحداث التي مرت بنا في تلك السنوات وروتين الحياة جعلت منها سنوات كثيرة بعيدة ... وخاصة حادثة اغتيال الملك الذي نحبه ونجله وله من المكانة والحب في قلوبنا الشيء الكثير .

وكانت تبادلني نفس الأحاسيس والذكريات عندما قالت :

ــ رائحة زهر البرتقال تملأ المكان ... تماما مثل اول يوم أتينا فيه هنا .. أتذكر.

فابتسمت لتذكرها ... وتبادلنا نظرات صامتة ... وعادت الي خفقات قلبي المترقبة .. المقبلة على شيء ... وفرحت بها .. فمنذ زمن غادرني ذلك الشعور والتفتت الي قائلة :

ــ ترى ... ماذا يقول أخي علينا الآن . ؟

قلـــت :

ــ انه انسان عاطفي رقيق .. لن يسخر منا .

نظرت الى أغصان الشجر الخضراء خلال النافذة فوجدتها معقودة بالثمار كمـــا كانت في مثل تلك الايام البعيدة ... مثل قصة حبنا وزواجنا .. فقد كنا نحلم بالأولاد .

وفردت ذراعي العاريتين متكاسلا .. وسألتها ..

ــ ما هـــي عيوبـــي ؟

ــ كثيـــــرة .

ــ اهمهـــــا .

ــ ذهبت عنك رقة معاملتك وحلاوة خصالك . حتى انني كثيرا ما انظر اليك يخيل الي اني لا اعرفـــك .

ــ واليـــــوم .

ــ الذي احببته واعرفـــه .

ــ هل أقول عيوبـــك . ؟

ـ لم اسالك واعرف انها في نظرك كثيرة .. وليست بي رغبة الدفاع ولا الخوض في مشاجرة .. وليكن يومنا هادئـا . .

وانسلت من جانبي ولم تلبث ان عادت بكاسين من عصير الليمون وقالت مبتسمة تدغدغهـا ذكرياتنـا . .

ـ قطفته مـن الشجـر . .

واردفت تقول وهي تجلس بجانبي . .

ـ هل تذكر كلماتك التي قلتها هنا من سنين .. الحب مثل الشجر تماما .. ماكملت تذكرها .. اذا زرعته في ارض طيبة خصبة .. تجني طيبا وحبا .. واذا زرعته في ارض سبخة فلا تجني الا التعب والكد والعذاب .

قالـــت :

ـ كثيرا ما كنت أسائل نفسي ترى ما هي ارضك التي زرعت بها حبك .. أهي خصبة ام سباخ .. تبتلع الماء والبذور ولا تنبت الا الشوك والأعشاب الضارة ؟

أخذت وجهها بين كفي .. في حنان وقبلتها مبتسما .. وقلت لها :

ـ أرض خصبة انبتت حبا عظيما عاش بنا كل تلك السنين في ود وتفاهم وأنجب لنا أجمل الزهرات وأطيب الثمرات .. أولادنا .

وكان يوما رائعا جدا ... تمتعنا فيه بالسعادة والهدوء ... ونظرت حولي .. لحظات الغروب قد خيمت على الأرجاء .. وبدأ ضوؤها الباهت يشتد حلكة وانتابني ذلك الشعور الذي كنت أشعر به من سنين عندما نترك المكان لحظة انقباض لأن يومـا سعيدا قد مضى ... وروتين حياتنا اليومية ينتظرنا وعلينا أن نعود .

وانتشلني من شريط ذكرياتي توقف السيارات التي أمامي عند تقاطع الطرق وضوء شارة المرور الحمراء فتوقفت بدوري . عندما أتاني صوت زوجتي متسائلة .. وكأنه مـن أعماق بئـر . .

ـ ألا تنوي أن تكمل الفيلا . . ؟

ـ ولكن من أين النقود .. ان ما لدي منها .. لا يكفي لفعل شيء .. ثم انني لم افكر ابدا .. في أن أحرم انفسنا والأولاد من شيء نحتاجه .. من أجل أن أوفر المبلغ اللازم .. فأنا لا أؤمن بالتقطير في الحياة وارغب أن نعيش سعداء لا نحرم أنفسنا مـن طعـام أو ملبـس .

ـ ولكنه امر لن يدوم طويلا ... وانما هي فترة وجيزة ..

فقلت لها مبتسما بخبث مازحا . .

ـ قصدك ان نعيش شبابنا في حرمان . . وشيخوختنا في رفاهية ... ونحرم الأولاد من اشياء موجودة امامهم في كل مكان ... لا .. لا أوافق على ذلك ابـدا « انفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب » .

واضاءت الشارة الصفراء .. فهيأت العربة للانطلاق . عندما صاحت بي قائلة بفرحـــة وبشـــــر . .

ـــ ولكنك نسيت شيئا مهما .. أبشر .. سوف تكمل الفيلا .. باذن الله .
وتهقهت ساخرا وقلـت :
ـــ اظن انك وجدت كنزا في صينية الفحم . .
فصاحـــت بـــي . .
ـــ لا .. كيف فاتك ذلك .. الم تقرأ الصحف .. الم تسمع اخبار التلفزيون ؟
فقلت وكمن افاق على الحقيقة . .

ـــ بلى .. قرات الصحف .. وسمعـ ... ت الا ... خبا .. ر .. يا الهي لقد تذكرت .. بنك التنمية العقاري .. المخططات نملكها وتصريح البلدية والصك غدا أتقدم بطلب القرض . .
وأكملت وهي تكاد ترقص فرحـــا . .
ـــ وبعد غد تدب الحركة والحياة .. في المرفأ المهجور .. هذا أول الخير في عهد خالد .. الله يطول بعمره ويجزاه خيرا . .
وشعرنا بفرحتنا تزداد وشيء من أعماقنا يرقص طربا . .
وصدفة التفتنا على صراخ الأولاد المرح .. وهم بداخل سيارة خالهم علـــى الطرف الآخر مـــن الطريـــق . .
بابا . . . ماما . . . هى . . . نحن هنا . .

وأخذوا يلوحون لنا بأيديهم مبتسمين صاخبين فرحين فزادت فرحتنا ونحن نرى الأولاد سعداء فرحين وقد قضوا مثلنا يوما هادئا مرحا وأضيئت الشارة الخضراء فانطلقنا نستقبل الحياة الجديدة بسعادة وبشر وفرح وصوت محمد عبده ينبعث مـــن مذيـــاع العربـــة . .

ربنـــا واحـــد . . . دربنـــا واحـــد

كلنـــا فيصـــل . . . كلنـــا خالـــــد

المولـــود الثانـــي

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

لأنها تعرف القراءة والكتابة . لذلك فقد كانت تحاول أن تقول شيء من خلال نقدها لما يحاول ان يقرأه خلال أوقات فراغه ، أو مشاركته في ابداء آيات الأعجاب بقصيدة أو كلمة ، اعترفا من خلال قرآتهم لها أنها نابعة من الصميم الذي هم ... أنفسهم يبحثون عنه في معنى وجودهم . .

كان يغضب ومع ذلك لم يرتفع صوته على أحد ، كلهم يعرف أنه سريع الغضب والأنفعال ، ومع ذلك يحاول أن ينسحب لأنه يعرف أن غضبه هذا نابع على ذاته ، على انطلاقته غير المؤتية بشيء ، فكل ما حوله هو فيه مجرد متفرج ، رغم أن الواقع يفترض فيه أن يكون ضمن الأحداث .

أما هي فقد كانت تغضب منه وتتجاوزه بكلماتها وحديثها الذي يتسم من خلاله أنها تشعره بأنه لم يعد شيء . ما دام الآخرين مسيطرين عليه هذه السيطرة ، وكلمته غير مسموعة ... وحقوقه مهضومـــة . . .

وأمام كل هذا كان الضحية طفلهم « سمير » الذي لم يتجاوز الرابعة من عمـــره والمتليء بكل ما في هذه الارض من شقاوة وعناد . فمنذ سنوات خلت كان ابراهيم لا يسترعي انتباه أحد من الناس باستثناء أفراد عائلته ، أما الآن فهو محط الأنظـــار في مجتمعه ومقر عمله ، لقد لفت مظهره الكثير من الانتباه بمتناقضاته وعدم مبالاته في أن يجعل من كلمته ذات موقف مع الآخرين ، أما مع نفسه فالجميع يعلم أنه يعـــد أن يكـــون كـــل شيء .

ورغم فساد الجو العام المحيط بالأسرة المليء بالشائعات والأقاويل التي تجعل أكثر لحظات الالتقاء داخل الدار الصغير مشحونا بالكهرباء ، فقد تقبل الاثنين ذلك ، وعرفت « سناء » أنها لن تستطيع تغيير ما بداخل زوجها ، فلذلك قررت الاحتفاظ بابنها « سمـــــيــر » . . .

واخذت تحرم عليه الذهاب الى أسره والده ، قاضيا معظم الوقت مع أشقائها وعند أسرتها كان متفرصة لان ينام مرتاحا وأن يستمع للراديو وأن يقرأ ويتفرغ لأصدقائه لكن والدته شعرت بكل ذلك فأخذت تقاسيه من خلال دموعها اثما ماذا يعمل ...

وهنا بدا وجهه الابيض يتحول الى أحمر ، بعد أن بدأت الدماء تغلي في عروقه ، وقال وهو يحاول كتم غيظه . . .

ــ أماه ... انني مرتـــاح

لكن هذه الصرخة لم تفد ، تلونت الأيام بداء جديد يدعى الترجيف .

: ــ سناء ... لن تحمل مرة ثانية ... وابراهيم يفكر في الزواج من جديد ... لأنه يريد أولاد يملؤن عليه البيت . .

: ــ وما السبب

: ــ حبوب منع الحمـــــل .

لم تكن حبوب منع الحمل هي السبب ، لكن تفاهم الاثنين على ذلك هو السبب . وقررت « سناء » التوقف عن بلع الحبوب ، والاستماع الى نصح الجارات في زيارة أم محمد وغيرها من العجائز الخرافيات واللائي يقال لهن انهم يتعاطون السحر . مـــن أجـــل الخلفـــــة .

ألقت « سناء » بكل ثقافتها ووعيها وراء ظهرها . . .

ومن دار الى دار آخر رغم علمها بأن ذلك يغضب ابراهيم أخذت مرة مع والدتها واخرى مع والدة ابراهيم ، وشعرت بآلام كانت أقوى من كل شيء ، واخذها الـــى المستشفى ، حيث فوجيء الطبيب بحالتها واستمع الى شرحها . . .

كانت منهارة ، وكانت نتيجة الفحوص أن تلك الخزعبلات جعلتها تفقد الأمـــل في الحمـــل مـــرة أخـــرى .

وجحظت عيناها وخرت مغشيا عليها ، كانت الصدمة اكبر من كل شيء ...

حدث ذلك منذ ثلاث سنوات كبر فيها « سمير » ودخل المدرسة وأحاطه والديه بالحنان والعطف ، كان كل ما في الدار من أثاث وانسان ونسمات .

وعاود فيها آلام الصدر ... الذي اثبتت التحاليل في السابق أنها حموضة مـــن البهارات والحموضيـــات .

ــ انا عندي حل ، قبل ما يتضاعف الألم نذهب الى المستشفى .

ــ أنا موافق لكن الشغل ؟

وهرب من الشغل ذات صباح وأخذها الى المستشفى ودخلت على الطبيب المختص ، وخرجت وهي تجرجر خطاها ... لم تقل شيء حتى ركبت السيارة ، عندما سالها عن العلاج .

ــ أنـــا حامـــــــل . . .

أحس أن الدنيا بتلف به ، غارت ابتسامته الصغيرة ، كان يبحث عن كلمات يقولها في ذلك الوقت ، غير أن كل الكلمات ايضا غارت ، وأوصلها الى الدار ، وخرج عائدا الى عمله ، لكن الطريق طال ... اجل طال ، لم يعرف الطريق الذي يؤدي الى المكتب لأول مـــرة في حياتـــــه .

واشرقت الشمس من جديد ، اخذت تزرع اشعتها فوق الارض ، انما كان هناك شعور داخلي كئيب يغلف حركات ابراهيم وهو يستعد للذهاب الى العمل .

ـــ انني اشعر بآلام شديدة .
ـــ ما رايك اذهب لمنادات والدتك .

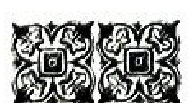
واصرت « سناء » على الذهاب الى دار اهلها ، واطمئن بعض الشيء كان يحدث نفسه وهو في طريقه الى العمل عن نوع المولود ، وهل سوف يكون جميلا مثل « سمير » او سوف يكون ذا منظر كريـــــه .

مر الوقت سريعا رغم ما هو فيه من قلق ولم يجد احدا في الدار انهم في المستشفى لكن اي مستشفى ؟ اخذ يسأل اشقاء « سناء » .

وقبل ان يخرج من الدار ، اذا بالباب يقرع وكان اول المسرعين الى فتحه وصفعة الحزن البادي على وجه ، والد سناء فماذا هناك ؟
ـــ انهـــا بخـــــير . . .

وانطلق الى المستشفى ووجدها ما زالت تحت تاثير المخدرات . وتلفت حوله يبحث عن المولود ، ولم يعثر عليه ، ولمح والدة « سناء » تراقب تلفته وبحثه . . .

ـــ أحمد الله على سلامتهـــا .
لقد كان مولودا ميت ، لقد توفي بعد دقائق من رؤيته للنور .



٢٤ ساعـــة بـــدون هويـــة

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

اخذ يقلب دوسيهاته واوراقه باحثا عن شيء يشغل الفراغ الذي يعيشه والقلق الذي اخذ يتسرب الى اعماقه رغم محاولته في فرض الهدوء على ذاته متجاوزا كل ما يعاني من الالم والتحدي . .

الساعة السادسة والنصف صباحا .. يصرخ منبه الساعة في اصرار لينهض الجميع حتى يتم تنبيه الصغيرة « فاتن » من النوم وتجهيزها للذهاب الى المدرسة .

ورغم ذلك دفن راسه بين طيات المخدة والأغطية الثقيلة الا أن تلك المحاولة لا تفيد اذ يخيل له أن صغيرته الوحيدة ترجى والدتها أن تسمح لها بالنوم قليلا والتغيب عن الدراسة كالمعتاد ، فيطير النوم حتى يسمع صوت الباب الخارجي يفتح ثم يغلق معلنا ان « فاتن » استسلمت لواقعها وأخذت طريقها مع بنات الجيران الى مدرستها التي لا تبعد عن الدار سوى أمتار قليلة .

يعود « فريد » للنوم من جديد لكن صراخ « وليده » الجديد « عماد » يعيده الى مرحلة الانتباه الغير مرغوب فيه والذي يمتليء بلحظات من الحنق التي تعني أن مرحلة القلق بدأت تتسرب الى أعماقه .

ويقفز من الفراش في عدم مبالاة واهمال يثير فيها حنق زوجته « سارة » التي احتضنت في هذه اللحظات الصغير وأخذت تهدؤه حتى عاد الى النوم من جديد .

وارتدى ملابسه ثم غسل وجهه ، ووقف أمـام البـاب الخـارجـي لحظـات يتأمل السيارات المارقة .. والمارة في شيء من الفتور .

لقد كانت سيارته الصغيرة تكفيه مؤنة هذه الوقفة مترقبا مرور صديقه «حامد» لأخذه الى مقر عمله حيث يعمل الاثنان .

الوقت يمر مملا والأحاديث كما هي معادة منذ الف سنة ، أوراق يحرر عليهـا ومعاملات لا يجد في الاجابة عليها مبرر ، وأخرى يكون الحفظ مصيرها الأخير بعد دورة صامتة بين المكاتب وبين يدي الفراشين والموظفين لا تعي معنى السطور المسجلة عليها سوى انها تتحدث عن شخص جعله القدر يكون ضمن هذه الأوراق والدوسيهات ، لا لشيء انما لان احدهم سجل عليه ملاحظة اقتضى معها الروتين أن تكون هناك أوراق وارقام يقال لها معاملة ويجب ان تمر على اكثر من شخص حاملة الآراء وطالبة في نفس الوقت تحديد المصير حتى يكون الحفظ ، وتسجيل بعض الملاحظات والتوضيحات لتكون ضمن ملف المذكور اذا كان حظه سيء ، أما اذا كان حظه جيد فانها سوف تحفظ

في ملف الحفظ العام الذي لا يكون فيه معنى سوى ان هناك أوراق متراكمة وسطور تحتاج الى تنسيق .

ــ فريد شفت المباراة التي جرت البارح ؟
ــ نعم ليت الفريقين تعادلا . .
ــ علشان الفريق الذي تشجعه يمثل المقدمة .

ــ أبدا . . فالفريق الذي اشجعه يحتاج الى ثلاث نقط حتى يلحق بفريقي البارح، فلو تعادلا لأصبح قريبا منهم ، اذا فاز في مبارات اليوم .

ــ وهل هناك مباراة اليوم ؟
ــ اجل ولكن حسب ما أظن أنها لم تنقل بالتلفزيون . . !

وتدخل بعض الحضور في الحديث ، وكما أن الكرة مستديرة فقد استدار الحديث عن نواحي شتى واخذ بعضهم يسطر بعض الملاحظات الكروية على بعض الاوراق تتضمن ما مر من مباريات والنقاط التي حصل عليها كل فريق وما تبقى من الدوري .

وتناسى الأوراق التي بين يديه شاعرا أنه فقد احساسه بالرغبة في اتخاذ بعض الاجراءات ، فقرر اعادة ما بين يديه الى الدوسيه المرمي فوق مكتبه لاحتواء كل معاملة توضع أمامــه .

واخذ يفكر في لا شيء كعادته عندما يتسرب السأم الى أعماقه ، فتملأ بعض الأحداث اللامرئية مقلقا ذاته بهالة سماوية من الأحلام النرجسية المستحيلة التحقيق والتي لا يعود منها أبدا مهما كانت الظروف ، حتى ينشله شيء قوي في واقعه مثل قدوم احد الأصدقاء أو مفتش الدوام الذي يدور على الاقسام باحثا عن المكاتب التي غادرها اصحابها دون اذن مسبق أو اصرار فراش المكتب على أن يتناول كوب الشاي وارتشافه قبل أن يبرد . . .

والاشياء القوية التي تستطيع انتشاله من احلامه كثيرة ، لكنها الآن تقع في احدى الزوايا تتأمله ضاحكة من طفولته واغترابه الذي فرضه على نفسه .

الساعة الثانية عشر والنصف ، ارتفع صوت المؤذن معلنا ان وقت صلاة الظهر ازف ، وعليه ان ينهض لأداء الفرض المطلوب منه لله ، ومن ثم يعود للقيام بالغرض المطلوب منه ان يؤديه لمراجعة الأوراق المتراكمة على مكتبه والتي يجب ان ترحل من على مكتبه في أسرع وقــت .

الساعة الخامسة مساءا ، ازف موعد الذهاب الى الورشة التي ادخل السيارة فيها لمعرفة ما تم انجازه ، ، وقف وقفته الصباحية لعل احدهم يأتي لأخذه .

ــ اهــلا . . فريــد . .
ــ اهــلا . . بك يا علي

ــ كيف السيارة . .

ــ والله لا اعرف شيء .. هل تذهب معي اليها وقبل أن يتحرك الاثنان مــن مكانهم اذا بأحد يصرخ
ــ فريــــد . . فريــــد

والتفت الاثنان الى مصدر الصوت وما ان لمحا صاحبه حتى اسرعا اليه .

كان خالد صديق الاثنين وصاحب سيارة الأجرة يتجول بها بعد نهاية الدوام داخل المدينة باحثا عن لقمة العيش . .

وبدون أن يتم سؤاله عن الصحة او سبب صراخه ركب الاثنان . .

ــ الورشة لو سمحت . . ؟
ــ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
ــ على فكرة . . ماذا تريد . . ؟
ــ أربعة ريال . . أجرة المشوار . . ؟
ــ اي مشوار . .
ــ هــــــذا . .

وضحك الثلاثة بينما السيارة تتحرك في بطىء متخذة مسار مضاد للوجهة التي يريدها « فريد » ، فحاول أن يتناسى أنه قرر الذهاب السيارة والصراخ في وجه صاحب الورشة ، اذا لم ينجز شيء ، واقتنع بأن يصمت حيث تكون الفضيلة بعض الأحيان .

وانطلقت السيارة الى خارج المدينة محاولة قدر المستطاع الابتعاد عن طريق الأسفلت لتختفي بين الأشجار حيث كان الجو لطيفا . .

والحديث مؤنســـا . .
الساعة السابعة مســـاءا . . .

ادخل فريد المفتاح في الباب الخارجي ، ودخل في هدوء لا أحد هناك ، السكون مخيم على الدار ، فشعر بالحنق ، واخذ يفكر في الأمر وهو يبحث في الراديو عن اغنية او اي شيء يرتاح اليه . .

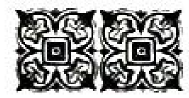
ــ هل سمعت بما حدث . . ؟
كانت زوجته « ساره » تقف فوق رأسه وبين يديها طفلها الرضيع ، ولم يتفوه بشيء
ــ لقد ولدت جارتنا . . مولودين . .
ــ مـــــــبروك .

ــ على ايه هيه طلقها زوجها لأنها عاتبته في الدخول عند جيرانهم سيء السمعة وكذلك مهددة . . بالمــــوت . .

ــ مــــــــاذا . . ؟

ــ لقد ولدت في المنزل لكن حدثت مضاعفات وتم نقلها الى المستشفى بعد ان أغمي عليهـــــــــا . .

شعر بالحزن ، ونهض من مكانه واتجه في تخاذل الى فراشه باحثا عن النـــوم ، رغم ان الوقت ما زال مبكرا ، فأحاسيسه الداخلية المنهارة ، شلت كل شيء .



المجنــــــون

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

الوقوف في وجهة الريح امر صعب .. وحديث الناس الذي لا يترك شاردة او واردة أمر صعــب .

ووقوف عادل هذا الموقف اللا مبالي كان اصعب من كل المواقف بالنسبة لذاته التي اعتادت المرور على كل الأشياء باستهانة وعدم اهتمام وبالنسبة للاخرين الذين اعتادوا وبصعوبة كل مشاكله المترتبة على فوضويته في كل شيء . .

في الاستماع الى الراديو .. في مداعبة ابنائه ومشاهدة التلفزيون ولعب الورق مع أصدقائـــــه . .

سرعان ما يتغير تفكيره ويشعر بالسأم مما هو بين يديه ويبرم بما يسمع فيقطب حاجبيه بهدوء ويدعي أن الصداع النصفي عاوده . .

— ما رأيك يا أمي .. نهدم البيت ونبني عمارة ..
— فكرة رائعة .
— تكون من شقتين واحدة لك ولأولادك والاخرى لي . .
— لا بل من ثلاث شقق .

وخرج من عندها وقد أقنعها بأن الأمور سوف تسير الى الأحسن حيث سيرتاح هو من البحث عن شقة جديدة عند كل نهاية عام . وهي ترتاح من الجيران وتندية المطر وارتعاش السقف أثناء العواصف .

اخذ يرقص طربا وهو يأخذ طريقه الى ملاعب كرة القدم في الركبان راسما أشياء كثيرة كان يعلم بحقيقتها في طفولته .. فتحدث ذات مساء على شفاه شقيقه الوحيد الذي غير مسار تعليمه بناءا على مكانته الوظيفية دون أن يأخذ في عين الاعتبار مطامحه وآماله .. وبدأت مرحلة التأخر . والهرو بمن المدرسة والرسوب أولا وثانيا وثالثا وحتى الحصول على وظيفة صغيرة بالمرتبة الثانية .

شعر بالاستقلال من شقيقه الوحيد ومن والدته وزوجها وابنائها .. اخذ يحدث نفسه بأحلامه القديمـــــة .

وها هو بعد عشر سنوات من الحياة الوظيفية والكفاح والد لطفلين يحاول تحقيق اول احلامه ببناء دار له على انقاض دار خربة كانت هي البقية الباقية من ذكريات والده الذي توفي وهو في الثانية من عمره لا يعي شيئا .

وصل عادل الى ساحة الملاعب وجلس وحيدا يتأمل الكرة وهي تنتقل من بـــاب لآخر رغم اقدام اللاعبين وقد خيم الهدوء على الجميع .

مر الوقت بسرعة . وكرت الأيام . ولم يصله رد والدته بشأن العمارة .. تأهمل الموضوع لاقتناعه ان كل ما ذهب اليه في احلامه مجرد خزعبلات جرفها التيار ذات مساء والجميع نيام . فلم يهتم بالأمر احـــد .

كان الصمت من قبله حكمة وان كان ذلك على حسابه لمعرفته انه لن يجد الاستقرار ما دامت الدنيا قد استعارت أربعة اطارات كبيرة لتكون لفتها أكبر وأعرض من المعتاد..

وقتل وقته بالسهر مع الأصدقاء وأمام التلفزيون وفي المقاهي كان يبحث عن شيء.. لا يعرفـــــــه .

شاهده ذات مساء فقرر أن يلتقي به مرة اخرى . .

ـــ عادل ما رأيك ان نبني البيت .

بعد سنتين من رأيه الذي قدمه .. همست والدته بذلك في أذنيه ذات مساء وهو يتابع أغنية جديدة تذاع لأول مرة من خلال التلفزيون لمطربة سعودية . .

هز رأسه موافقا وخرج لم يقل شيئا .. توقف تفكيره فجأة . .

واخذت تستنجد بالأقرباء وأبناء اختها في تكملة اجراءات البناء والاقتراض مـــن بنك التسليف العماري .

وحضر للتوقيع واستلام أول دفعة من القسط . واخذ يركض حتى وصل داره وأخفى المبلغ الكبير في دولاب الملابس . رغم اصرار والدته على أن تحتفظ بالمبلغ في حجرتها . وقبع في البيت مع كل اوراق البناء .

منتظرا ان يطرق الباب من جديد . ويقال له عثرنا على مقاول لبناء العمارة .
لم يطل انتظاره .. حضر المقاول الثري الذي وافق على كل شيء معتمدا على ما جاء في خارطة البناء .

تنفس عادل الصعداء . واخذ يحدث طفليه وزوجته عن العمارة والاستقرار .. اشياء كثيرة اخذت تتعامل في نفسه .

ومرت ستة اشهر ولم يتم تشييد جدار واحد في البيت الذي هجره ساكنيه واستلمه المقاول للبدء في التنفيذ .

شعر بالاختناق . اخذت الصور تفقد معالمها .. اخذ الحزن يطوقه .. آخذا عليه كل شيء حتى لحظات جلوسه مع ابنائه وزوجته امام التلفزيون كان يخرج بعيدا مفكرا في اللاشيء. وذلك بسبب عدم التركيز .

وكان يوم اشتد فيه المطر اخذت الشوارع تمتليء بالماء والثلج المتساقط من السماء .. اخذ يتأمل الشارع الذي امتلا بفرحة الاطفال وعيون الجيران المبتسمة .. وهي تتابع زخات المطر عبر ازيز الرياح وقصف الرعد .

وجد ان في داخله رغبة بان يرفع ثوبه ويمشي حافي القدمين في برك الماء وان يأكل من حبات البرد التي اخذت تكون تلالا من الثلج أمام الابواب وفوق الارصفة .

تلفت حوله وبين صراخ الجيران وضحكاتهم اخذ يقطع الشارع ذهابا وايابا ..

وشيء في داخله يشع واخذ يتجلى . عادت الابتسامة الصغيرة الى شفتيه ..

احس أنه ينتصر على كل المشاكل التي تقف أمامه وولج الدار مثيرا القلق بصوته الجاف وهو يردد احدى الأغنيات المعروفة ووصلت الى انفه رائحة القهوة فأسرع الى المطبخ حيث وجد زوجته تقوم باعدادها بعد أن ملأت صحن صغير بالمكسرات فاقترب منها بهـــــدوء . .

الأمر الذي أثار فزعها لتندلق دلة القهوة فوق النار ... وأمام الاستغراب المطل من عينيها وكلمات الاحتجاج المحبوسة على شفتيها أخذ يعد القهوة من جديد .

السجـــين المظلـــوم ..

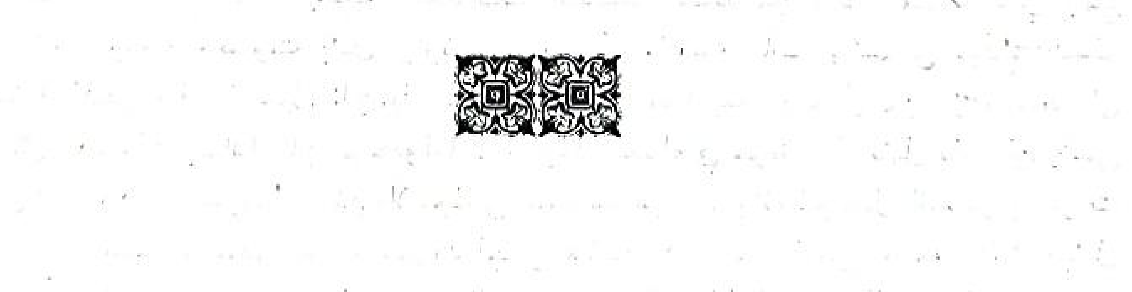
بقلم : حمد الزيد

واطل صاحبنا من وراء القضبان الحديدية التي قد ثبتت فوق نافذته في سجن المدينة واطل وجهه من بين القضبان التي بللتها عدة نقاط من ذلك الدمع الذي انحدر من مقلتيه وهو ينظر يمنة نحو الأطفال الذين يمرحون في جو من الحرية والبراءة .. ويسرة الى ذلك القطيع من الحيوانات التي ترعى بعض الاعشاب على سفح الجبل وصاحبها يمشي خلفها يتغنى بأهازيج الأصيل الحلوة وينعم بالحرية التي تتمثل في الانطلاقة التي يحظى بها في مهنته التي هي عنده أثمن واغلى ما في هذا الوجود مــن ترف وغـــيره ..

فقال صاحبنا .. لله ما أسعد هذا الراعي في مهنته وما أسعد شياهه في رحلتها بين السهول وسفوح الجبال ولله ما أسعد العشب الذي ما زادته أشعة الشمس الذهبية في الأصيل الا رونقا وبهاء .. ورفع صاحبنا رأسه على صوت بلبل قد أتى مــن حديقة على مرمى العين .. أتى بعد أن أفرغ ما في جعبته من الحان على مسمع الأثير وعلى مرآى الطبيعة الفاتنة وأزجى صدى ألحانه وأناشيده الى شاعر كان يجلس على ذلك التل الذي كسته الطبيعة الفاتنة فراشا دمقسيا بهيا .. فأخذ ينظم أشعاره بأحرف من نور على صفحة الطبيعة النضرة .. فهو يستوحي موسيقى نشيده من صدى ذلك البلبل الصداح .. ويكتب الفاظ ذلك النشيد الجديد من مادة المكان الذي جمع بين صفاء قريحه وصوت بلبل وأرض مخضرة وطبيعة فاتنة وشمس تودع العالم بأشعتها الذهبية في الأصيل الجميل .. وبينما كان صاحبنا السجين من وراء القضبان ينظر كل ما حوله جمادا كان أم حيوانا أم اناسا سعداء في حريتهم في تأمل تام كان يتمنى لو كان احد هذه الأشياء لو كان تلا يجلس عليه شاعر .. وانقطع حبل التفكير ونظرات التأمل عند صاحبنا عندما سمع صوت أجش خشن يدنو منه وليس كصوت ذلك البلبل الرطوب ويدا حديديه تقبض على رقبته التي ما زادتها سياط الحابس الا نحولا .. ليست كيد ذلك الشاعر الرقيقة التي أمسكت بريشة صاحبها يرسم على وجه الطبيعة لوحات جديدة تسطر اناشيد واغاني للطبيعة .

يد طالما ادمته بالجراح ولم ترحم دموعه وأشجانه وبراءته امتدت اليه يد القسوة عندما تقبض على طفلة بريئة ويد النحس عندما تزهق روح الأزهار وتريق ريحانها وتعصف بها الى هوة الفناء السحيقة .. امتدت اليه وهي لم تكن في يوم من الأيـام يد أم حنون أو يد حبيبة رقيقة في لقاء بعد غيبة .. امتدت اليه تلك اليد الملطخة بدمه وهي تقول له : الم تنته أيها الشقي من نظراتك الى جمادات وحيوانات لا تنفع انسانا

دخل هذا المكان .. فرد عليه صاحبنا بعد ان تشجع على الكلام هذه المرة وقال : كيف يشعر بالجمال من عاش سفاكا لدماء الأبرياء معذبا ارواحهم الطاهرة بسياطه القذره واقدامه الخشنة ويديه الملطخة بالدماء الزكية الطاهرة .. انك انت وامثالك من « الجلاوزه الجلادين سفاكي الدماء تهوون لو كانت تلك الزهور وذيك البلابل وذلك الجمال تحت وطأتكم لتزيلوا اسم الجمال من الوجود وتفنوا الزهور وتقتلوا البلابل من هذه الدنيا التي ننعم فيها جميعا بالمرح في ارجائها والتغزل في محاسنها انني لم آت الى هذا المكان الذي ما زادته آثار اقدامك الا قذارة .. وما زادته انفاسك الخبيثة المسمومة الا نتونة .. لم آته مجرما سفاحا وانما كنت اطهر من ان اعيش بين قذارتك واشرف من ان احني لسياطك انني بريء ابرأ منك امام القضاء العادل وأمام السماحة الاسلامية التي لم تكن أنت ولا أمثالك قوانينها ونظمها العادلة . .



البقيـــة فـــي حياتـــك ..!

بقلم : حمد الزيد

وبكى ــ صالح ــ بحرقة وهو يوارى بالتراب مع المشيعين جسد والده الحبيب المسجى في مثواه الأخير . وابتلت بضع قطرات من تلك الدموع بالتراب الذي دفن تحت طياته قلبه وحبه .. وأمله ــ بعد الله ــ وانتهت في حياته صفحة لتبدأ أخرى .. ولكن من نوع جديد .. انه كل شيء في الاخرى .. هو المخطط والقائد والمنفذ ــ لقد أحس ــ صالح ــ في حياته الجديدة .. فراغا شغر يوم وارى والده صدر الثرى .. ولكن اليس الموت تلك القنطرة الرهيبة التي تخافها الجموع رغم انها الممر الوحيد لها ــ لقد انتهى كل شيء وعاد ــ صالح ــ مع المشيعين الى أن وصل الى منزلهم الطيني العتيق في جزء من أجزاء تلك القرية العتيقة ايضا .. وكان اثناء الطريق الممتد من المقبرة الـــى منزلهم أشبه بمتفرج في الصفوف الأولى في مسرح تمثل فيه رواية حياته مع والده مـــن اليوم الذي أحس فيه أنه يستطيع أن يميز بين والده وغيره من الرجال الآخرين والكثيرين ايضا .. وخلا بنفسه فترة من الزمن ليتسنى له أن يراجع محتويات ذلك الشريط الملون الذي يراه أمامه ماثلا .. وقبل أن يجتمع بوالدته .. اجتماع من جمعتهم مصيبة واحدة واحسوا باحساس واحد .. وبدأ يتمتم في سكينة .. رحمك الله أيها الأب الصبور .. انني لن أنسى ذكراك ما حييت .. وسأبقى لك بارا حتى بعد موتك .. لقد قطعت دراستي من أجلك .. بينما أنا في زهرة العمر .. وما زلت واشتغلت من أجل رد بعض الدين علي لك .. ولكن هيهات لو كان لي عمر النسور لما استطعت أن أرد اليك يوما واحدا بذلته من أجل كسب لقمة لي .. ولو بكيت مدرارا .. كسحابة معطاء لما استطعت أن اقارن بين ذلك وبين دمعة منك على مرض قد الم بي ولو بقيت بقية عمري مؤرقا لما استطعت أن أرد اليك سهر ليلة واحدة من أجلي .. وحاول صالح أن يستمر في همسه اللاشعوري .. واطاعة الشريط في الدوران .. ولكن قطع ذلك كله صوت حنون حزين يهتف .. به .. لنا الله يا صالح .. ولا تبك يا بني شيئا قدره الله .. وهذه نهاية مطاف البشرية بأسرها .. البقية في حياتك . عند ذلك التفت بلهفة وضم أمه الى قلبه .. وبكى على صدرها بجزع حتى ابتل ثوبها القروي العتيق .. واحست حرارة الدموع تلسع صدرها بسياط من نار .. وقبلت رأسه بلطف وهي تجفف دموعه بخمارها الاسود .. وتقبله .. وتحاول أن تهدئه وتعيده الى صوابه .. انها تحس كما يحس .. وان قلبها ليتفطر ولكن .. ماذا بعد الحزن وماذا بعد البكاء وما يجدي كل ذلك واعظم منه .. ان النتيجة حتما سلبية ..

لقد قطع ــ صالح ــ بعد حصوله الشهادة الابتدائية .. دراسته التي هي الأمل الباسم له الى غد افضل كل ذلك من اجل مساعدة والده على شظف العيش .. خصوصا وان موارد القرية محدودة .. واستطاع أن يكون استاذا من الدرجة الثانية في مدرسة

القرية الابتدائية وهذا ما تمناه والده وسعى اليه .. لكي يتمكن أولا من مساعدته على المعيشة وثانيا أن لا يحرمه .. من قربه والعيش بجواره في السراء والضراء .. واطاعه .. صالح .. رغم ما يملأ نفسه من الأمل في ان يواصل دراسته الاعدادية والثانوية فالعالية .. لكي يستطيع أن يهيء لنفسه مستقبلا مضمونا مشرفا .. ولكنه لم يظهر تلك الرغبة خشية جرح شعور والده واظهارا منه برضاه بشهادته البسيطة التي نالها والراتب البسيط الذي يتسلمه شهريا .. والذي لا يتجاوز الثلاثمائة ريال .. ولكنها في القرية تعتبر فائضة عن مستلزماتهم فيدخرون ما عسى أن يدخروا فينفقون بسخاء.. خصوصا وان والده كذلك يساعده على بعض المصاريف من ضيعة صغيرة لهم بنواحي القرية .. اما السكن فلا مشكلة في ذلك .. فمنزلهم الذي يقطنونه توارثته الاسرة ابا عن جد حتى انتهى أخيرا الى أبي ــ صالح ــ عن أبيه يرحمه الله .. فاكتفوا بذلك عن الاستئجار .

ووجد ــ صالح ــ بعد وفاة والده فرصة مواتية لكي يواصل دراسته الاعدادية ومن ثم الثانوية فالعالية .. ذو الشوق القديم لا بد أن يعج بصاحبه ويؤرقه .. فعزم أمره وعرض الفكرة على والدته فرأى في وجهها علامات الترحيب بالفكرة .. كما بث في نفسه الأمل احساسه بأن في وجه والدته وجسمها .. بقية من شباب .. وقدرة على تحمل مثل هذه الغربة التي قد تطول سنينا .. فاستزاد من ذلك قوة وطاقة .. وحيوية جبارة لكي يقرر نهائيا قراره .

وأعطته والدته ما ادخره مع والده طوال تلك السنوات القليلة التي لا تتجاوز ثلاثا فقط من أول يوم استلم فيه أول راتب له .. وكان ينوي أن يزيدها مستقبلا ويزوجه بها وادخرت لها بقية بسيطة .. معللة له أنها لن تحتاج شيئا .. وخصوصا أنها تعيش في منزلهم وعندها من الأثاث وبقية الرزق .. ما يكفيها وكذلك ان المصاريف في مثل تلك القرى لا تتجاوز عشرات الريالات سنويا ليسر المعيشة .. والتعاون بين أهل القرية .. زد على ذلك أن منزلتها في قلوب أهل القرية نساء ورجالا ومنزلة زوجها وابنها .. هي منزلة الجار والحبيب والصديق .. مما يدعو الى أن يعطفوا عليها ويساعدوها باسم الصداقة والمحبة لا باسم الصدقة والمسكنة .

وسافر ــ صالح ــ تودعه دعوات والدته الحنون بالتوفيق والنجاح .. لقد سافر الى المنهل العذب الذي طالما حن وتمنى الاحتساء منه والارتواء من نبعه الصافي اللذيـــذ .

وقاسى ألم الفراق .. عن والدته وعن قريته وطن طبيعته بأسرها ــ اذ أنها قد تكون المرة الأولى التي يفتح فيها جفنيه على المدينة بصخبها وضجيجها وحياتها الشائكة التي تختلف كلية عن حياة القرى والأرياف .. ولكنه وجد في صعوبة العيش ومرارة الفراق .. دافعا جديدا وقوة جبارة استطاع بها أن يصمد أمام التيار !

وحمد الله كثيرا أن لا يزال حرا طليقا لا تكبله أصفاد المسؤولية .. من زواج

او اولاد أو غير ذلك وانه لا زال في عمر الورود .. وانه لم يمض عليه منذ ان ترك المدرسة اكثر من ثلاث سنوات بل .. انه طوالها يعيش بين جدرانها فتبل بعض صداه الى مواصلة الدراسة .. وصارع ــ صالح ــ في المدينة كل شيء وخرج من المعركة منتصرا فارسا .. صارع العواطف .. وصارع البيئة وصارع المادة .. نعم المادة .. وتقشف من اجلها وعمل ليلا ونهارا من اجل الحصول عليها لانفاقها في دورها الطبيعي المستقيم .. كان لا يتأفف كعادة سكان القرى والارياف ممن ضرستهم العصبية والقبلية والأنفة البدوية .. فصرفتهم عن الكفاح الشريف والعمل نعم لقد كان ــ صالح ــ غير ذلك .. لكأنه ولد .. في « شيفلد » أو « شيكاغو » تلك البقع العاملة الذي يشتغل فيها ابن الميلونير والحاكم .. منظفا للبلاط والأطباق في احد مطاعمها أو بيوتها .. لقد كان ــ صالح ــ قريبا من هذا المعدن العامل المكافح في عمله .. فلم تغلق الطرق أبوابها أمامه ولم يتقوس ظهره من الجوع بعد أن نفد ما بيده من مادة .. بل راح يذرع المدينة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .. بعد خروجه من يومه الدراسي .. كل ذلك في سبيل لقمة العيش .. وطالما لقيه رجال من أهل قريته الوافدين على تلك المدينة وهو يصيح بأعلى صوته في شوارعها .. صحف .. صحف .. مجلات .. جديدة .. فيسخرون به .. فيرد على سخريتهم الصفراء بأن غدا لناظره قريب .

وصحيح لقد كان غد قريبا ومشرقا أيضا .. لقد احتضنه كما تحتضن الأم وليدها وكما تحتضن القلوب المحبة ورود الخميلة .. أو كما تحتضن الشفاه التائهة رحيق القلوب ونخبها .. أو كما احتضنته والدته الحنونة يوم أن وارى والده التراب .

كان ــ صالح ــ يعود لزيارة والدته الحنون في قريته أثناء العطلة فيقضي عندها أياما قليلة ليعود الى المدينة لا للدراسة والمراجعة أثناء اغلاق المدارس فحسب بل للعمل على نطاق أوسع والاعداد لمصاريف سنة جديدة .

لقد تقرر أن يكون ضمن البعثة الذين سيتلقون دراستهم العالية في الخارج واختار كلية الطب بالذات في أمريكا .. وهو يعلم ان والدته ستذهب معه ولو الى جزر الواق واق ولكن الذي حدا بها الى الجلوس في القرية مدة دراسته الاعدادية والثانوية .. يعتبر مساهمة منها في تشجيعه ورفعا لبعض الاحمال عن كاهله الغض .. أما الآن فليس من عذر .. لأن السفر والاياب على حساب الحكومة وكذلك يصرف له هناك مكافأة شهرية سخية تفوق مرتبه أيام كان استاذا صغيرا في القرية .. ومن ثم فهذه المكافأة ستكفيه بيسر هو ووالدته وسيبقى فائض ينفق على خادمة تتولى شؤونهم .. بعد أن بدأ الشيب يصافح محيا والدته النحيل .. وكان لبقائها الى جواره في أمريكا أثر كبير .. فلقد وجد فيها سلواه .. عن بلده وعن شرقه بأسره في هذه الدنيا الصاخبة الجديدة .. ووجد في دعوات والدتهوصلاتها والتحدث معها والجلوس الى جوارها في هذا الخضم المتلاطم من المتناقضات .. خير معين وكفيل له بالنجاح وفعلا حصل على البكالورويوس بدرجة ممتازة بعد سنين خمس لم تطأ اقدامهما القرية .. مهد الذكريات .. وموطن الخلان .. وضريح الأب الحنون .. بل لم تطأ قدماهما .. بلادهما بأسرها او الشرق على الاصـــــح .

واخيرا عاد ـ صالح ـ ووالدته .. الحبيبة وشهادة البكالوريوس في الطب والجراحة .. عاد كالقائد المظفر عاد والنياشين والأوسمة تزين طلعته والسماعة تتدلى من اذنيه .. والفرح يحبوه .

واختار ان يعمل في مستوصف قريته التي ازمعت وزارة الصحة افتتاحه فيها .. وكان املا حبيبا طالما راوده وراود مخيلة والدته التي ترى في بيتهم الطيني العتيق في القرية ناطحة سحاب مثل التي راتها في ميدان العمل .. في نيويورك .. وترى في بساطة اهل قريتها وحبهم لها وحبها لهم خير حافز على تحقيق حلم الاجتماع بهم .. الذي طالما تمنته .

وقلب .. صالح .. الصفحة التالية من حياته بعد وفاة والده .. ولكنها صفحة أكثر اشراقا من سابقتها ووصلا القرية .. في السيارة الجديدة التي ستعمل تحت امرة ـ صالح ـ مدير المستوصف وتحمل معداته .. وقصدا الى عمارة مسلحة مميزة صغيرة في ناحية من القرية .. كتب عليها لافتة أنيقة .. تظهر .. هنا مقر المستوصف الجديد .. وقد بنى جواره فيلا انيقة لسكن الدكتور ووالدته .. لقد كانت هي البناية المبنية على الطريقة الحديثة في القرية فكانت محجا لأهل القرية عن بكرتهم لرؤيتها والتشرف بالسلام على الدكتور .. صالح .. ووالدته الحبيبة اليهم .. والمشتاقين الى رؤيتها .. وغداة اليوم التالي .. قصد الدكتور صالح ووالدته بسيارتهم الجديدة منزلهم العتيق الذي لا زالت والدته تحتفظ بمفتاحه الخشبي العتيق أيضا .. وجالوا نواحيه .. نافضين عن الذكريات غبار السنين .. الطويلة التي عاشوها بعيدا .. عنها .. ولاحظ الدكتور صالح .. كوما من الاثاث القديم يقطن في زاوية من احدى الغرف العتيقة .. وقد كسته الطبيعة طبقة من التراب .. يحكم رائيه عليه من أول مرة انه من مخلفات العصور الحجرية .. وتبسم الدكتور صالح .. وفي نفسه حاجة يريد أن يقولها ولعله يريد أن يقول ان هذا المنزل كله سيكون ضريحا لك .. أيها الأثاث الصابر البليد .. وبعد ان تحدث الدكتور صالح ووالدته كثيرا في احدى ردهات منزلهم القديم الذي أكل عليه الزمن وشرب مستعيدين بذلك تلك الأيام السود التي قضوها بين أرجائه وذكرى والدهم .. ومكانه والمكان الذي رأى فيه صالح لأول مرة نور الحياة و .. و .. الخ غادراه كاسفي البال .. فهكذا الذكريات عندما تنبش تخلف وراءها سحابة من الحزن العميق .

وهما بالانصراف .. والوالدة تخطو خطواتها الوئيدة نحو العتبة الخارجية والدكتور صالح يمشي وراءها بتؤدة وينظر الى الارض وكأنه يريد أن تتحول عينيه الى مجهر يكشف بهما ما تحت هذا البلى من اسرار ..

وانتبه مذعورا عندما احس أن الارض التي يمشي عليه وينظر اليه تهتز .. وسقط مغشيا عليه .. وافاق بعد قليل وهو لا يصدق ما رات عيناه .. وحاول أن يعمل شيئا .. ولكن لم يستطع .. وسمع همسا حنونا رقيقا يقول .. له .. الم اقل لك يا ولدي ان الموت هو نهاية المطاف للبشرية بأسرها .. والبقية في حياتك ..

مــــن كتـــاب القصـــة

خليـــل ابراهيـــم الفزيـــع

العمــــــــر	:	من مواليد ١٣٦٣ هـ .
العمل الحالي	:	مدير تحرير مجلة العهد (تصدر في قطر وهي مجلة اسبوعية سياسية جامعة) .
الكتب التي صدرت	:	(احاديث في الأدب سنة ١٣٨٥ هـ) و (دراســـات نقديـــة) .
كتب تحت الطبع	:	سوق الخميس ــ الساعة والنخلة ــ الغربة وهي مجموعات قصصية .
الخــــبرة	:	محرر في جريدة الخليج العربي التي كانت تصدر في الخبر ــ محرر في جريدة اليمامة ــ أيام الشيخ حمد الجاسم ــ محرر في جريدة اليوم ، سكرتير تحرير جريدة اليوم ــ مدير تحرير جريدة اليوم .
المجلات التي كتبت فيها	:	قريش ــ الرائد ــ جميع الصحف السعودية التي لا زالت تصدر في المملكة العربية السعودية وبعض الصحف الكويتية والمصرية واللبنانية .
الاذاعات التي تعاونت معها	:	الاذاعة السعودية ــ واذاعة البحرين ــ والقسم العربي في هيئة الاذاعةالبريطانية .
العمل الحكومي	:	خمس سنوات في وزارة المعارف ــ ثلاث سنوات في وزارة الاعلام .
اضافـــــة	:	القسم الانجليزي بالاذاعة السعودية ــ قام بترجمة واذاعة بعض القصص باللغة الانجليزية .

ناصـــر محمـــد العديلـــي

- ولد بمدينة « حائل » عام ١٣٧١ هـ .
- تلقى دراسته الابتدائية والاعدادية بمدينة « حائل » .
- تلقى تعليمه الثانوي بمدينة « بيشة » .
- التحق بجامعة الرياض « كلية التربية عام ١٣٩١ هـ. » وحصل منها علـــى

البكالوريوس عام ١٣٩٥ هـ . في الاداب والتربية (تخصص : تربية وعلم نفس) « مع مرتبة الشرف » .

- حصل فور تخرجه على منحة دراسية من معهد الادارة العامة بالرياض لدراسة

« الماجستير والدكتوراه » في (ادارة الأعمال والسلوك الاداري) .

- يعمل حاليا بمعهد الادارة العامة بالرياض في ادارة البرامج العليا ويلقي بعض المحاضرات في السلوك الاداري على دارسي بعض برامج المعهد .
- ينوي اكمال دراسته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية خلال صيف هذا العام ١٣٩٧ هـ .
- كتب القصة القصيرة منذ المرحلة الثانوية ، ونشر عددا من القصص القصيرة في بعض الصحف والمجلات المحلية ، لديه مجموعة قصصية ينوي طباعتها قريبا
- كتب بعض الدراسات القصيرة في الأدب ، وعلاقته بعلم النفس ، وكذلك دراسات في القصة القصيرة والرواية « السيكولوجية » وعلم النفس الاجتماعي والسلوك الاداري .

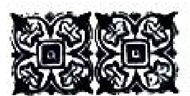
محمــد علــي علــوان

مكان الميلاد : ابهـــــا .

المؤهل الدراسي : خريج كلية الآداب قسم الأدب العربي « جامعة الرياض » .

مكان العمــل : وزارة الاعــلام .

اول قصة كتبها : « حكاية » في جريدة الجزيرة في ٤ من محرم سنة ١٣٩٢ هـ . له مجموعة قصص مخطوطة .



فهـــد الخليـــوي

* بدات الكتابة في « الصحف المحلية » منذ عام ١٣٨٨ هـ .

* كانت تلك البداية لا تخلو من تخبط كأي بداية الا انني في السنوات الأخيرة اتخذت مسارا ثابتا في دنيا الكلمة وهو كتابة القصة القصيرة التي كما قال عنها البعض تنحى الى الصور الشعرية ، دون التركيز على « ديناميكية » الحدث أو صخب مصائر الأبطـــال . . .

* ثم اتجهت الى كتابة بعض القصائد الوطنية ، ولم أعتمد في تلك القصائد على البناء « الكلاسيكي » بل حاولت أن أجعل من العبارة شحنة شعرية تتحـد عضويا مع المضمون وتضيء جوانب الفكرة المطروحة بشكل شعري .

* * *

محمـد المنصـور الشقحـاء

ـ موظف حكومـــي .

ـ شارك في تأسيس نادي الطائف الادبي .

ـ ويعمل الآن سكرتيرا للنادي .

ـ كتب المقالة والشعر المنثور والقصة .

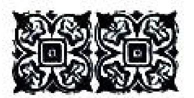
ـ له مجموعة قصص مطبوعة بعنوان (البحث عن ابتسامة) وديوان شعر بعنوان (معانـــاة) .

ـ نشر انتاجه في معظم صحفنا المحلية .

* * *

عبـــد اللـــه سعيـــد جمعـــان الزهرانـــي

* مدير مستودعات بالجيش .
* شارك في تأسيس نادي الطائف الأدبي .
* ويعمل الآن أمينا « لصندوق النادي » .
* له مجموعة قصصية بعنوان (بنت الوادي) واخرى بعنوان (رجل على الرصيف)
* نشر معظم انتاجه في « الصحف » .



سباعـــي احمـــد عثمـــان

ـــ من مواليد عام ١٩٣٨ م .

ـــ جرفته هواية الصحافة منذ دراسته الثانوية حيث عمل في جريدة الندوة قبل المؤسسات وبعد المؤسسات ثم عكاظ واليمامة ، والآن يعمل في جريدة المدينة منذ « ١٣ » عامـــا .

والآن يعمل سكرتير تحرير بها ، ومشرفا على صفحة « دنيا الأدب » .

ـــ له مجموعة قصصية مخطوطة .



نقـــــاط ..

ــ اظن إنني لم اتجاوز الحقيقة عندما اقول ان القصة السعودية مجهولة في الأدب العربي الحديث . رغم وجودها بين ظهرانينا وقولي هذا نابع من الدراسات التي بين يدي وفي متناول يد كل باحث . فنحن نعرف القصة المصرية والمغربية والتونسية واللبنانية وعندما نبحث عن مقعد القصة السعودية نجده شاغر .

ــ في كتاب تأملات في الأدب والحياة للاديب الكبير محمد حسن عواد نقد لقصة بعنوان « الانتقام الطبيعي » طبعت عام ١٣٥٤ هـ أي منذ ثلاثة وأربعين عاما .

ــ كما في بحث الدكتور منصور ابراهيم الحازمي الرواية في الأدب السعودي الحديـــــث . (ويبدو ان اهتمام الأنصاري بالقصة لم يكن اهتماما طارئا أو مرتبطا بمهنته الصحفية فقد نشر عام ١٩٣٠ م . ــ وقبل تأسيسه لمجلة المنهل بحوالي سبع سنوات ــ قصة طويلة في شكل كتيب عنوان « التوأمان » وكتب على غلافها هذه العبارة (أول رواية صدرت في الحجاز) أي منذ سبعة وأربعين عاما) .

ــ اذن القصة السعودية رواية كانت او قصة قصيرة بدأت منذ خمسين عاما . ولكن ما هي حصيلة هذه الأعوام الخمسين .. ؟

ــ سؤال يجب ان يطرحه الباحث في القصة السعودية . ولكن يجد الجواب فقد صدرت بعد ذلك ــ البعث ــ للاستاذ محمد علي مغربي وفكره ــ للشيخ أحمد السباعي عـــام ١٩٤٨ م .

وروايتان للمرحوم حامد الدمنهوري الأولى بعنوان « ثمن التضحية » والأخرى تحت اسم « ومرت الأيام » .

تلاها قصة و « غربت الشمس » للأديب محمد عبد الله مليباري .

« وثقب في رداء الليل » ــ « وارض بلا مطر » للاستاذ ابراهيم الناصر .

« والحنينه » للمرحوم أمين سالم الرويحي .

و « حياة جائعة » . . و « الجدار الآخر » للاستاذ عبد الله جفري .

بالاضافة الى مؤلفات الأديبة سميره بنت الجزيرة .. ذكريات دامعة ــ بريق عينيك ــ قطرات من الدموع ــ ودعت آمالي ــ وادي الدموع ــ وتمضي الأيام ..

ـ غير بعض الاصدارات الاخرى التي مرت مرور الكرام في هذا الفن انما كانت لبنة في بناء القصة السعودية .

ـ ولكن لماذا كان تجاوز الادباء العرب لفن القصة عندنا سؤال آخر يجب طرحه .. بالاضافة الى اسئلة كثيرة علينا ان نبحث عن اجوبة بها .

ـ المعقد شاعر ويستطيع ان يمثله اكثر من كاتب قصة لدينا فمن واقع صحافتنا وما ينشر فيها من نتاج قصصي يفرض حقيقته وواقعه ومقدار اصالة القصة عندنا . اتما وسيلة النشر كانت السبب بالاضافة الى بحث كاتب القصة عن مكان بين كتاب الصحف الامر الذي جعل القصة في الذيل .

وانني في هذه المجموعة التي اختارها من خلال الصفحات الأدبية والثقافية في مجلة اليمامة ومجلة اقرأ وجريدة المدينة وبعد قيام نادي الطائف الأدبي بالاعلان عن طريق الصحف او بالرسائل الخاصة عن اعتزامه تسليط الأضواء على القصة السعودية وذلك باصدار مجموعات قصصية لأسماء مختلفة من القاصين السعوديين ولعل هذه المجموعـــــة :

١ ـ تسلط بعض الضوء على هذا الفن ليجد الباحث فيها شيئا يستطيع أن يتحدث

٢ ـ دعوة لكتاب القصة للاستمرار .

ـ وبما أن الاستمرار خدمة للبلاد ولهذا الفن الذي شارك فيه تعلمه ويجب أن يكون احد فرسان القصة محليا وعربيا وعالميا .

ـ وقيام نادي الطائف الأدبي بهذه المهمة نابع من المبادىء والأهداف التي تم تأسيس وقيام الأندية الأدبية عليها فلعلنا نجد من كتاب القصة في بلادنا المشاركة الواعية بالمسارعة في اصدار مجموعاتهم عن طريقهم او بواسطة هذه الاندية اذا لم تساعدهم امكانياتهم الوقتية والمادية من ذلك .

ـ ونادي الطائف الأدبي وهو يمد يده يرجو ان تجد هذه الدعوة صداها المرتجى.

قارئي العزيز :

الصفحات السابقة من هذا الكتاب الذي هو بين يديك الآن هي دعوة مفتوحة من النادي تقول لك لقد مرت اشهر على قيام هذه الاندية وانت ٥٠٪ من نشاطها وذلك بحضورك وطرحك الراي والمناقشة .. فهل تقبل الدعوة . . ؟

م . م . ش

فهرس

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

١ ـ سوق عكاظ في الأدب والتاريخ	جمع واعداد لجنة التراث بالنادي
٢ ـ البحث عن ابتسامة (مجموعة قصص)	للاستاذ محمد المنصور الشقحاء
٣ ـ لكل مثل قصة	للاستاذ مناحي ضاوي القثامي
٤ ـ مسيكينة (ديوان شعر شعبي)	للشاعر سعد الثوعي الغامدي
٥ ـ هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	لمعالي الدكتور غازي القصيبي
٦ ـ رحلة العمر (شعر)	للشاعر علي حسين الفيفي
٧ ـ خطرات في الأدب والفلسفة	للاستاذ حمد الزيد
٨ ـ معاناه (شعر)	للاستاذ محمد المنصور الشقحاء
٩ ـ فلسفة السلام	لمعالي الشيخ هشام ناظر
١٠ـ أجنحة بلا ريش (شعر)	للشاعر حسين سرحان
١١ ـ ملف نادي الطائف الأدبي ـ الاول	اعداد النادي
١٢ ـ نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	للاستاذ علي حسن العبادي
١٣ ـ خواطر في التنمية (محاضرة)	لمعالي الدكتور غازي القصيبي
١٤ ـ المضيفات والمرضات في الشعر العربي المعاصر	للاستاذ عبد الرحمن المعمر
١٥ ـ شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم	للاستاذ حمد الزيد
١٦ ـ ذكريات	للاستاذ الشيخ أحمد علي
١٧ ـ رجل على الرصيف	للاستاذ عبد الله سعيد جمعان
١٨ ـ المحراب المهجور (شعر)	للاستاذ ابراهيم الزيد
١٩ ـ حديث في الاعلام (محاضرة)	لمعالي الدكتور محمد عبده
٢٠ ـ البيت أولا (محاضرة)	لمعالي الشيخ هشام ناظر
٢١ ـ كتاب القصة	للاستاذ محمد المنصور الشقحاء
٢٢ ـ مقالات في الادب	اعداد النادي
٢٣ ـ في الادب والحرب	للاستاذ الشاعر حسين سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم



الطائف : المملكة العربية السعودية

تلفون (٢٣٧٧٦)

في ١ / ٢ / ١٣٩٧

المكرم الاستاذ الفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فيعتزم النادي الأدبي بالطائف اصدار كتاب عن القصة السعودية وآخر عن البحوث والمقالات وديوان للشعر السعودي في ثوب جديد يواكب النهضة والتطور في بلادنا على ان تضم هذه الكتب انتاج صفوة من رجالات الفكر والأدب .

والنادي وهو يدرك تمام الادراك بأنكم من خيرة رجالات الفكر وأدبائنا الأعلام الذين يرتكز عليهم ، وهو في طريق اصدار هذه الكتب يسره أن يدعوكم للاسهام بتزويدنا بمختارات من انتاجكم مع كتابة نبذة عن حياتكم الأدبية .

واننا لعلي ثقة بأنكم ستقدرون عظم هذه المهمة ولن تتوانوا ان شاء الله عن المساهمة معنا في هذا العمل والوقوف بجوارنا ونحن نسعى الى هدف كبير نروم تحقيقه ولن نستطيع الا بتجاوبكم معنا .

وفي انتظار مقالتكم او بحثكم أو قصتكم او شعركم ، تقبلوا تحيات أعضاء نادي الطائف الأدبي وشكرا .

رئيس نادي الطائف الأدبي

علي حسن العبادي

مطابع الزايدي للأوفست ـ الطائف


مطابع
الزايدي
المملكة العربية السعودية